المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا

التشاؤم عند عبد الرحمن شكري

دراسة تحليلية نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

ثريا بنت بشير بن محمد الكعكي

الرقم الجامعي (٤٢٠٨٤٦٥٨)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد سيد أحمد ربيع

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

التشاؤم عند عبد الرحمن شكري دراسة تحليلية نقدية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أهداف دراستي للتشاؤم كمرض نفسي له أسبابه ودوافعه ونتائجه السلبية في حياة عبد الرحمن شكري وشعره أن أوضح مدى الاختلاط بين مفهوم التشاؤم المرضي الملازم للمرء ،وبين مفهوم التشاؤم العرضي الوقتي الذي يصيب الإنسان ، وأن أناقش قضية اتهام شاعرنا عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان بالتشاؤم فما هو أساس هذا الاتهام ؟وعلى أي شئ بني ؟،والحقيقة أنه من الصعب أن نصدر الأحكام، ونرفع الرايات ضد شاعرنا عبدالرحمن شكري ونتهمه بالتشاؤم، أو عدمه فديوانه كبير، وأغراضه متنوعة فهو شاعر مفكر خيالي ومثقف، وفي نفس الوقت رومانسي العاطفة ولن يستطيع من قرأ ديوان الشاعر بأكمله أن ينكر أضواء الأمل والتفاؤل التي شاطرت جوانب التشاؤم الملحوظ في قصائده الشعرية

قد جاءت دراستي في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .حيث تناول التمهيد تعريف التشاؤم كمرض نفسي والأسباب الداعية للإصابة به، ومظاهر هذا المرض الدالة عليه..

كما استطاع التمهيد التوصل من خلال شعر الشعراء إلى صور تشاؤمية لدى شعرائنا العرب منذ العصر الجاهلي متصلا بصدر الإسلام إلى العصر الأموي والعباسي ،ثم عصر الدويلات إلي العصر الحديث .فكان للعوامل البيئية والاجتماعية والسياسية والدينية الأثر في تميز ملامح الشخصيات ،

وتناول الفصل الأول حياة الشاعر وسيرته والدوافع النفسية لديه التي دفعته إلى إنتاج زاده الثقافي ؛وذلك بتحليل دواعي التشاؤم وتداعياته عند الشاعر، فتحدثت عن الأسباب التي كانت حجر عثرة في حياة شكري العلمية والأدبية والوجدانية وأهم انعكاساتها عليه التي أدت إلى تنوع شعره وتباين ألوانه .

وفي الفصل الثاني تتبع البحث أهم مظاهر التشاؤم لدى الشاعر وتنوعها من خوف يرقبه في كل شيء، وسوء ظن بالناس ، وبالنفس ، وحب للموت وتفضيله على الحياة. و اعتزال الحياة وجميع ملذاتها.

وقد حلل الفصل الثالث الدراسة الفنية حيث تذوقت شعر الشاعر،والتناغم بين الفكرة والأسلوب والصورة، فكانت صوره معبرة عن دخيلة الشاعر وذاته،وترتبط بوجدان القارئ وأحاسيسه، ومن أعظم ما يميز شعر شكري التوافق الفكري والوجداني واللفظي.

كما خلصت دراستي الى أن تشاؤم شكري نسبي ولم يكن كليا حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل أثر الظروف والقيود من حوله وعبد الرحمن شكري من الناس الذين جمعوا بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة إذ نحكم على شخصياتهم من خلال الصبغة العامة للحياة والظروف التي مروا بها ،فكانت تجربته الشعرية في قصيدة التشاؤم متشعبة من خلال تجاربه الذاتية، وتأملاته الفكرية ،ومراقبته لنماذج الطبيعة الكونية التي راقبت بعين تشاؤمية سوداء تندب الحظ وقسوة الأقدار ،،وشكري رجل وشاعر قدير كافح في حياته العلمية والعملية والأدبية ،وتذوق طعم الفرح كما اعتاد طعم الألم ،فشاعرنا نافذ البصيرة راقب البدايات وتأمل النهايات وحلل مأساوية الأشياء ثم تغنى بها وبشخصه وبمعاناته بطريقة خاصة تميزت بالسوداوية في أحيان كثيرة جعلت تلك التشاؤمية ظاهرة في شعره.

In the name of Allah the most gracious the most merciful

Abstract

Pessimism according to Abdul Rahman Shoukry

(Critical study)

Thanks God and peace be upon our prophet Mohamed and his companions

The objective of my study about pessimism as a psychological disease having its own reasons, motives and negative results in the life of Abdul Rahman Shokry and his poetry, is to make a distinction between permanent pessimism and temporary pessimism, and to discuss the case accusing our poet Abdul Rahman Shokry, that he suffered from pessimism-What's the basis of that accusation? Upon which was it based? In fact, it's difficult to make a judgment and accuse him of pessimism; his collection of poems are large and his objectives are various. He is an educated, thankful and imaginative poet and at the same he is romantic. No one can deny that his poems are characterized by optimism as well as pessimism.

My study comprises an introduction, 3 chapters and a conclusion. The introduction presents the definition of pessimism as a psychological disease, causes of the disease and its symptoms.

The introduction also shows pessimistic images in our Arab poets starting from the Pre-Islamic era through the Umayyad era, the Abbasid era to the modern era. Environmental, social, political and religious factors have its effects on the characters' features.

The first chapter presents the poet's life, his biography and the psychological motives by analyzing the causes of pessimism. So, I talked about the reasons that hindered Shokry's scientific, literary and conscious life and its reflection on him and resulted in the diversity of his poems.

In the second chapter, the research follows the best features of pessimism and its diversity from fear of everything, mistrust of people, loving death and hating life and retiring from life and all its pleasures.

Chapter three analyses the technical study as I enjoyed the poet's poetry and the harmonizing between the idea, the technique and the image. It was an expressing image about the feelings of the poet. What characterize Shokry's poetry is its ideological, emotional and verbal harmony.

My study comes to a conclusion that the pessimism of Shokry is relative and isn't absolute as pessimism isn't the poet's nature but it was as a result of conditions and restrictions around Abdul Rahman Shokry. Abdul Rahman Shokry is one of those who combine between optimism and pessimism at varying degrees. We can judge their characters through general nature of life and conditions. His poetry experience in the pessimistic poem is branching through his personal experience, thoughtful reflections, his observation of the models of the universal nature. His observations was pessimistic. Shokry is a famous poet who struggled in his scientific, practical and literary life. He enjoyed happiness and suffered from pain. Our poet is shrewd, he witnessed beginnings and observed endings. He analyzed tragic things, then sang his sufferings in a special way characterized by tragedy in many occasions made this pessimism a phenomenon of his poetry

إهداء وشكر

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً ملؤه السموات والأرض ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الهادي الأمين . وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

إهدائي معطراً بأطيب الدعوات وأرق النسمات إلى أمي الحبيبة رفع الله عنها كل ضرٍ ونقى جسدها من كل داء ، إلى أختي الراحلة الدكتورة / فوزية كعكي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته ، إلى زوجي العزيز الدكتور / عبد العزيز مؤذن من ساندني ودعمني خلال رحلتي الدراسية .

كما أسطر أفضل الاعترافات بالفضل والامتنان إلى ما قدمه لي أستاذي المشرف الدكتور / محمد سيد أحمد ربيع أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، له خالص الدعوات بأن يجعل ما قدم في موازين حسناته .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور / صلاح شحاته ، والأستاذ الدكتور / سعيد النوتي ، أستاذي البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وجزاهما عني خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لعمادة كلية اللغة العربية ممثلة في عميد الكلية الأستاذ الدكتور / عبد الله القرني ، ووكيل الكلية الأستاذ الدكتور / عبد الله الزهراني ، ورئيس قسم الدراسات العليا العربية بالكلية الأستاذ الدكتور / صالح الزهراني على الجهد المبذول لتيسير دراستنا ، والشكر موصول إلى كل الأيدي البيضاء التي تُسهم في نجاحي لهم مني أصدق الشكر والامتنان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

المقدمة

الحمد لله الذي جمل أدبنا بالقرآن ، وأنطقنا بروائع البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله أفصح العرب لسانا وأشرفهم منطقا .

وبعد:

فالتشاؤم مرض نفسي يحيط العقل بغشاوة مظللة والنفس بروح الكآبة، له نتائج سلبية على الأفراد قد تغير مجرى حياتهم، وتكاد تهوى بها إلى القاع. والحقيقة أنه من الصعب أن نصدر الأحكام، ونرفع الرايات ضد شاعرنا عبدالرحمن شكري ونتهمه بالتشاؤم، أو عدمه فديوانه كبير، وأغراضه متنوعة فهو شاعر مفكر خيالي ومثقف، وفي نفس الوقت رومانسي العاطفة ولن يستطيع من قرأ ديوان الشاعر بأكمله أن ينكر أضواء الأمل والتفاؤل التي شاطرت جوانب التشاؤم الملحوظ في قصائده الشعرية.

وقد تحدث الكثير عن التشاؤم لدى عبد الرحمن شكري وأن شعره توشح ثوب السواد قال عنه شوقي ضيف (لعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعراً متشائماً ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفت في عبد الرحمن شكري، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها، وانتهى بآخرها ١٩١٩، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممرض)[١].

ويقول نقولا يوسف متحدثا عن خيبة آمال شكري ويأسه من تحقيق آماله وأهدافه يقولك (فقد كانت لديه آمال عريضة تقابلها خيبة آمال فينشد المثل العليا فلا يلقى غير الجحود والنكران[٢]

---

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر/ شوقي ضيف/ دار المعارف.ط٨/ ١٠٩ص

(٢) أعلام الإسكندرية/ نقولا يوسف/ دار المعارف/ ص٣٥ .بالاسكندرية،(ط.ب)

نتج عن تلك الخيبة حزن وقلق عميقان قال عنها د. أحمد غراب (أن هذا الحزن والقلق يبلغان درجة التشاؤم في كثير من قصائده[1].

وبعد

فقد عاش شكري في عصر حافل بالاضطرابات والأحداث الكبرى في تاريخ مصر والعالم وخاصة المدة ما بين الحربين العالميتين التي اصطلى بنارهما ، كما عانت مصر كثيراً من ويلاتها وما نتج عنها من آثار سيئة اجتماعية وثقافية في تاريخنا الحديث[2].

وقد كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت عبد الرحمن شكري منها عبد الرحمن شكري للدكتور أحمد غراب وقد تناول الشاعر من جوانب عديدة كان أحدها الجانب النفسي ، وأهم معالمه الشره العقلي عند شكري وحركة التجديد ، وأهم صفاته الشخصية التشاؤم، المرأة، الموت.ومن الدراسات التي تناولت شكري أيضا أعلام الأدب المعاصر للدكتور/ حمدي سكوت والدكتور/ مارسدن وهي دراسة بيوجرافية معتمدة على الكلمة ودلالتها في الكشف عن أسلوب الشاعر ومعانيه. ودراسة ليسري سلامة بعنوان/ عبدالرحمن شكري

---

(١) عبدالرحمن شكري/ أحمد عبد الحميد غراب/ الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٧م ،ص٧٦.٠ط.ب)

(٢) دراسات أدبية/ عبدالرحمن شكري شاعراً د/ عبدالفتاح الشطي/ الهيئة المصرية العامةللكتاب١٩٩٤م / ص١٧٥.

شاعر الوجدان . التي عنيت بدراسة قضايا وجدان الشاعر ، وتـأثره بالطبيعـة ، والموت ، والمرأة ، وأخلاق الأمة ، وحلـل فيهـا الناقـد بعـض روائـع شـكري التشاؤمية. وهناك الناقد أنس داود وكتابه عبدالرحمن شكري ونظرات في شعره وهو مؤلف تناول أهم القضايا في حياة شكري، وتكلم عن خمس قصائدعـدّها مختارات من شعر الشاعر.

كما قدم محمد السعدي فرهـود دراسـات عديـدة لشـكري منهـا (شـعر عبدالرحمن شكري) حلل تشـاؤم شـكري ووصـل بتحليلـه إلى إثبـات الرؤيـة التعادلية بين التفاؤل والتشاؤم و(التيار الفكـري في شـعر عبـدالرحمن شـكري، الاتجاهات الفنية لدى عبدالرحمن شكري) (لحق ديوان شكري) ، أمـا الـدكتور شوقي ضيف فقد تناول التشاؤم لـدى شـكري في مؤلفـه (دراسـات في الشـعر العربي المعاصر) بطريقة مختصرة ناقدة ، والحق أنه قد كتب الكثير حول شـكري وتشاؤمه وقد استعنت كثيرا مـن هـذه الدراسـات وسـأحاول أن تكـون هـذه الدراسة إضافة إلى ما كتب حول هذا الشاعر الرائد العاطفي العقلاني.

ومن خلال تلك الدراسات استوقفني الحكم الذي أصدره بعض النقاد على ذلك الشاعر بالتشاؤم مما دعاني إلى قراءات متكررة لدواوين الشاعر تخلل هـذه القراءة نوع من الإعجاب والتعجب !دفعني إلى إجراء تلك الدراسة حول هـذا الجانب من شعر الشاعر.

ومما شدني إلى قصائده إحساسه الشديد ، والسريع التأثر بما حوله ، وقدرتـه العجيبة على تحليل الأمور عقلانياً ونفسياً ، والحكم عليها مـن منظـور الحقـائق

الدنيوية المعاشة التي اصطدمت بخياله العذب الحالم أنه يحكم على كينونته كشاعر عندما يقول: فلقد كان بالأمس نديم الملوك.. ولكن اليوم رسول الطبيعة، ترسله مزوداً بالنغمات العذاب كما يصقل النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً)[1].

ولعل هذه الرؤية تكشف لنا عن حقيقة هي أن الشعر تعبير عن حياة الشاعر ومجتمعه ، فهو المعبر عن آماله وآلامه وأحلامه عن شخصيته وذاته، وفيه نرى صور واضحة لمجتمعه وكما قيل الشعر مرآة المجتمع..

(١) ديوان الشاعر/ عبد الرحمن شكري / ج،ت نقولا يوسف ح٤ / ص ٢٨٧ ./ن المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠م

أهداف البحث:

تساؤل يفرضه العقل كيف يكون هذا الشاعر رسول الطبيعة التي ترسل نغماتها العذبة كي يصقل النفوس ويوجهها للخير أو الشر!!.. ثم تعرف عن هذا الشاعر تلك السوداوية والتشاؤمية التي رماه بها نقاد وكتاب لهم ثقلهم وقدرهم.

هل صحيح أن:

أ – معظم ما قدمه الشاعر قد صدم أذواق الجماهير كما ذهب إليه أحد الباحثين؟(1) واذا صح ذلك فما أبرز دواعي التشاؤم وتداعياته في حياة شكري.؟و ما هي أهم مظاهر التشاؤم في شعر الشاعر؟و ما مدى صدق التجربة العاطفية الشعرية لدى شكري؟و ما سمات بنية القصيدة التشاؤمية لديه؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت في منهج البحث المنهج الوصفي التحليلي وقد جرى بمشيئة الله توزيع فصول البحث على النحو الآتي:

التمهيد حيث تضمن مبحثين هي التشاؤم وأسبابه كمرض نفسي- وعن الأسباب الداعية للإصابة به ومظاهر هذا المرض الدالة عليه.

وتناول المبحث الثاني تتبع ظاهرة التشاؤم لدى شعرائنا العرب منذ العصر-

(1) انظر الرؤية الجديدة للنقد والشعر عند عبدالرحمن شكري/ ص13/ رسالة ماجستير للطالب/ أبوطويله- بكلية اللغة العربية- جامعة أم القرى.

الجاهلي متصلاً بصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي وعصر الدويلات إلى العصر الحديث.

كما سيتناول الفصل الأول الحديث عن حياة الشاعر وسيرته والدوافع النفسية لديه التي دفعته إلى إنتاج و أنتج وما قدم من زاد ثقافي وعلمه وأدبه.

تحليل دواعي التشاؤم وتداعياته لدى الشاعر والعوامل التي كان لها الأثر في حياة شكري علمياً وأدبياً ووجدانياً وأهم انعكاساتها عليه.

وفي الفصل الثاني تتبع البحث أهم مظاهر التشاؤم لدى الشاعر الذي قد تنوعت مظاهر التشاؤم لديه من خوف يرقبه في كل شيء ، وسوء ظن بالناس ، وحتى بالنفس ، وحب للموت وتفضيله على الحياة. واعتزال الحياة وجميع ملذاتها.

وقد عالج الفصل الثالث:الدراسة الفنية في حيث درست شعر الشاعر فوجدت الأفكار المعبرة عن رغبة المبدع المتلقي ، ولما كان التناغم بين الفكرة والأسلوب ، فلا مندوحة من استقرارها في ذهن القارئ وإثراء وجدانه ، لاسيما ا ذا خلع عليها الشاعر من مواطن الحسن والجمال مع تغليفها بألوان الموسيقى العذبة التي تؤثر في النفس وتخالط الحسن ، فتعبر عن دخيلة الشاعر وذلته وترتبط بوجدان القارئ وأحاسيسه.

الخاتمة :

وستحوي ملخصا لأهم النتائج التي توصل البحث إليها .

التمهيد

المبحث الأول:التشاؤم مرض نفسي،أسبابه ومظاهره

المبحث الثاني:مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري العربي

حتى يتحقق الاتزان الذي يدفع عجلة الحياة إلى الأمام. لابد من تفاعل الإنسان مع من حوله. تفاعلا سليما يدلل على (قدرة الإنسان على تكوين العلاقات المرضية بينه وبين البيئة)(١). وللإنسان طاقات نفسية، وجسدية، لكل منها دوره الفعال في إدارة هذه العملية الدينامية التي قد تكون نتائجها إيجابية فتتزن حياة الفرد، أو تكون سلبية فتحدث الاضطرابات للنفس الإنسانية. والتشاؤم نوع من أنواع هذه الاضطرابات فالتشاؤم لغة (المتطير، ومن يسيء الظن بالحياة (محدثة)الشؤم يعني الشر، وشأمُهم شأمْاً جر عليهم الشؤم وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾(٢). وقد ورد في القاموس المحيط أن الشؤم ضد اليمن. والتطير معنى يلازم التشاؤم.

فيقال: هو إنسان متطير بمعنى أنه متشائم. فالتطير لغة (تفاءل به ومنه تشاءم. وأصله التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم وفي التنزيل الكريم (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه)(٣).

---

(١) التكيف النفسي، د. مصطفى فهمي ، ناشر مكتبة مصر- الفجالة، دار الطباعة الحديثة، الأردن، ط [بدون]. ، ص١١

(٢) المعجم الوسيط ، أخرج الطبعة د. إبراهيم عبد الحليم منتصر ، محمد خلف الله ، مطبعة الصوالحي . ج١ ص ٤٦٩ ، ط٢

(٣) القاموس المحيط للفيروزبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب، ناشر دار إحياء التراث العربي ٧٢٩٠،
=

ومما قيل حول تطير العرب تفاؤلاً وتشاؤماً قولهم: (وجرى لهم الطائر الأشائم والطير الأشائم

فـإذا الأشـائـم كالأيـا ... مـن والأيـا مـن كالأشـائم

وفي معنى التطير تشاؤماً قال زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد تم نرضع فتفطم[(١)]

وعندما يستعمل التطير تفاؤلاً يقال: (مجازاً طائر الله لا طائرك وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ وفي قول الطماح.

وإذ دهـرنا فيه اغترار وطـيرنا ... سواكـن في أوكـارهن وقـوع[(٢)]

بمعنى أن الطيور سواكن إذ كانوا قارين .

وفي معجم المعاني للمترادف والمتوارد يُفَسر الفرق بين الكلمتين. فالتشاؤم يعني (الميل إلى توقع الضرر وأسوأ النتائج في كل أمر، والنظر إلى الجانب الأسود من الأشياء. كما تعني الاعتقاد بأن العالم القائم هو أسوأ ما يمكن، وأن الشر في الحياة يفوق الخير.)[(٣)]. وأما عن التطير فهو (التشاؤم من رؤية أو سماع شيئ

=

٨١٧هـ، ح٤ ص٥٧٤ ،

(١) أساس البلاغة للإمام جارالله محمد بن عمر الزمخشري،حققه وقدم له د. شوقي الحصري. د/ عزيز نعيم ، مكتبة لبنان ط١. ٤٦٧/ ٥٣٨/ ١٧٠٧٥/ ١١٤٢/ ص٤٠٥

(٢) المصدر السابق/ ص٥١٧.

(٣) معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض. من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير/ نجيب اسكندر، ،

=

معين)[1]. فمثال المرئي التطير بأصحاب العاهات، والمعلوم التشاؤم ببعض الأيام والشهور والمسموع التشاؤم بسماع كلمة*كما أن لعلماء النفس مفهوماً يوضح الرؤية ويحددها فإن (التشاؤم نزعة اعتبارية في الذهن إلى رؤية كل شيء أسود قائماً وأخذ الجانب السيئ من كل شيء. وإهمال كل ما عداه ذلك أنه يتألف جوهراً ... من عادة ذهنية شاملة دائمة. فلا يصح الخلط بينه وبين نوبات الكآبة الطارئة وضيق الخلق الذي يهاجم الإنسان العادي فجأة يميل به في فترات نحو التبرم بالحياة والتذمر من تصاريفها[2].والذي يُفهم هنا أن التشاؤم ليس حالة وقتية بل هو حالة مرضية نفسية ملازمة للشخص مدى الحياة فيكون المتشائم ذا (تركيز مقاوم امتداد العمر على الجوانب السلبية للحياة (الألم، الموت، الفقدان، الإحباط، الصراع، مشاعر الذنب، الاستياء، المشكلات التي لا حلول لها، الأخطاء الممكنة، الخيانة، الأشياء الخاطئة التي يمكن أن تحدث مع الإقلال من شأن الجوانب الإيجابية أو المتفائلة أو إنكارها. وقد يتضمن ذلك مشاعر فقدان الحيلة، أو فقدان القدرة على التحكم بناء على توقع أن المرء لا يستطيع منع الأحداث السلبية في الحياة[3]. ومن خلال ما تقدم نلمس الفرق بين التشاؤم

=

دار الآفاق العربية. ط١، ١٤٢١/ ٢٠٠١/ ص٩٢

(١) المرجع السابق/ الصفحة نفسها.* انظر مقال التشاؤم عادة الجاهلية/ ٢٢/ ٨/ ١٤٢٥/ الشبكة الإسلامية www.islam.net .

(٢) تغلب على التشاؤم وسلطان الإرادة/ الموسوعة النفسية/ / دار إحياء العلوم/ بيروت/ عبداللطيف شرارة/ ط٥، ١٤١٧هـ. ص١١

(٣) مرجع اكلينيكي في الاضطرابات النفسية/ دليل علاجي تفصيلي/ تحرير د/ يفيده بارلوا. أشرف
=

والتطير فالتشاؤم مرض يصيب المرء ويلازمه يقوقع حياته ، وأما إيجابياتها معتمة مظلمة.

أما التطير فأصل استخدام الكلمة للتفاؤل، ثم خضع المصطلح لمعنى التشاؤم ولكن ليس تشاؤماً من السلبيات اليومية. بل هو تشاؤم من رؤية شيء، أو سماع صوت، أو الدخول في شهر معين.

والمتشائم شخص له ا قتناعاته الشخصية تأثرت بعوامل بيئية اجتماعية وسياسية فكونت لها سمات خاصة بها، والشخصية بشكل عام هي (مجموعة سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية، وتعبيراته، واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل وفلسفته في الحياة[1]. ويعرف مورتن برتس الشخصية بأنها (مجموعة الاستعدادات والميول والدوافع والقوى الفطرية الموروثة بالإضافة إلى الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة[2]. وسمات كل شخصية تتشكل وتنمو معها مكتسبة ميزاتها الخاصة بها من خلال تأثرها بالعوامل المحيطة بها والتي تتلخص في عوامل أولية وثانوية[3].

=

على الترجمة صفوت فرح/ مكتبة انجلوا المصرية. ط/ بدون.ص٥٨٨

(١) المدخل إلى علم النفس/ عبدالله عبدالحي موسى/ ٣٤٨/ ط٣/ ١٩٨٨/ حقوق الطبع والنشر-محفوظة للمؤلف.

(٢) المرجع السابق/ الصفحة نفسها.

(٣) للإطلاع على هذه العوامل بالتفصيل انظر كتاب الصحة النفسية والعلاج النفسي- حامد زهران/ ص٥٥/ ط٣/ ن/ عالم الكتاب ١٩٩٧م ، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/ محمد محمود

=

العوامل الأولية تتمثل في الآتي:

١- الوراثة تنتقل إلى الفرد من والديه وأجداده عن طريق الموروثات والجينات... وتلعب الوراثة دورها في تحديد الخصائص الجسمية للفرد. وفي تكوين الجهاز العصبي. والإنسان يرث الاستعدادات والخصائص الأولية للسلوك بشكل معين.

٢- العوامل الحيوية:التوازن في افرازات الغدد التي تجعل الإنسان سليماً نشطاً وتؤدي اضطرابات الغدد إلى الاضطراب النفسي.

٣- الجهاز العصبي: ويشرف على جميع الوظائف العضوية فإذا أصيب الجهاز العصبي بتلف يؤدي ذلك إلى اضطرابات ملحوظة في الشخصية.

٤- البيئة: وهي عامل مهم المقصود به جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص منذ بدء نموه، وتتأثر خبرات الطفل البيئية بعدة عوامل: الأسرة، الأخوة، الثقافة.

من ناحية الأسرة فالطفل يتأثر بأمه وبأبيه في المقام الأول ثم أخوته وأقاربه وهكذا تتشابك هذه المؤثرات حتى تصبح نسيجاً نفسياً واجتماعياً يحيا الطفل في إطاره.

وللثقافة تأثير فكما يولد الطفل داخل مجتمع. فهو يولد داخل ثقافة خاصة

=

محمود/ دار الشروق / جده.ص ٢١١

بهذا المجتمع يؤثر فيها كما يتأثر بها. فيمتص عنها العادات والتقاليد، والعرف والقيم[1].

العوامل الثانوية تتلخص في التالي[2]:

١- أثبتت الدراسات التي أجراها العالم ويروس أن الانفعالات الحادة تؤخر سرعة نمو الأطفال وأن القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة ومدة الحمل يؤثران في الطفل.

٢- الأمراض التي تصيب الأطفال وتؤثر في نموهم الطبيعي. كذلك يتفاوت نمو الطفل تبعاً للسلالة القصرية التي ينتمي إليها الطفل.

٣- الولادة المبسترة. أي الولادة دون اكتمال نمو الطفل. أو اكتمال مدة الحمل.

٤- الهواء النفسي وأشعة الشمس.

ومن الطبعي أن تعمل كل هذه العوامل متفاعلة مع بعضها في تكوين الشخصية رغم أنه قد تطغى جوانب على أخرى لكنها لا تعمل منفردة، فماذا عن مكونات الشخصية الداخلية حسب ما ورد في نظريات التحليل النفسي لفرويد

(١) راجع/ علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/ محمد محمود/ ص٢١٤+ المدخل إلى علم النفس/ عبدالله عبدالحي موسى/ ٣٦٢.

(٢) انظر علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام/ محمد حمود/ ص٢١٦.

فإن النفس تتكون من[1] (الهو. ومضمونه كل ما هو موروث... وهناك الأنا الذي ينشأ نتيجة تأثير العالم الخارجي الواقعي على الهو فيطرأ تغير خاص عليه، ويسيطر الأنا على الحركات الإرادية كما يقوم بمهمة حفظ الذات كذلك، يتعلم معالجة المتغيرات الخارجية، وكراسب من رواسب الطفولة يتكون في الأنا منظمة متأثرة بالوالدين يطلق عليها الأنا الأعلى، وهذا الأنا الأعلى قوة ثالثة، وعلى أنا أن يكون مصيباً في فعله إذا أشبع مطالب الهموم الأنا الأعلى. ويمكنه حينئذ التوفيق بين مقتضياتها)[2]. ولكي يسود الوفاق داخل النفس الإنسانية على هذه المكونات التوازن، فلا يطغى أحدها على الآخر (فيقوم الأنا بمهمة شاقة ودقيقة إذ عليه مراعاة السلطات الثلاثة وهي العالم الخارجي، والهو في الأنا الأعلى... وفشله يؤدي إلى ظهور أعراض الأمراض والاضطرابات العصبية)[3].

ونلاحظ فيمن حولنا اختلاف مزاجية كل فرد عن الآخر، فهناك العصبي المزاج وهادئه والمتفائل والمتشائم، والمنطوي والمنبسط، تلك الأنماط تمثل

---

(١) للإطلاع على مكونات الشخصية الداخلية بالتفصيل راجع الموجز في التحليل النفسي/ سيجموند فرويد/ . ترجمة سامي محمود محمد، علي عبدالسلام القفاس/ مراجعة مصطفى زيوز، ط٢/ دار المعارف بمصر. ص١٦ – ١٧

(٢) انظر الموجز في التحليل النفسي/ سيجموند فرويد/ ص١٦ – ١٧ ترجمة سامي محمد علي/ عبدالسلام العفاس/ مراجعة مصطفى زيوز/ ط٢.

(٣) انظر الذات والغرائز/ سيجموند فرويد/ ترجمة عثمان نجاتي/ مكتبة النهضة بمصر.ص١٩

أشخاصاً يختلفون في أشكالهم النفسية والعقلية، ومن أقدم من حاول تحديد الأنماط أو تقسيم الناس إلى أنماط[1] (الطبيب اليوناني هيوقراط. وله نظرية يقسم الناس فيها إلى أربعة أنماط.

١- المزاج السوداوي. وهو الشخص الذي يغلب عليه المزاج السوداوي الحزين المكتئب.

٢- المزاج الدموي وهو الشخص السهل الاستثارة في غير عمق أو اتساع.

٣- المزاج الصفراوي الشخص شديد الانفعال مع تغلب الجانب الجدي وقلة السرور.

٤- المزاج البلغمي. وهو المتبلد الشعور قليل الانفعال.

إذ اختلطت هذه الأمزجة بنسب متكافئة كان الشخص سليماً من الناحية النفسية وينشأ المرض النفسي عندما يغلب أحدها على الآخر.

ولقد تطورت نظرية هيبوقراط ومرت بتحولات كثيرة وبنظريات باختصار هي:[2]

١- نظرية كرتشمر:

وتعتمد على مفهوم أن هناك علاقة بين السمات الجسمية والشخصية فهناك

(١) انظر المدخل إلى علم النفس/ عبدالله عبدالحي موسى/ ص٣٦٨.

(٢) راجع المدخل إلى علم النفس/ عبدالله عبدالحي موسى/ ص٣٧٠.

النوع البدين أو القصير، النوع النحيل أو النحيل الطويل النوع الثالث الواهن والرياضي.

٢- نظرية شلدون:

ويرى أن سمات الشخصية ترتبط بنمو مناطق محدودة في الجسم: النمط الداخلي التركيب، المتوسط التركيب، الخارجي التركيب.

٣- نظرية سيبر يتجر:

تصنف هذه النظرية الأشخاص تبعاً لاهتماماتهم.

٤- نظرية يونج:

ميز يونج اتجاهين في الشخصية اتجاه منبسط واتجاه منطوي. فالمنبسط يولي اهتمامه الأساسي إلى العالم الخارجي الموضوعي، والشخص المنطوي هو الذي يولى اهتمامه نحو العالم الداخلي الذاتي.

حسب ما تقدم نجد أن علماء النفس قد اعتمدوا في تحليلاتهم لمزاجية الأفراد على الزوايا الجسمية، أو زوايا داخلية تكوينية في الجسم، أو على الهرمونات الداخلية، أو على السلوك الاجتماعي للأفراد. ومنهم من وجد أن (العواطف نوع هام من الدوافع المكتسبة للسلوك، ويترتب على تكوينها تعديل السلوك وتنظيم الدوافع الفطرية وتوجيهها وجهات معينة مقيدة بالبيئة المحيطة، ويعتبر

تكوينها من أهم أنواع ملائمة عقل الفرد للبيئة المحيطة به)[1]. وفي كل الأحوال لابد من توازن تلك الركائز الجسمية والنفسية والسلوكية العاطفية، حتى يصل الإنسان إلى درجة التكيف السليم بينه وبين مجتمعه، ويصف د/ عبدالعزيز القوصي هذا التوازن بالصحة النفسية وهي (مجموع الشروط اللازم توافرها حتى يتم التكيف بين المرء ونفسه كذلك بينه وبين العالم الخارجي تكيف يؤدي إلى أفضل ما يمكن من الكفاية والسعادة لكل من الفرد والمجتمع)[2]. وإن لم تتحقق هذه الكفاية الشخصية النفسية للفرد والسعادة الزوجية بالشكل المناسب يحدث ما يخُشى منه وهو السلوك غير السوي وهذا ما أوضحه علماء النفس (فقد اعتبروا التكيف شرطاً أساسياً للسلوك الخالي من السوداوية والعقد)[3].

وبالتالي إن لم يتم هذا التكيف بالطريقة السليمة يحدث ما يسمى بالاضطرابات النفسية، والتأزم. فهل يرث الإنسان تلك الاضطرابات والأمراض العصبية إن الذي (يرثه الإنسان هو الاستعداد، أو القابلية نحو الإصابة نتيجة عوامل تكوينية من نوع خاص أهمها الحساسية الانفعالية ، سرعة التأثر ، عدم الاتزان الانفعالي بسبب ما يصيب الجهاز الغدي من اضطرابات في إفرازات الهرمونات)[4].

---

(١) أسس الصحة النفسية/ عبدالعزيز القوصي، / مكتبة النهضة المصرية/ ط١/ ١٩٨٢.ص٩٣

(٢) أسس الصحة النفسية/ د/ عبدالعزيز القوصي، ص٧٥.

(٣) الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي/ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ط (بدون) .ص٤٢

(٤) المرجع السابق، ص٧١.

ويميز د/ مصطفى فهمي الأفراد من حيث مواقفهم تجاه الأمراض النفسية إلى أصحاء في التكوين وإلى مرهفي الحس (فالأصحاء يسلكون الطريق الطبيعي إذا ما اضطروا إلى مواجهة مواقف تدفع بهم إلى الإحباط والصراع. أما مرهفي الإحساس فسرعان ما تضطرب حياتهم، وتنهار مقاومتهم)[1].

وعن دور الطفولة في حياة الفرد، إذ تعتبر الطفولة لبنات البناء الأساسية في كيان الشخصية، وتركيباتها، فأحداثها أكثر رسوخاً، وتأثيراً في ذاكرة المرء بكل معالمها السعيدة والحزينة، لذلك إذا ما صادف علماء النفس مشكلة في سلوكيات مريض، رجعوا إلى طفولته، والمؤثرات التي أحاطت بها فإذا (مر الطفل بخبرات نابعة من مواقف الحرمان والشعور بالتهديد وتعددت هذه المواقف وازدادت حدتها أدى ذلك إلى تمهيد الطريق لتكوين شخصية تعاني من الاضطرابات والقلق والصراعات الانفعالية وهذه كلها عوامل تؤدي إلى المرض)[2].

ويبدو مما سبق أن الطفولة المهددة بعدم الكفاية والسعادة وعدم الأمان قد تولد شخصية غير متكيفة قابلة للوقوع في شراك الانطواء والعدوان (فإذا لم يتقبل المرء نفسه، والجماعة التي يعيش فيها. فإنه يتعرض للمواقف الاحباطية التي تجعله يشعر بالعجز والفشل، وعندها تسوء درجة التكيف الاجتماعي،

---

(١) الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي، ص٧١.

(٢) الإنسان وصحته النفسية / مصطفى فهمي ،، ص١٠٧.

وهذا ما يدفعه إلى الانطواء والعدوان)[1]. وإلى النظرة السوداوية المتشائمة نحو المجتمع ونفسه.

ومن أشهر قدماء المفكرين الذين غرقوا بنظرتهم السوداوية نحو الحياة المفكر شوبنهاور يوضح في كتابه (العالم إرادة وفكر) رأيه د/ عفيف عبدالرحمن. فهو يرى أن طبيعة الإنسان لا تتفق مع الخير، وأنها تنسجم مع الشر، وهو يرى أن كل شخص بعد أن يدرس خبراته وخبرة الآخرين يستطيع أن يصل إلى نتيجة هي أن العالم كله مملكة الحظ والخطيئة. تتحكم فيها بدون رحمة سواء في صغار الأمور أو العظام منها وأن الجيد يجد صعوبة في شق طريقه على العكس فالشرير يصل بسهولة إلى مرحلة السيادة)[2]. والنتيجة التي وصل إليها شوبنهاور تعني أن الشر يغلب الخير ويسوده لأن الشر يوافق طبيعة الإنسان لا الخير. وهذا مفهوم شديد العتمة فقد يغلب الشر أحياناً لكنه لا يسود الخير أبداً.

وخلاصة رأي شوبنهاور حول الحياة (أن الإنسان إن كان واقعياً وموضوعياً مع نفسه، وفي كامل قواه العقلية. لن يتمنى أن يعيشها مرة أخرى، بل يتمنى الفناء المطلق الذي لا حياة بعده)[3]. وقد يعني هذا أن العاقل لن يتمنى حياة

(١) انظر المرجع السابق، ص٥٢.

(٢) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء/ د/ عفيف عبدالرحمن/ دار العلوم الرياض ١٤٠٣/ ط١ / ص١٧ بتصرف.

(٣) عن المرجع السابق/ ص١٨ نقلاً.

أخرى لأنها لن تكون أفضل من الأولى بل أن الراحة في نظر شوبنهاور، أو العاقل الحصيف الذي جاء إلى هذه الدنيا أن يفنى بعد حياته الأولى، ويباد فلا يعاود الكرة مرة أخرى بل ويذهب في آرائه إلى (أن الوجود الإنساني بعيد أن يكون هدية من احد بل هو دين قد تم الاتفاق عليه من قبل، وأن ما يدفعه الإنسان في حياته ليس هو الدين بل الفائدة المترتبة عليه، وأن دفع رأس المال لا يتأتى إلا بالموت)[1]. فالحياة في نظر المفكر كالدين بالربا. فهي ليست هبة الله يجازى عليها من أحسن استخدام هبته ثواباً، ومن أساء استخدامها عقاباً، بل هي دين فائدته تلك المعاناة والأشرار التي نحياها، ونتذوقها، أما عن دفع رأس المال، وهو قيمة الدين فهذا لا يتأتى إلا بمعاناة نزاع الروح الموصول بالموت على أشكاله المأساوية المختلفة في الحياة. وليس شوبنهاور الوحيد في أفكاره التشاؤمية بل تشاركه الأمر الفلسفة البراجماتية وهي فلسفة ليس لديها عقائد يقينية أو جزمية وليس لديها هدف تسعى إليه مثل إله (العقل أو الحق أن ما تسعى إليه هو المنفعة الشخصية باستخدام كل الوسائل والأدوات للحصول إلى السعادة والإشباع والرضا والسرور)[2]. ومن مفكري هذه الفلسفة وليم جيمس الذي يتساءل (هل تستحق الحياة أن نحياها؟ وهل التشاؤم صفة دائمة ملازمة للإنسان أم هو مزاج عارض؟ وهو يقرر أنه توجد في أعماق كل منا زاوية حيث

---

(١) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء/ عفيف عبدالرحمن، ص١٩.

(٢) راجع مقال/ الفلسفة الغربية بين معاودة الإيمان والحق إلى نسيانها (أحمد إبراهيم مبارك) إسلام أون لاين نت ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٢.

يعمل بها السر النهائي للأشياء بحزن وأسى، وأن هناك نفوساً ليست بقادرة على السعادة حيث يبدو العالم لها كوكر دائم الخوف أكثر منه ينبوعاً دائماً للسعادة)[1] والحزن والأسى في نظر وليم جيمس سر دفين في زاوية النفس الإنسانية يسكن النفوس ويتعمقها ويجعلها تهاب الحياة وتخشاها، فالحياة بالنسبة لها مخبأ للخوف والألم فهي ينبوع تتدفق الأحزان فيه، وتغلب ينابيع السعادة.

ولفرويد عالم التحليل النفسي رأي آخر في مسألة التفاؤل والتشاؤم فهو (يعتبر التفاؤل هو القاعدة العامة في الحياة، وأن التشاؤم لا يقع في حياة المرء إلا إذا كان لديه ما يعرف بالعقدة النفسية، وهي ارتباط وجداني سلبي شديد التعقيد والتمسك بإزاء موضوع من الموضوعات الخارجية أو الداخلية فتجد نفسك غير قادر على حل أي عملية حسابية مهما كانت سهلة، ولا يكون عجزك نابعاً عن ضعف في الذكاء...وإنما هو مردود إلى العقدة النفسية التي تجعلك كارهاً لحل المسألة... ونستطيع أن نحكم عليك بأنك صرت متشائماً إزاء العمليات الحسابية)[2]. والأصل لدى فرويد التفاؤل في الحياة، وهو يختلف عمن سبقوه في مفهوم التشاؤم إذ أن التشاؤم عقدة نفسية مسيطرة على النفس تحدث نتيجة فشل ما في زاوية معينة لكنه لا يرفض الحياة أو أحقية العيش فيها كما أنه لا يجد النفس الإنسانية ميالة للتشاؤم أكثر منها للتفاؤل طبيعة وأصلاً.

---

(١) انظر ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ عفيف عبدالرحمن/ ص٢١.

(٢) عن التفاؤل والتشاؤم/ يوسف ميخائيل أسعد/ دار النهضة مصر الفجالة/ ص١٧/ ط [بدون] نقلاً.

ومن الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى معاناة قد تصل به إلى أمراض نفسية وجسدية. ما يسمى بسوء التكيف وقد يكون سوء التكيف هذا اجتماعياً، أو مهنياً، أو ذاتياً و(سوء التكيف الاجتماعي يتمثل في عجز الفرد عن مجاراة قوانين الجماعة، ومعاييرها أو عن عجز عقد اتصالات اجتماعية مرضية مع والديه، أخوته، مدرسيه، أو رؤسائه ، أو مرؤوسيه. وسوء التكيف المهني يتمثل في إخفاق الفرد في عمله لعدم تناسب قدراته مع عمله، أو لأنه يجد عسراً في صلاته بزملائه ورؤسائه في العمل، وسوء التكيف الذاتي يبدو في عدم رضا الفرد عن نفسه...أو عدم الثقة بها)(١). وقد يكون المزاج الشخصي أحد أسباب الإصابة بالتشاؤم (إذ يعتقد أن أنماط المزاح تجعل الفرد أكثر ميلاً إلى الحساسية الزائدة مما قد يحد من قدراته على تحمل الضغوط ويهيئه لأن يتجه نحو المرض النفسي)(٢). فصاحب المزاج الحساس يميل إلى الاعتقاد السيء وسوء الظن في أمور كثيرة قد لا يكون لها أصل، فتمنعه من ممارسة أجمل الصلات وعقد الصداقات وتخطي الأزمات. وهذا قد يؤدي به إلى الإحباط .

والتبلد أحد نتائج الإحباط الذي يجعل الفرد غير آبه لانجازاته الشخصية مما يقوده إلى حالة معينة (تلك الحالة تعاف فيها الرغبات الإنسانية أو الحوافز أو

---

(١) التكيف النفسي/ مصطفى فهمي/ ص٣٠٩.

* بما أن التشاؤم مرض نفسي كان أصحاب الأمزجة السوداوي والصفراوي معرضون للإصابة، راجع ص٦.

(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي/ حامد زهران/ ص١١٤.

المصالح الخاصة بالفرد من تحقيق أهدافه)[١]. فتتركه فريسة للهموم والأوهام التي تأكل الهمة، وتقضي على الدافع الإنساني للفرد.

كذلك ضعف الإرادة وانخفاض الهمة، وتهتك الهزيمة من أسباب تشاؤم الفرد (فالإرادة الواهية تضاعف من تشاؤمه... أنه المحروم من الشجاعة... فتجره الدوامة إلى أسفل إن استسلم غرق وإن قاوم بإرادة وبصلابة نجا)[٢]. وقد تكون الأحداث العام منها والخاص. والعالم يزخر من حولنا بها من أهم الأسباب المؤدية إلى التشاؤم (فالحياة تحمل في طياتها الحوادث... منها المؤلم الذي يثقل الكاهل...فبعضنا ينزعج قليلاً وبعضنا ينزعج كثراً ولا ينسى)[٣].

والأحداث المفاجئة...سواء كانت أحداثاً طبيعية كالزلازل أو البراكين أم كانت أحداثاً عالمية كالحروب أو المجاعات أم غير ذلك... ولاشك أن مثل هذه الظروف تؤدي إلى انتشار التشاؤم في القلوب وتجعل الناس ينظرون إلى من حولهم بمنظار أسود حالك)[٤].نظراً لما يعود على الأفراد من جراء تلك الحوادث من اضطرابات صحية ونفسية وتفشي الفقر والعادات السيئة والأخلاق الذميمة في التعاملات الفردية، فالحاجة قد تؤدي إلى مسالك سوداء

---

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي/ د. حامد زهران/ ص١١٧.

(٢) "السيكولوجية المبسطة الخجل والتشاؤم"/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت ط١/ ١٩٧٨ نقلاً .ص ٨٩-٩١

(٣) المرجع السابق/ ص٩٠ نقلاً .

(٤) التفاؤل والتشاؤم/ ميخائيل أسعد/ ص٣٠- ٣٢ نقلاً .

تعمي البصائر وتصم القلوب، فتهاجم الحسرات أصحاب النفوس السوية الحساسة فتصيبها بالقلق والخوف من المجهول ومفاجآته والحاضر المليئ بسواد تعاملاته.

وتقدمت الإشارة إلى أن التربية أحد العوامل النفسية التي تشرق على النمو النفسي للطفل، فصلاحها يؤدي إلى تكوين نفسية سليمة والعكس واقع وتؤثر في تكوين شخصيته فا (التربية التي يتبعها المجتمع تحدد مدى تمتع الناشئة بالطمأنينة أو عكسها فالتربية التي تأخذ باستذلال الناشئة من الأبناء والتلاميذ وضربهم ضرباً مبرحاً ... إنما تؤدي إلى هروب الطمأنينة من قلوبهم وتلاشي السعادة من أفقهم النفسي)[(١)].

ونِعم الله لا تعد ولا تحصى، لكن الصحة نعمة كبرى من نعمه في الحياة بدونها لا يستطيع الإنسان الاستمتاع بالحياة، وملذاتها أو ممارسة أحب العبادات، ولا أبسط الرغبات، وضعف الصحة سبب رئيسي من أسباب التشاؤم لأن الصحة (تلعب دوراً مهم في توجيه سلوك الإنسان، فقد أجمع الأطباء على أن التشاؤم صدى اعتلال صحي يظهر في أخلاق المريض، ويتمثل في أفكاره وتصرفاته)[(٢)].كما يؤثر المظهر الجسماني تأثيراً كبيراً على اتجاهات الشخص.بل كثيراً ما نجد شخصاً ابتعد عن بيئته بسبب فروق ملحوظة في

---

(١) التفاؤم والتشاؤم ميخائيل أسعد/ ص٣١- ٣٢.

(٢) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص٢٢ نقلاً عن لطفي خميس/ الإرهاق العصبي/ ص٩٥ نقلاً .

تكوينه أو مظهره... ومن أمثلة هذه الفروق ظروف العجز الجسماني، أو انعـدام التوازن في تأدية وظائف الغدد أو العمى أو الصم، كل هذا العمـل تعمـل عـلى عزل الفرد عن غيره من أفراد مجتمعه، وبالتالي قد تؤدي إلى التشاؤم)[1].

وللتشاؤم صفات، ومظاهر مختلفة ومتنوعة من شـخص إلى آخـر، حسـب شخصية المتشائم وجنسه من ذكر وأنثى، وليس مـن الضرـوري أن تجتمـع كـل الصفات لدى شخص بعينـه لكـن صـفات المتشـائم ترجـع إلى حالتـه البيئيـة، وتكوينه النفسي والجسدي وظروفه المحيطة به)[2]. ومن هذه المظاهر.

أ) التردد وعدم الثقة أو الانطواء والاستمتاع بالألم تلك الصفات تؤثر عليه وتجعله فاقد الثقة بحاضره ومستقبله، فهو منطوي الدخيلة متقوقـع الشخصـية دائم الإحساس با (الجمود الفكري والانطواء على الذات والاسـتمتاع بـالألم أو التعاظم الباطني)[3]. ومن المعتاد أن يلتذ الإنسان طعم السعادة لكن الغريب في الأمر أن المتشائم يلتذ الألم فـ (تراه يحبس نفسه طوعاً في كآبـة غـير حقيقيـة مـن صنع خياله، ثم ينتفخ ويتعاظم موهماً نفسه أنها تتعالى بانطوائها واحتباسها، وما ذاك إلى إلا تعاظم باطني، كما أن المتشائم يلتذ بتصوير آلام الإنسانية، وتجسـيمها

---

(١) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى ابن الرومي/ ص٢٤ نقلاً.

(٢) تغلب على التشاؤم سلطان الإرادة الموسـوعة النفسـية // عـرض تلخيص عبـداللطيف شراره/ ط٥/ دار إحياء العلوم بيروت ص١٨/ بتصرف.

(٣) المرجع السابق/ ص١٧ – ١٨.

ليُنفر الناس من هذه الحياة على نحو ما فعل شوبنهاور حينما رد على ليبنز داعية التفاؤل)[1].

ب) السلبية الروحية والغيرة والحسد تهيئ للمتشائم رؤية دونيته النفسية، فيلجأ إلى حالات الحقد والكراهية والغيرة، والتي لا تدفعه إلى تحسين وضعه بل تبقيه حبيس مكانه يصبو نحو هدف وصل إليه غيره بذكاء وتفاعل مع البيئة.

جـ) وعن سيطرة العقل والتفكير السلبي على صحة الجسد وسبب اعتلاله يذكر د/مصطفى فهمي أن الجسد والعقل يؤثران على بعضهما تأثيراً واقعياً مثلاً (إذا انفعل الإنسان وشعر بالخوف تزداد ضربات القلب وأن معظم الأمراض السيكوسوماتية وهي عضوية إلا أن مصادرها ترجع إلى أسباب انفعالية مثل الإمساك الشديد، وجع الرأس، الحساسية)[2]. كذلك أن سيطرة العقل على الجسد قوية إذ أن (المتشائم يظل يهزل ويضعف لأنه يضع في ذهنه سلفاً أن لا فائدة ترجى من المعالجة أو من مقاومة أدواء النفس)[3] لأن الحياة شر لا خير فيها، فإن عدمت الراحة النفسية كان (عدم الاتزان النفسي للفرد واضطرابه الانفعالي المتكرر، والذي يعتبر المصدر الأساسي لأدواء النفس التي تتخذ مظاهر جسمية أو نفسية)[4].

---

(١) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص٢٩ - ٣٠ بتصرف

(٢) انظر الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي/ ص١٠.

(٣) التفاؤل والتشاؤم/ ميخائيل أسعد/ ص١٧.

(٤) الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي/ ص١١ نقلاً.

ونستطيع اختيار الشاعر ابن الرومي كنموذج تنطبق عليه أكثر من صفة من صفات المتشائم فقد جمع ابن الرومي بين التشاؤم من مرئي أو مسموع وبين التشاؤم كحالة ذهنية مرضية وخصوصاً في المرحلة الأخيرة من حياته)[(١)] فكان التردد، وسوء الظن من أبرز صفاته إذ كان متطيراً يتشاءم من الأسماء والصفات والأشكال، وقد وصل به الحال إلى أن يحبس نفسه وأهله في بيته (فقد منع نفسه من الخروج من بيته حتى كان يقضي هو وأهله من شدة الجوع لأنه قعد بباب داره رجل أحدب فكان كلما حاول الخروج وفتح الباب رآه فيغلق الباب)[(٢)] وقد قست عليه الأقدار وسلب (الموت الأهل من أم وأب وأخ، والخلان من ابن وزوج)[(٣)] كما أن وصفه الجسماني كما وصفه العقاد كفيل أن يبين عن عيوب جسديه وعقليه لها تأثير واضح على نفسيته فقد كان (ابن الرومي صغير الرأس مستدير أعلاه أبيض الوجه، يخالط لونه شحوب في بعض الأحيان، وتغير ساهم كث اللحية أصلع بادر إليه الصلع والشيب في شبابه، وأدركته الشيخوخة الباكرة فاعتل جسمه، وضعف نظره وسمعه، ولم يكن قط قوي البنية في شباب ولا شيخوخة)[(٤)].

---

(١) انظر الهجاء عند ابن الرومي [رسالة ماجستير في الأدب العربي. عبدالحميد محمد حيدرة] ص٦٩-٧٠، ناشر المكتب العالمي/ بيروت ١٩٧٤.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب/ ح٢/ ص٥٣٣/ لأبي اسحاق إبراهيم بن على الحصري/ شروح د/ زكي مبارك/ دار الجيل بيروت.

(٣) راجع ابن الرومي/ عباس العقاد/ ص٩٣-١٠١/ ناشر دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط٧/ ١٩٦٨.

(٤) المرجع السابق/ ص١١٤.

كما تميز باختلال الأعصاب وشذوذ الأطوار وشواهد ذلك كثيرة مما وصف بها نفسه في شعره)[1]. وابن الرومي في صراع دائم مع مجتمعه لا يستطيع التكيف فيه، فهو بين فقر وغنى، وتعفف وسؤال، وزهد وإقبال، لكنه دائم السخط ثائر على حظه من الحياة ومن هذا المجتمع الذي لا يرتفع فيه إلا الأوغاد)[2]. وهناك رأي للدكتور/ محمد النويهي أن نقائض ابن الرومي واختلالاته، وغرابة أطواره وسرعة تأثره وعظم نهجه، وشدة تخوفه، وإفراط طيرته خليف بأن يكره الناس وينفرهم منه متغيراً شديداً).

هذا ابن الرومي شخصية مشهورة اجتمعت فيها أكثر من صفة ليكون الرجل الذي انتهى حياته من شاعر ثائر إلى شاعر متجول... فالأسباب كانت فوق طاقته هدمته وحطمت أعصابه وجعلته يؤمن بأنه قد فشل في حياته ودفعته الحاجة إلى التسكع على الأبواب، وسؤال الناس في أواخر حياته)[3].

د) عدم اتزان الرؤية لدى المتشائم أحد مظاهر تشاؤمه إذ أن ما يجري من متناقضات وصراعات بين الفضيلة والرذيلة في المجتمع تجعل من المرء دائم الإحساس بالحزن والكآبة و(الانقباض والتوجس من المجهول... يستشعر

---

(١) المرجع السابق/ ص١٣٤.

(٢) انظر الهجاء عند ابن الرومي [رسالة ماجستير عبدالحميد محمد حيدره/ ص٥٨

(٣) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص٢٢٤ نقلاً.

الأخطار الغامضة، والمصائب الموهومة تتربص به وتكاد تطبق على رقبته)[1].

هـ) سوء الظن والوساوس والشك في ثبات عواطف ومرامى الآخرين.

و) عدم التبلور الوجداني حول موضوع من الموضوعات مدة طويلة. وعدم قدرة المتشائم على الوثوق بموضوع معين ، أو إيجابيته ذلك يجعل منه دائم الشكوك والارتياب ، فينتقل من موضوع لآخر دون الثبات على واحد، وأخذ الفائدة منه)[2].

ي) ظهور بعض المخاوف المرضية كالخوف من الأماكن المغلقة أو المرتفعة، أو الخوف من الحيوانات أو الحشرات التي لا تضر ولا تفتك بالإنسان. وفي هذه الحالة يلقي المتشائم اللوم فيها على الأشياء بصفة عامة المتشائم لا يحب الحياة ولا يرى إيجابياتها، وكل رؤياه طلاسم سوداء لا تسمح له بالإقبال عليها إلا بالقدر الضيق الذي يسع فكره المحاط بأشباح من أوهامه النفسية والعقلية.

(١) التفاؤل والتشاؤم/ ميخائيل أسعد/ ص١٤٢-١٤٦.

(٢) المرجع السابق/ الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري العربي:

صوّر الشعر الجاهلي حياة العرب في ذلك العصر. فكانت معالم تلك الصور حية توحي لقارئها بكثير من طبيعة تلك الحياة، وتكشف عن حقائقها (ونظراً لقسوة الحياة البدوية، وما يحيط بها من عوامل جغرافية، وسياسية، واقتصادية دينية)(1) كثُر الشغل وقلّ الكسب، وانتشر الفقر، وسادت الحروب، والسلب والنهب، وضعف الوازع الديني أو انعدامه أدى إلى انتشار عادات سيئة مثل وأد البنات، وشرب الخمر، وتجارة الرق، والتطير، ويعد التشاؤم ملموسا في أشعار الجاهلين مثل قول النابغة الذبياني(2):

زعم الغداف أن رحلتنا غداً	وبذاك خبرنا الغراب الأسود
مرحبا بغد ولا أهلاً به	إن كان تفريق الأحبة في غد

نوعاً من التطير تشاؤماً بالطير، فرؤية الغراب جعلت الرجل يتشاءم من غد ويكره لقياه، لأن فراق الأحبة فيه آت كذا قول عنتره بن شداد(3):

ظعن الذين فراقهم أتوقع	وجرى ببينهم الغراب الأبقع
حرق الجناح كأن لحى رأسه	جلمان بالأخبار هش مولع

(1) راجع العصر الجاهلي/ ص٦٧ - ٧٨ شوقي ضيف/ دار المعارف ١٩٦٠/ المفصل في تاريخ الأداب العربي ح١ ص٣٠ - ٣٦ لأحمد الاسكندراني/ علي جارم/ أحمد أمين/ عبدالعزيز البشري/ أحمد ضيف/ مكتبة الأداب القاهرة.

(2) ديوان الشاعر/ ص٩٣/ جمعه محمد طاهر بن عاشور/ نشر فوشيه للتوزيع/ ١٩٩٦.

(3) ديوان الشاعر/ ص٤٨/ شرح الديوان أكرم البستاني.

وهذا النوع من التشاؤم بالطير متعارف عليه في الجاهلية كما تشاءم الجاهليون من الناس ذوي العاهات، فإذا ولدت الأم ابنتها، وكانت ذات عاهة جسدية (أو مرض أو قبح كأن تكون زرقاء، أو يرشاء، أو كسحاء)[1] دعاهم ذلك إلى وأد الطفلة المعاقة، ولا يختص الوأد بذوات العاهات- بل كون المولود فتاة قد يكون ذلك سبباً كافياً لوأدها، والتخلص من عارها عند الكبر، وقد يكون هذا النوع من التشاؤم لدى الجاهلين نوعا من العادات والتقاليد المتبعة، لكنه ليس التشاؤم المرضي تلك الحالة الملازمة للفرد، التي تحيط عقله ونفسه برُؤى سوداوية معتمة، وسلبية تُضيق عليه خناق الحياة. ومن الممكن عد الفقر وانتشاره بين العرب لأسباب عدة مظهر من مظاهر التشاؤم. فانتشار الحزن والكآبة وضيق الحال يخلق التعاسة. ويفرق بين أقرب المقربين بين الزوج وزوجه (فقد كان الفقراء يؤلفون سواد العرب، وقد سجل الشعر الجاهلي الكثير من الفقراء الذين عبروا بشعرهم عن الحرمان فهذا عروة بن الورد يحس بازدراء الناس للفقير)[2] ويحض نفسه للسعي خلف المال لأن الفقر أصبح في نظر قومه سبب الذل والهوان. وإن كان من أصابه ذا حسب ونسب وفعل كريم يقول:

---

(١) عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ جواد العلي/ ح٥ ص٨٩/ ١٩٧٠/ دار العلم للملايين/ بيروت ط١ نقلاً.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام/ السيد عبدالعزيز سالم. ح١/ ص٣٨٧- ٣٨٨ مؤسسة شباب الجامعة / الاسكندرية.

ذريني للغنى أسع فإنني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير(١)

وهذا عبيد بن الأبرص لا يحفل لفراق زوجه التي لم تعد تهتم به لفقره، وساءت معاملتها نظراً لذلك الفقر بل وسبب ذلك فراقهما يقول:

تلك عرسي غضبي تريد زبالي ألبين تريد أم الدلال
أن يكن طبعك الفراق فلا أحفـ ـل إن تعطفي صدور الجمال
فاتركي مط حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال(٢)

فالاستفهام الإنكاري " ألبين تريد أم الدلال " دعوة من الشاعر امرأته أن تترك الدلال ، فهي تعلم حاله وحال الواقع الذي يعيشه ، ولكن إذا كان طبعها الفراق " فلا أحفل " ثم اتركي وعيشي " بالأمر بالإنشاء وغرضه الحث على أن تحيا معه ولا تفارقه ، بالأمل في أن تتبدل الأحوال فتصيب هدفها وتناد مرادها .

وهنا يعرض أن هذا القول من باب الشكوى، والشكوى ليست مظهراً تشاؤمياً، فنقول شكا بمعنى (تألم ما به من مرض ونحوه والشكوة فتحها وأظهر ما فيها، وتعني أن أظهر همه وأبداه متوجعاً يقول تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٣). وهذا صحيح لكن النظرة الفاحصة للوضع حين ينتشر الفقر ويعم العباد ، ويجوب الحرمان كل البلاد، ويزداد طلب الحاجة ليست

---

(١) ديوان عروة بين الورد/ ص٤٠/ دار صادر بيروت.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص/ ص١١٣ - ١١٤/ نشر دار صادر/ بيروت/ ١٩٧٦م- ١٣٩٩هـ

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري/ ص٤٠٥.

الحاجة إلى الملذات بل إلى ضروريات الحياة، كيف تكون الأحوال؟ هل يعمّ الرخاء والطمأنينة النفوس أم يجوبها القلق والبؤس الذي يجعل القوم يرمون الفقير بينهم بالأشر والأهون حتى إن كان ذا نسب وحسب، لدرجة أن يهدم الفقر أعظم المواثيق بين المرء وزوجه ألا تعم الكآبة والسوداوية. خصوصاً إن كانت الشكوى موصولة بالقنوط وعدم الرضا، والضجر الدائم من بؤس الحياة، وشقاء الظروف. عندها تصطبغ الشكوى بلون من ألوان التشاؤم وإن لم تُعدّ مظهراً في حد ذاتها.

وقد تشاءم القوم من الحرب، وهي حرب مريرة دامت لسنوات طوال بين قبيلتي عبس وذبيان، كانت كالنار تأكل الأخضر واليابس قال فيها زهير تشاؤماً منها(١):

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضرَ إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها	وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشائم كلهم	كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

انظر إلى قوله " متى تبعثوها فإنها تنتج لكم غلمان أشام " فالشاعر ينفر من الحرب ويدعو إلى السلام وتحقيق العدل .

يقول زهير أن هذه الحرب حقيرة ذميمة وأنها كالنار تتقد وتشتد، وتقضي على الأخضر واليابس، فتكون هي الشؤم بعينه عليهم لأنها تطحنهم كما تفعل

(١) معلقة زهير بن أبي سلمى/ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها/ الشيخ أحمد بن أمين الشنقيطي/ ص١١٧/ نشر مكتبة النهضة بغداد.

الرحى بالطحين فتهلكهم ولشدة بأس تلك الحرب يدفعه تشاؤمه منها إلى تشبيهها بصورة قاسية منها أنها كالناقة التي تلد توأمين شؤم يتيمين، كما أنها كأحمر عاد، وهذا هو قدار بن سالف عاقر الناقة وأحمر لقيه)[١]. فقد جلب الشؤم على قومه، وهو عذاب الله وغضبه، حين حذرهم نبيهم من إيذاء الناقة فعقرها هذا الرجل، فجاء عذاب الله وأباد القوم عن وجه الأرض وتعتبر هذه الحرب صورة من صور التشاؤم لأن القوم ظلوا يعانون منها لسنوات طوال وظل الشؤم والحزن ملازماً للقبيلتين لا ينفك يتركها بسلام، حتى كان الصلح ودفع الديات الذي قشع الغمة وأرخى الأحوال... ولقد عد د/ عفيف عبدالرحمن شعراء من المشاهير أمثال أمرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وعروة بن الورد شعراء أصيبوا بالتشاؤم نتيجة لظروفهم القاسية التي مروا بها)[٢].

---

(١) انظر شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها/ أحمد أمين الشنقيطي/ ص١١٧

(٢) لقد بحث في ظاهرة تشاؤم الشاعر امرؤ القيس د/ عفيف عبدالرحمن في مؤلفه ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي حيث قال عنه: يأتي أمرؤ القيس في طليعة المتشائمين فقد عاش هذا الشاعر حياتين تميزت أولاهما باللهو والترف، وتميزت الثانية بالسعي والفشل في الحصول على تأييد خارجي لإعادة ملك أبيه حجر. الذي قتل من قبل بعض الثائرين من بني أسد على حكمه. ولقد أحدث مقتل أبيه انقلاباً في حياته هجر اللهو والمجون وسعى للحصول على عون لإعادة ملك أبيه وقصد الروم لذلك وفي تلك الفترة انفض عنه معظم أصحابه فشكا الدهر وتحدث عن مصيره قائلاً:

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

أبعد الحارث بن عمرو ... وبعد الخير حجر ذي قباب

وعندما مني الشاعر بالفشل بعد رحلته استسلم للواقع، ورضخ وانشغل في التفكير في نفسه

=

=

ومصيرها واستمر بندب أباه وأجداده ويتحسر عليهم قائلاً:

أيـــا عـــــين بكـــــى لي شنينــــــاً وبــــلى لي الملـــــوك ألـــــذاهبينا

وقد شعر بالغربة وهو يتوغل في أماكن مجهولة وانفض عنه الاخوان وتغير الزمان وكـان رد الشـاعر العنيف حقداً على الزمان وشكاً في الناس وقاده التفكير في النتيجة الحتمية وهـي المـوت، ولم يجـد في عقيدته ما يجيب على أسئلته فعاقبة الموت غير معروفة لديه... ويعلم شاعرنا أن مصيره الموت، وعـما قليل يلحق بأصله مسلوباً من كل قوة وعزة، ومن كل شيء سعى جاهداً في طلبه، هنا يـدب اليـأس في نفسه، ويقطع الأمل، ويموت طموحه ويخيل إليه أنه يموت كل يوم مرة بل مرات.

فلـــو أنهـــا نفـــس تمـــوت جميعـــة لكنهـــا نفـــس تســـاقط أنفســـنا

وبدلـــت قرحـــاً دامياً بعـد صحـــة لعـــل منايانـــا تحـــولن أبؤســـاً

وقد أُعتبر طرفة بن العبد متشائما، لظروف نشأته الصعبة، فقد نشأ يتيم الأب حيث قسا عليه أعمامه، وعلى والدته الغريبة عنهم، وذلك ولد لديه شعور بالأسى والبؤس، فنشـأ يبـدد أموالـه حتـى شعر بالحسرة على فقره، وغني غيره فقال في ذلك:

ولــو شــاء ربي كنــت قــيس بــن خالــد ولــو شــاء ربي كنــت عمــرو بــن مرثــد

فأصبحـــــت ذا مـــال كثـــير وزارني بنـــون كـــرام ســـاده لمســـود

وقد شغله التفكير في الموت فلا دليل يهديه سواء السبيل وإلى أيـن المصـير، ولا يشـعره بقـيم الحيـاة، والموت كأس يتجرعه الجميع يقول في ذلك:

لعمـــرك إن المـــوت مـــا أخطـــأ الفتـــى لكـــا لطـــول المرخـــى، وثنيـــاه باليـــد

أرى قـــبر نحـــام بخيـــل بمالـــه كقـــبر غـــوى في البطالـــة مفســـد

والموت قريب، والعيش كنز ينقص كل ليلة يقول:

أرى المـــوت أعـــداد النفـــوس ولا أرى بعيـداً غـدا، مـا أقـرب اليـوم مـن غـد

أرى العـــيش كنـــز نـــاقص كـــل ليلـــة ومـــا تـــنقص الأيـــام والـــدهر بنفـــذ

فطرفة عانى من ظروف الحياة، وقسوة الأهل والأقارب، وعسرـ الحـال وقـد زاد همـه الخـوف مـن المجهول فالحياة ألم مستمر، يخالطها لهو ينتهي بمـوت مجهـول المصـير، هـذا مـا دفـع بطرفـة في نظـر

=

وقد انطوت صفحة الجاهلية بعد أن بعث الله تعالى رسوله الكريم صلوات الله عليه وسلامه بخير رسالة للأمة جمعاء، وتلك الرسالة كانت النور الذي أقصى ظلمات الجاهلية وأبادها (فقد كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء، والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمة أشياء، وانخفضت قيمة أخرى وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس)[1].

ومن أعظم مبادئ الإسلام أنه جاء ليوحد بين الناس وليصلح من أحوالهم ويبطل كثيراً من عاداتهم السيئة، والهجاء واحد من هذه العادات المنتشرة في الجاهلية أي هجاء الذي يسلخ الجلد عن اللحم. وشاعر مخضرم مثل الحطيئة شهد الجاهلية والإسلام (ولد في بني عبس دَعيا لا يُعرف له نسب ولا يصله بالشرف سبب، فشب محروماً مظلوماً مذموماً لا يجد مدداً من أهله، ولا سنداً من قومه، فاضطر إلى الشعر يجلب به القوت ويدفع به العدوان، وينتقم به لنفسه من بيئة ظلمته وطاردته)[2]. أحاطت بهاذ الشاعر عوامل جسدية، أثرت في تكوين نفسيته، إذ كان الحطيئة قصير القامة قبيح الشكل (لقب بذلك لقصره، وقربه من الأرض ولذمامته)[3]. كما كان الحطيئة مجهول الأب فأمه جارية. بعد أن حررتها

=

د/ عفيف إلى هاوية التشاؤم، والمعاناة، ص٤٤ - ٤٥.

راجع ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ د. عفيف عبدالرحمن/ ص٤١ - ٤٦.

(١) فجر الإسلام/ أحمد أمين/ ص٧٥/ نشر دار الكتاب العربي بيروت/ ط١/ ١٩٦٣.

(٢) عن تاريخ الأدب العربي/ أحمد حسن الزيات/ ص١١٣/ نشر دار المعرفة بيروت لبنان/ ط٥/ ١٩٩٩م نقلاً.

(٣) خزانة الأدب/ عبدالقادر الغدادي/ تحقيق عبدالسلام هارون/ نشر مكتبة الخانجي/ ح٢/

=

سيدتها تزوجت من ابن أمة من قبيلة عبس)[1]. كان شعوره الدائم بعدم الأمان يرجع إلى أنه ظل ينسب إلى قبيلة وكان إذا غضب منها انتمى إلى أخرى)[2].

عاش الحطيئة طفولة مريرة يطلب الأمان والكفاية، فلا يجدها، فكان ذلك كفيلا بأن يزعزع وجدان هذا الرجل بل ويشعره بالحقد على كل من يلجأ إليه ولا يرضيه، فشب متصفاً بصفات شنيعة قال عنها الأصمعي (كان الحطيئة جشعاً سؤولاً ملحفاً دنئ النفس كثير الشر، بخيلاً، قبيح المنظر رث الهيئة، مغمور النسب، فاسد الدين)[3]. وإذ يستشهد بالحطيئة فقد انطبقت عليه سمات التشاؤوم ، وتحلى بأكثر من صفة من صفاتها ، ولكن ما علاقة تشاؤمه بهجائه اللاذع ؟ هل الهجاء من مظاهر التشاؤم ودليل من دلائله ؟ ليس الهجاء سمة من سمات التشاؤم وإلا عددنا كل شعراء الهجاء في الشعر العربي متشائمين ، وإنما لأن هجاء الحطيئة يثير الأحزان في الصدور ، فيطبق الهم على النفوس ، فيسبب هذا تشاؤماً لصاحب تلك الحالة . مثلاً ما فعله حين هجا الزبرقان فقال:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً	ذا حاجة عاش في مستوعر شاس
جار لقوم أطالوا هون منزله	وغادروه مقيماً بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم	وجرحوه بأنياب وأضراس

=

ص٤٠٦.

(١) المصدر السابق/ ح٢/ ص٤٠٧.

(٢) المصدر السابق/ ص٤٠٦.

(٣) خزانة الأدب/ ص٤٠٨/ البغدادي

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وحين استعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب لم يتبين عمر مـوطن الهجـاء لخفائه بل أرسل في طلب حسان بن ثابت الذي أجاب أن الحطيئة لم يهجـوه بـل سلح عليه فحبسه عمر ليشغله عن أعراض المسلمين)[1] ولم ينل بشعره الغربـاء من القوم بل نال من هم أقرب الناس إليه أمـه وأبـاه وعمـه. أيعقـل أن يكـون الحطيئة، سليم النفس صالح السريـرة، فيهجـو الأهـل والخـلان. إلا أن يكـون شرس الطباع قاتم النظر حقود النفس يقول في أمه)[2]:

نحـــي فاقعـــدي منـــي بعيـــداً أراح الله منـــــك العالمينـــــا
ألم أوضـــح لـــك البغضـــاء منـــي ولكـــن لا إخالـــك تفعلينـــا
أغربـــا لا إذا اســـتودعت سراً وكانونـــاً عـــلى المتحـــدثينا
جـــزاك الله شراً مـــن عجـــوز ولقـــاك العقـــوق مـــن البنينـــا
حياتك ما علمت حيـــاة ســـوء وموتـــك قـــد يسر ُ الصـــالحينا

أيهجو المرء أمه ؟ هل هذا جزاء سنمار؟ هل يرد جميلها وعظيم فعلها بالسب والشتم ؟ أيكون جزاء المعروف الجحـود والإنكـار ؟ أيطلـب مـن الله أن يـريح العالمين منها؟ أي عقوق هذا ؟! أيظهر لها البغضاء والكراهية " ألم أوضـح لـك البغضاء مني " فالاستفهام تقريري فقد اعترف بحقده وكرهه، ولكنها لا تبالي ،

---

(١) الشعر والشعراء/ ابن قتيبية/ دار الأحياء للعلوم/ بيروت/ ط٤/ ١٩٩١م/ ص٢٠٧/ مراجعة محمد العريان.

(٢) الشعر والشعراء/ ابن قتيبة/ ص٢٠٤.

أيدعو عليها بالعقوق من الآخرين ؟ أبلغت هذه الدرجة من السوء فيكون موتها يُسر الصالحينا.

ولم يترك الحطيئة الأب دون هجاء ، فلا يظن القارئ أن هناك خلافاً بين أمه وأبيه ، فهما قد بلغا من السوء درجة – في نظر الابن – جعلته يقسو عليهما في هجاء فيقول في أبيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا   أبا لحاك من عم وخال [1]
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي   وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم لا حيالا ربي   وأبواب السفاهة والضلال[2]

وها هو يجمع الأب، والعم، والخال. فلم يبقى ولم يذر له من أصناف المقربين إلا الأبناء، فأبوه شيخ فاضل متى يُرى فضله وأين؟ إنه استفهام التهكم، فلا فضل للرجل في الصغر ولا في الكبر ، " نعم الشيخ لدى المخازي" ، " بئس الشيخ لدى المعالي" فالطباق يوضح التناقض في أفعال أبيه ، فبينما يبحث عنه في موضع العلا يجده في مواضع الخزي ، فيجلب العار له ولأسرته من بعده ، فقد جمع السفاهة وحاز الضلال ، فكأنما صارا قاصرين عليه دون غيره من الناس .

فقد شمله اللؤم والخبث في شيخوخته. فيدعو عليه أن لا حياه الله لما يطرق من أبواب السفاهة والضلال. ما هذا المنطق السوداوي النكهة، أن يدعوا المرء

---

(١) المصدر السابق/ الصفحة نفسها.

(٢) الشعر والشعراء/ ابن قتيبة، ص٢٠٤.

على والديه ليس إلا رجل فقد كل الأحاسيس الإنسانية الطبيعية، وليس المكتسب رجل تدثر بدثار من التشاؤمية جعلته يرى كل أفعال والديه سلبية متقاعسة عن تقديم الخير له ومن حوله حتى وصل به الأمر إلى البغض والحقد وتمنى زوال الوالدين وفنائهما .

ولا تزال عوامل الحياة على مر العصور، وما تحمله في طياتها من مظاهر ترف ونعيم لعلية القوم وبؤس وشقاء لعامة الشعب)[1]. تعمل على قلب الموازين واضطرابها، فتصبح النفوس حزينة، والقلوب باكية والألسن ناطقة، والمظهر الذي يبدو فيه تشاؤم الشاعر الكندي فيه نصح وإرشاد، بأن تختار الوحدة أنيساً، والعزلة رفيقاً[2].

أناف النتابي على الأرؤس فغمض جفونك أونكس
وضائل سوادك وأفيض يديك وفي قصر بيتك فاستجلس
وعند مليكك نابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
وكأن ترى من أخي عسرة غنى وذي ثررة مفلس
ومن قائم شخص ميت على أنه بعد لم يرمس

ففي نظره ونظر كل عاقل حصيف أن الناس أموات ، لا يدركون شيئاً مما حولهم وحقيقة موتهم أنهم أحياء أموات لم يدفنوا بعد في قبورهم ، وهذه نظرة حالكة لكنها ربما تكون صدى الواقع المرير بالنسبة لفيلسوف يرى الأوضاع قد

(١) راجع العصر العباسي الأول/ شوقي ضيف/ ص٤٥/ نشر دار المعارف ١٩٩٦م/ ط بدون.

(٢) انظر العصر العباسي الثاني/ شوقي ضيق/ ص٢٤١/ نشر دار المعارف.

قلبت ، حيث لبس العمائم من لا يستحقها وجلس على المناصب من لا يعرف حقها، وعلم العلم من لا علم لديه، فآثر العزلة حيث هي خير من ذلك الحال. وليس الكندي وحده من كانت لديه تلك المشاعر السوداء بل شملت تلك النظرة (ممن عاشوا في بيوت الترف والنعيم أمثال ابن المعتز)[1] حين قال:

لم يبق في العيش غير البؤس والنكد — فاهرب إلى الموت من هم ومن نكد
ملأت يادهر عيني من مكارهها — يا دهر حسبك قد أسرفت فاقتصد[2]

وابن المعتز يرى أن الدنيا قد أفلست إلا من النكد والبؤس وعلى الإنسان أن يختار الموت بل ويهرب إليه حتى يريحه من نكد الحياة، ونظرته التشاؤمية تؤدي به إلى تشبيه الدهر بالمسرف الذي يدعوه إلى الاقتصاد فقد أسرف في صرف المكاره والمصائب بين الناس وعلى شخصه. ثم يخبرنا أن لا خير في الناس أجمعين، أو منفردين وأن المرء لا يسلم من الذم وهو صالح الحال أو فاسده.

وتلك نظرة تشاؤمية شملت فكر ابن المعتز وسيطرت عليه لفترة فقال:

لا خير في العالمين كلهم — ولا من العالمين منفرداً
لا يسلم المرء حين يصلح من — ذم الحسود فكيف إن فسدا[3]

ولابد من ذكر أبي العلاء المعري الشاعر الفيلسوف له نظريات وفلسفة

---

(١) العصر العباسي الثاني/ شوقي ضيف/ ص٢٤١/ بتصرف.

(٢) ديوان ابن المعتز/ ص١٨٦/ نشر دار صادر بيروت.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص١٨٦/ نشر دار صادر بيروت.

خاصة بأمور الحياة. أدت إلى تشاؤمه ، فكان لها مظاهر عدة تكمن في (نقمته على الدنيا وأهلها واعتزاله الزواج والناس والمجتمع، والشك وسوء الظن اللذين واكباه طوال حياته، والزهد والتقشف اللذين اتخذهما مسلكاً في حياته)[1].

يقول عبدالرحمن شكري أن أبا العلاء قد تجاوز مرحلة اليأس من الحياة إلى مرحلة أشد منها وهي اليأس من الفن وبلاغته وعلومه في قوله :

لما نحن فيه من عنت — فكلنا في تحيل ودلس
ما النحو ما الشعر والكلام وما — مرقش والمتسيب بن علس
طالت على ساهر دجنته — والصبح فاء فمن لنا بفلس

وهذه الأبيات في نظر الشاعر عبدالرحمن شكري من أشد النظرات يأساً من الحياة إذ أن الإنسان سواءً شاعراً كان أم غير شاعر إذ داهمه الهم في الحياة لجأ إلى الفنون كي يجد لذة أو عزاء وسلوى ومهرباً وقوة لاستئناف الحياة[2].

وعن سوء ظنه بالناس وطباعهم يقول:

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها — فإنهم عند سوء الطبع أسواء

---

(١) انظر ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ د. عفيف عبدالرحمن/ ص٤٨٥.

(٢) دراسات في الشعر العربي/ عبدالرحمن شكري/ جمعها وحققها د. محمد رجب بيومي/ الدار المصرية اللبنانية/ ص١٤١/ ط١/ ١٩٩٤م نقلاً.

أو كان كـــل بني حـــواء يشبهني   فبئس ما ولدت للنـاس حـواء[1]

بل ويزيد فهو يسئ الظن حتى بنفسه فإن الناس سواء في خبث الخلق وسوءه حتى وإن كانوا يشبهونه في ذلك فالبؤس والتعاسة لمن ولدوا جميعاً .

وعن عزوفه عن الزواج، بل ونظرته التشاؤمية عن فكـرة الـزواج والنسـل قال:

فليـت حـواء عقيمـاً غــدت   لا تلــد النـــاس ولا تحبـــل[2]

- هو تمنى العقم لحواء، أو المرأة عامة ليكون الزواج بلا فائـدة حينئـذ إذ لا يتوالد الناس ولا تحبل النساء ولا يستمر النسل على وجه الأرض وهذا ما يرضي فكر أبي العلاء ونفسيته، ويخالف شريعة الحياة ومنهاجها. هذا أبو العلاء وبعض أفكاره السوداء حول الحياة ومظاهرها. وننتقل إلى حكم عالم مثل عبدالقاهر الجرجاني أطلقه على مـن يدعون العلم وهم دونه ويعلونه رثياً في نعيم الحياة يقول[3]:

هــــذا زمـــــان لــــيس فيــــ   ــــه ســوى النذالــة والجهالــة
لم يـــــرق فيــــه صاعـــد   إلا وســــــلمه النذالـــــــة

---

(١) لزوميات أبي العلاء المعربي/ ح١ ص ٤٠ تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الهلال بـيروت ، مطبعة الجمهور بجوار دار الكتب خانة ، مكتبة الخانجي القاهرة .

(٢) المصدر السابق ج٢ / ص ١٩٤ .

(٣) انظر عصر الدول والامارات الجزيرة العربية/ ألـبرت ليـزت/ شـوقي ضيـف/ ص٥٩٦/ ط٤/ ١٩٩٦م/ نشر وزارة المعارف.

فالتشاؤم من هذا الزمان الذي يعيش فيه الشاعر ، إذ سيطر عليه لئام الطبع والجهال ، " وسلمه النذالة " فهؤلاء يصلون إلى المراتب والـدرجات العـلى ، لا عن طريق الجد والاجتهاد وتحصيل العلوم ، وإنـما عـن طريـق النفـاق والخسـة والنذالة وشراء المناصب عن طريق توزيع الهبات والأموال . وإذا عبرنـا دهـاليز الزمن ، وسارت بنا سفينة الحياة ، وعبرت العصور ومرت بالأزمان والـدهور ، واستقرت بنا في العصر الحديث ، نجد امتداد لظـاهرة التشـاؤم ، وكـل ظـاهرة لابد لها من حذور)[(١)]. فهذا أبو القاسم الشابي يستصرخ الأمة آلامه فهي نظرة متفائلة تشوبها نظرة متشائمة لتحرر الأمة قيودها في قصيدة الطاغية إذ قال:

، الويل يا صرح المظالم من غـد — إذا نهض المستضعفون وصـمموا
إذا حطـم المسـتعبدون قيـودهم — وصبوا حميم السـخط أيـان تعلـم
أنمرك أن الشعب مغمض على قذى — وأن الفضاء الرحب وسنان مظلم
ولكــن سيــأتي بعد لأي نشورها — وينبثـق اليـوم الـذي يـترنم[(٢)]

فهو يرى شعبه مستضعفاً مقهوراً مستعبداً، وأي ذل في ذلك لشعب حر أبى لم يعهد الظلم ولن يطيقه، لذلك سوف يـنهض ويحطـم أغلالـه ويصـب جـام سخطه على ذلك المعتدي الغاشم، وحين ينعت الغاصب بالغرور، لأنه اعتقد أن الشعب العربي سيظل مغمض عينيه على الأذى، وأن ظلام عدوانه لـن ينقشـع، ثم تأتي النظرة المتفائلة نحو الأمة التي سوف تبعث النصر من بعد الهزيمـة، وأن اليوم لآت ليتغنى بالنصر المبين .

---

(١) انظر مقدمة ديوان انها في الحياة/ أبو القاسم الشابي/ ضبط وشرح إميل/ نشر دار الجيل.

(٢) المرجع السابق/ ص٤٧.

ولقد ولدت معاناة الوطن المستعبد لدى الشاعر أحزاناً تكالبت عليه متحدة مع معاناة الجسد إذ كان يعاني من آلام في الجسد (فجسده مريض، بتضخم القلب وروحه مريضة من ألم فراق الأحبة وفراق الأب للابن البكر، وقد وصف نفسه بالغربة والكآبة)[1]. مهما تراقصت الحياة حوله بهجة قال في ذلك:

مهما تضاحكت الحياة ... فإنني أبداً كئيب
أصغي لأوجاع الكآبة ... والكآبة لا تجيب
في مهجتي تتأوه ... البلوى ويعتلج النحيب
ويضج جبار الأسى ... وتجيش أمواج الكروب
إني أنا الروح الذي ... سيظل في الدنيا غريب[2]

فقد اجتمعت آلام الروح والجسد لدى الشابي وكان ذلك فوق طاقته مما جعله يرى الحياة بنظرة كئيبة ينصت من خلالها لأوجاعها دون أن يعير مباهجها أي اهتمام، فقلبه يئن من بلواه، ويشتد البكاء وتعتليه أمواج الحزن والمشقة، وتطوف جنباته مشاعر الغربة والوحدة في هذه الدنيا إلى أن توصله إلى طريق مسدود سوداوي النهاية يرى فيه أن لا خير في الحياة فيرسل تحية معطرة إلى الموت. يصف فيها أفضاله فهو المهد الحاضن المريح لكل الكائنات يقول:

إلى الموت يابن الحياة التعيس ... ففي الموت صوت الحياة الرحيم

---

(١) انظر موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين/ خليل أحمد خليل/ ح١، ص٥٧٦/ نشر- نشر المؤسسة العربية للدراسات.

(٢) ديوان الشاعر قصيدة ونشيد الأسى/ ص٣.

إلى المـــوت فـــالموت جـــام روى لمـــن أظمأتـــه ســـموم الفـــلاة
ولســـت بـــراو إذا مـــا ظمئـــت مـــن المنبـــع العـــذب قبـــل الممات
إلى المـوت فالمـوت مهـــد وثـــير تنـــام بأحضـــانه الكائنـــات[1]

فالموت في نظره ينبوع الرحمة والارتواء لمن أظمأته رزايا الحياة ولـن يرتـوي إلا بعد أن يذوق الموت ، فهو النبع العذب بالنسبة إليه ، وهو المهد اللـين الـذي ترتاح لأحضانه. وتأوى إليه جميع الكائنات .

وهو يندد في موطن آخر من شعره بنضوب سحر الحياة، وزوال جمالها فيعلل قلبه الباكي بل ويدعوه إلى تجربة أكثر جمالاً وسحراً من الحياة يقول:

قـد رقصـنا مـع الحيـاة طـويلاً وشـدونا مـع الشـباب سـنينا
وعـدونا مـع الليـالي حفـاة في شـعاب الحيـاة حتـى دمينـا
جـف سحـر الحيـاة ياقلـبي الباكي فهيا نجرب الموت هيـا[2]

ففي مرحلة التفاؤل تجد الألفاظ المعبرة الموحية " رقصنا مع الحيات " فهـي امرأة جميلة تدفع الإنسان أن يتعلق بها ويدور في فلكها / " وشدونا مع الشـباب " فهي مرحلة الغناء الجميل الذي يطرب النفس ويسعد الـروح " وعـدونا مـع الليالي " فالليل مبعث سعادة النفس العاشق المحب ،ـ فلما أن " جف سحر الحياة " كانت مرحلة التشاؤم بألفاظها المعبرة عنهـا " يـا قلبـي البـاكي " ، " نجـرب الموت " يئسا من الحياة والعيش فيها .

---

(١) المرجع السابق/ ص٨٥.

(٢) ديوان الشاعر/ ص١٥٣.

ومن خلال ما سبق وبعد متابعة ظاهرة التشاؤم من القديم إلى الجديد فإنه يمكن استنباط بعض مظاهر التشاؤم التي بدت من خلال أشعار الشعراء من حب للعزلة ، وكره لمخالطة الناس وغساءة الظن بهم ، ومعاناة الفقر والعبث وفساد المجتمعات واعتزال النساء، وتفضيل الموت على الحياة خلال عرض سريع لصور شعرية مختلفة لشعراء ينتمون إلى أحقاب تاريخية مختلفة فقد أصاب شعرهم الشؤم أحياناً، واليأس والحزن أحياناً أخرى كما أنهم أبانوا من خلال صورهم عن معاناتهم الشخصية ومعاناة شعوبهم، وأوطانهم، وكان في ذلك خير دليل على وجود التشاؤم لدى شعرائنا في موروثنا الشعري القديم متصلاً بالحديث.

أولاً : حياة شكري وأدبه :

ترجع أصول شاعرنا عبد الرحمن شكري إلى أسرة (مغربية) الأصل، قدّمت مصر واستقرت في بني سويف ، واندمجت في الفلاحين، وعاشت آلامهم المريرة في حفر قناة السويس، وفي الكفاح البطولي للشعب المصري ضد الغزاة الانجليز)[1].

وقد ولد الشاعر (بمدينة بورسعيد في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦م ، وتوفي بالإسكندرية في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨م، وبين هذين المكانين، وهذين الزمانين تدور قصة حياته التي دامت اثنين وسبعين عاماً)[2] .

خاض أجداد هذا الشاعر معاناة تعكس صورة واقعية لطفولة الشاعر وأحداثها الحزينة، فقد اغتربت الأسرة عن أرض الوطن، ثم استقرت بمصر وشعبها ينزف دماً من آثار الاحتلال، ثم تفاعلت هذه الأسرة مع أفراد المجتمع الذي أصبح بمثابة وطن ثان لها تحزن لآلامه، وتغضب عند اغتصاب حقوقه ، وتشاركه الدفاع عن مظالمه . فقد كانت لدى والد الشاعر محمد شكري نزعات وطنية أصيلة تجاه مصر حيث (شهد ثورة عرابي وأمدها بالمساعدة، مما دفع

---

(١) شاعر الوجدان عبد الرحمن شكري / يسري سلامة / ن / المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب / الكتاب الأول/ مكتبة حامد القاهرة . .ص٣٧

(٢) مقدمة ديون الشاعر / حياته وآثاره / نقولا يوسف / ط١ / ن توزيع / المعارف بالإسكندرية ، ١٩٦٠ طبع على نفقة عبد العزيز مخيون ./ج١/ ص٢

المحتلين إلى إلقاء القبض عليه لاتهامه بصداقة عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية ، وذهب محمد شكري إلى غيابات السجون وحيداً مفصولاً عن عمله)[1].

وقد عانت أسرة هذا الوطني تجاه ما أصاب قائدها من سجن، وتعذيب وفصل ، الأحزان والآلام، مثلها مثل كل الأسرة المصرية التي دافع رجالها عن حقوق وطنهم.في محاولة لاستعادتها وقد أضيفت الى محن تلك الأسرة محن كثيرة زادت همها وأحزانها فأثناء سجن رب الأسرة وعائلها الوحيد (إذ مات بعض أبنائه ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، ومنهم عبد الرحمن شكري)[2] كما اثبتت الدراسات ان القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة أثناء الحمل يؤثران في الطفل ،وربما كان لهذه الأحداث أعظم الأثر في طفولة الشاعر، التي تعرضت لخبرات نابعة من الحرمان والشعور بالتهديد،فكانت طفولته مهددة بعدم الكفاية والسعادةوعدم الأمان ،وبما أن أحداث الطفولة اكثر رسوخا في ذاكرة الطفل بكل معالمها السعيدة والحزينة ، نستطيع أن نحكم تلك الطفولة أورثته (حزناً دام حتى الكبر ، وقد أشار إلى هذا الحزن في آخر كتابه الاعترافات بأنه حزن لحقه عن طريق الوراثة)[3] ولربما تولد من هذه الطفولة شخصية غير متكيفة قابلة

---

(١) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٣٨ .

(٢) مقدمة الديوان م حياته وآثاره / نقولا يوسف / ج١ ، ص ١٢ .

(٣) انظر / أعلام الأدب المعاصر في مصر ـ / حمدي سكوت / د جونز ص ١٤ / ن دار الكتاب المصري / ط ١ ، ١٤٠٠هـ.

للوقوع في شراك الانطواء والعدوان ،ونتيجة لفقد والد شكري معظم ابنائه فقد صبّ اهتمامه على ولده عبد الرحمن فبدأ بتعليمه ، والاهتمام بتثقيفه)[1]. وقد نشأ شكري طفلا ضعيف البنية تخالطه صفات الحياءوهو لا يُرجعُ حياءه إلى هيبته الناس، أو احترامه لهم، بقدر مايجد في نفسه ذكاء وعلماً يفضله عن الغير ، لكنه لا يمنعه من الخجل منهم، وكان هذا طبعه حتى الكبر)[2] .

لقدكان الحياء من أسباب عدم أُنسه الناس يقول في ذلك: (صرت لا آنس بالناس،وأحس قلقاً شديداً عند رؤيتهم فيه شيء من المقت والاحتقار . فلا أحضر مجالس الناس ولا أتخذ صاحباً جديداً، إلا في القليل ، وصرت أُحب الوحدة فأتجول في الأماكن الخالية)[3]. وهو رغم حبه للوحدة، لا يجد سلوته في ذلك الانفراد، حيث يقول: (لا تحسب أني أجد لذة في الوحدة بل أحس فيها وحشة وغربة)[4].

أيّ تناقض هذا الذي فيه يحب الانفراد،ولا يجد سلوة في الوحدة !؟ فشكري ينفر من الناس ولا يجد الصاحب إلا في النادر ، وفي الوقت نفسه لا يجد سلوى

---

(١) انظر عبد الرحمن شكري / أحمد بعد الحميد وغراب / ص ١٩ / ن / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٧م .

(٢) انظر الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ج ١ / ص٥٤ / تحرير د/ أحمد الهواري / ن / المجلس الأعلى للثقافة.

(٣) الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

في الوحدة ويحس ّ بالغربة! عن أى تبحث نفس هـذا الشـاعر ، وبـماذا تطيـب وحدتها؟!

وإن دلت صفته التالية على شيء فإنما تدل على شدة حساسـيته وخوفـه مـن إيلام الناس له حيث يقول: (إن الرجل الذي يخشـى إيـلام النـاس إيـاه ، مثـل النبات الذي لا يعيش إلا في بيوت الزجاج)[١] حيث يعلل هذا التشـبيه بقولـه: (إن خوف المرء أن يؤلمه مؤلم يُضعف عزيمته ويمنعه من العلم ... ويعوده اليأس من الناس ، ويورثه العي ، ويغطي على فصاحته ، ويُلبسه ثوب الغباوة ، فيخفي ذكاءه خشية أن يكون في كل قول يقوله أو عمل يعمله ما يبعث بإهانـة النـاس إياه)[٢].

وقد تميزت طفولة شكري بخيال خصب أُذكى بتلك القصـص والخرفـات الخيالية التي كانت تحكيها له النساء العجائز ، فقد كان شكري يعتقد بالخرافات ، ويُعبر عن خوفه منها لدرجة أنها أصبحت تملأ عقلـه ، يقـول : " لقـد كنـت في صغري كثير الاعتقاد بالخرافات وكنت ألتمس العجـائز مـن النـاس ، وأسـمع قصصهن الخرافية حتى صارت هذه القصص تملأ كل ناحية من نواحي عقـلي ، وحتى صارت عالماً كبيراً ملؤه السحر والعفاريت من حولي)[٣] . وقد كان تأثر شكري

(١) الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠.

بهذه القصص كبير لدرجة أنه رأى مرة عفريتاً على سقف منزله)[1].إن الخوف الـذي تميزت به طفولة شكري ناتج عن ذلك الخوف الذي مـلأ عقلـه مـن تلـك القصـص والخرافات القديمة.

كذلك كان للأماني والأطماع دور كبـير في طفولـة شـكري ، حيـث كانـت مصدرا من مصادر السعادة ، وهي في الوقت نفسه سـبب مـن أسـباب الشـقاء لديه ، فقد (كان يظهـر إلى سـطح منزلـه طالبـاً ليلـة القـدر ، ولكنـه يحتـار في مطلبه ، ماذا يختار ، ثم يطلب من الله تأجيل ليلة القدر إلى أن يصل إلى قرار حول مطلبه وهكذا حتى صارت الأطماع تعْظم كلما كَبر حتى جاءت رياح الحوادث التي أطفأت نور هذه الأطماع وأصبح شكري لا يستضيء إلا بنار اليأس [2] هذا التضاد بين الرغبات الذي يطبـق عـلى مشـاعر المـرء وأحاسيسـه ، ويشـدها في اتجاهين متعاكسين يسبب الألم لها ، فشكري يسعى للسـعادة والآمـال العظيمـة لكنه حين يطلب تحققها لا يرضى ولايقنع ، بـل يطلـب دائـماً المزيـد ، وعنـدها تذوب لذة السعادة في وعاء الألم ، لعدم تحقق المـراد ، ويشـعر الإنسـان بـذلك الخذلان واليأس من عدم تحقق ما تصبو اليه النفس ، يدفعـه ذلـك الى الاحبـاط والصراع ،فتضطرب الحياة وتنهار المقاومة .

يقول د/ يسري سلامة عن اعترافات شـكري : (لقـد أجـاد عبـد الـرحمن

---

(١)الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق / ص ٣٧ – ٣٨.

شكري في كتابه الاعترافات تصوير أيام طفولته ، ومراتع صباه ، وكتابه هذا الذي صدر عام ١٩١٦م يضارع أرقى كتب الاعترافات مثل اعترافات روسوما وتشاتو بريان ، وهو يحتوي على أفكار ، وتأملات ، وفحص دقيق لحقائق الحياة) [١] تلك هي صفات شكري التي ميزت شخصيته وأحاطتها بجدار من العزلة عن مجتمعه ، وعدم الانفتاح على الحياة .

وقد حصل شكري على (الابتدائية عام ١٩٠٠م، وفي هذه المدرسة ذاق الضرب الذي لم يتعرض له في الكُتّاب ، ويبدو أن الضرب كان وسيلة شائعة من وسائل التربية في مصر)[٢] . فالتربية واستذلال الناشئة نوع من أنواع السلوك الخاطئ الذي يؤدي الى هروب الطمأنينة من قلوب الناشئة ومن قلب شاعرنا،ويؤدي الى تلاشي السعادة من أفقهم النفسي.

وينتهي شكري من المرحلة الابتدائية التي يبدو أنها تركت صدى في نفسه حيث أنه يذكر حوادث الضرب تلك في رسائله للدكتور / أحمد غراب بعد أن صار رجلاً ناضجاً . وبعد انتهاء المرحلة الابتدائية انتقل شكري إلى الأسكندرية حيث حصل على شهادة الثانوية عام ١٩٠٤م ثم درس الحقوق لمدة لم تطل حيث لم يلبث أن فصل منها)[٣].

---

(١) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤١.

(٢) عبد الرحمن شكري / احمد غراب / رسالة بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٥٧م/ ص ٢٠.

(٣) انظر حياته وآثاره / عبد الرحمن شكري / مقدمة الديوان / ج١ ، نقولا يوسف .ص٣

ولقد شبّ شكري وترعرع وغيره من شباب مصر في تلك المدة العصيبة على أوضاع سياسية واجتماعية مريرة ، حيث الاحتلال الإنكليزي ، وقيام الثورات ، وأهمها ثورة العرابيين ، فقد كانت (سنة ١٨٨٠م فترة ثورة ناضل فيها الشعب في معركة دائمة متأرجحة بين النصر والهزيمة)[١] . وقد كانت نتيجة هذه الثورة الشعبية (هزيمة للطبقة المتوسطة أفضت إلى تحالف بين الاستعمار والإقطاع . ولذلك كان ردّ الفعل تنكيلاً لكل من كانت لديه بالثورة صلة نفياً، أو قتلاً ، أو سجناً . وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكري ... وقد شاهد بعينه قادة الثورة يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه . فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته)[٢]

وعن أوضاع مصر الاجتماعية فقد كانت في أسوأ حال حيث يصف د/ شوقي ضيف تلك الحقبة (بأنها من اسوأ الحقب في حياة مصر ، حتى أنها لم تترك للشباب الطامح غير الشعور بالألم العميق بالحياة التي يحياها وطنه ، ويرى فساد تلك الحياة ، وقسوة تلك القيود والأغلال حول الأيدي والأعناق[٣]. فماذا يترك الغاصب لصاحب الحق غير الحسرة والألم، حيث يقيده بقيود ويستغله ، بل يستنزف دمه إن استطاع حتى يخدم مصالحه الخاصة غير آبه بمصلحة الشعب

---

(١) المرجع السابق ص ٢.

(٢) عبد الرحمن شكري ، حياته وآثاره / نقولا يوسف / يدون الشاعر ، ص ٢.

(٣) انظر دراسات في الشعر العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١١١ / ط ٨ / ن دار المعارف .

المستعمر أو مطالبه ، وقد عبر شكري عن أوضاع شباب مصر، وصفاتهم في كتابه الاعترافات، وعن مدى بؤسهم ، وترددهم بين شجاعة وجبن ، ويأس وأمل، وبين خوف وإقدام . فرغم كون شكري مثقف وشاعر فهو يجد في نفسه ما يجد في نفس غيره من أبناء الأمة)[١] . ورغم ذلك الإحباط الذي كان يشعر به شباب مصر إلا أن شكري كان من الفئة التي استضاءت طريقها، وعرفت ما يتناسب وميولها ، فاتجه إلى دراسة الأدب حيث التحق بمدرسة المعلمين ، وتخرج فيها سنة ١٩٠٨م، وفي السنة نفسها أرسل إلى جامعة شفيلد انجلترا حيث قضى ثلاث سنوات درس خلالها تاريخ الأدب الإنجليزي ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والفلسفة ، والسياسة ، إلى جانب اللغة الإنجليزية وآدابها . وفي سنة ١٩١٢م حصل على درجة البكالوريوس من تلك الجامعة[٢] .

وبعد حصول شكري على درجة البكالوريوس ، وعودته من البعثة الخارجية ، عُين مدرساً للتاريخ، واللغة الإنجليزية في ثلاث مدارس ثانوية، ثم انتقل إلى درجة ناظر مدرسة ، وزاول هذه المهمة في ثمان ثانويات ، ثم رُقي إلى مرتبة مفتش بالتعليم الثانوي قسم الأدب، القاهرة ، وظل كذلك لمدة ثلاث سنوات طلب بعدها

---

(١) انظر الاعترافات / عبد الرحمن شكري ، ص ٣١.

(٢) أعلام الأدب المعاصر في مصر / حمدي السكوت / دجونز / ص ١٢٩ / مشاهير شعراء العصر / أحمد عبيد / ط١ ، ١٩٢٣م / ن / المكتبة العربية ، مطبعة الترقي في دمشق .

إحالته على المعاش)[1].

ولعل أهم الروافد التي استقى منها شكري ثقافته (رافد الثقافة العربية الذي يُستمد من تراثنا الأدبي، وخصائصه الأصيلة، التي وجدها في كتاب الأغاني، وديوان الحماسة، والشريف الرضي، وديوان مهيار، وربما في رجوعه إلى الوسيلة الأدبية أثر كبير في ثقافته التراثية العربية ، فقد قرأ للبارودي والبهاء زهير)[2] ومن الشعراء العباسيون الذين قرأ لهم شكري ويبدو أنه تأثر بنزعاتهم النفسية ، وأمزجتهم المتشائمة ، التي صورتها أشعارهم ودواوينهم هما ابن الرومي وأبو العلاء المعري (ويبدو أن الذي شدّه إليها ما كان ينزع إليه الشاعران من شكوك فكرية ، ومن خلق اجتماعي ، ومن سيطرة لأوهام الشك وهواجس الظن عند ابن الرومي ، وشك في طبيعة الإنسان ... وما كان شاعرنا يجد في نفسه من هذه النوزاع والهواجس) [3]

وقداستقى شكري ثقافته من بعثته الى انجلترافهذه الثقافةالإنجليزية، التي تعد من أهم الروافد الثقافية لديه فقد اطلع على الأدب الإنجليزي (منذ المرحلة الثانوية ، حيث كانت العلوم كلها تدرس بالإنجليزية نتيجة بسط الاستعمار

---

(١) انظر عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٣٠ .

(٢) الأدب العربي الحديث / سالم حمدان / فائق أحمد / ص ١٤٨ / ن / وزارة التعليم العالي للجد العلمي ، جامعة الموصل.

(٣) نظرات في شعر عبد الرحمن شكري / أنس داود / الهيئة المصرية العامة للتأليف / ١٩٧٠ .

سلطانه) [1] ، وكان لمدرسة المعلمين دور في إرفاد ثقافة شكري الأدبية فقد التحق بها عام ١٩٠٦ م إلى ١٩٠٩ م حين (كانت مسرحاً للنشاط العلمي الأدبي. وقد اهتم معلمو المدرسة بدراسة كتاب الذخيرة الذهبية " وهو مجموعة مختارات من أحسن الشعر الإنجليزي) [2]، ولابدّ أن الشاعر قد وجدَ لديه نوعا من الانجذاب تجاه أشعار هذه المجموعة حيث (دفعه ذلك إلى قراءة وبيرون وشيلي وكيتس وتيسون ، وورد ، ووسورت ، وغيرهم) [3] وما يميز هؤلاء الرومانسية الغنائية .

(وقد كتب عبد الرحمن شكري في صحف تحمل لواء التجديد ، وقد كانت مقالاته تدل على أنه يفهم الشعر في ضوء آراء النقاد الغربيين ، وقد كانت موضوعاته تعدّ جديدة بل بدعاً جديداً حينئذ) [4].

وخلال سفره في بعثته العلمية إلى شفيلد ، وانتقاله إلى بلد يختلف عن وطنه في عاداته وتقاليده وتاريخه ، ودراسته لمختلف أنواع العلوم هناك لابد أن يكون لذلك كله أثر كبير في اتساع مدارك الشاعر واستيعابه لثقافات الأمم الغربية القديم منها والجديد ، ورغم انشغال عبد الرحمن شكري بكل تلك المعارف ، إلا

---

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر / ص ١٠ / حمدي مسكون / دجونز .

(٢) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ١٠ .

(٣) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤٦ – ٤٧ .

(٤) انظر الأدب العربي المعاصر في مصر / شوقي ضيف / ط ٦ / ن / دار المعارف بمصر / ص ١٣٠ .

أنه كان يشعر بحنين وشوق جارف للوطن ، حيث نظم قصيدة (شاعر في القرية) يقول فيها[1]:

كنت مثل الغريد جيء به من روضة والزمان غير ذميم
يث وجه النهار جذلان بسّام ووجه الظلام غير بهيم

فالشاعريشبه نفسه بالطائر الذي كان يعيش في روض فرح مبتهج بما لديه ، ثم انقلب الزمان، وتحول الحال ، حيث انتقل من روضة الجنان إلى أرض كلها دخان ، وأمطار تحجب ضياء الشمس ، فهي مثل القبر الذي أُسر فيه وعانى من الوحدة ، والظلمة ، تحت سماء تلك البلاد ،م رغم قسوة الطبيعة في تلك البلاد ، فإن ذلك لم يمنع تقدمها في العلم والثقافة مما دفع شكري الى أن يغترف من معينها ويستزيد من زادها .

وعبد الرحمن شكري شاعر ، وأديب متأمل ، له آراء ودراسات فلسفية ذات قيم أدبية وفنية عالية ، لكنه قبل كل شيء شاعر بالدرجة الأولى ، حيث استطاع أن يوظف شعره ليكون مرآة لوجدانه ، ذاتي المعاني ، واصفاً لمصداقية عواطفه بكل مشاعرها من خير وشر وحزن ويأس ، ولذة وألم ، ومحللاً لأسرار الطبيعة ، وعظمتها متلمساً لصلات وجدانية تربط بينه وبين مخلوقات الكون بطريقة تمتزج فيها روعة الطبيعة ، وأسرار نفسه البشرية وقد أثمر ذلك كله أن أنتج لنا

---

(١) ديوان الشاعر ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

عبدالرحمن شكري ثمانية دواوين شعرية نشرت كلها بالأسكندرية عدا الديوان الأول الذي نشر بالقاهرة.

١) ديوان "أضواء الفجر"، سنة ١٩٠٩م.

٢) ديوان "لآلئ الأفكار" سنة ١٩١٣م.

٣) ديوان "أناشيد الصبار" سنة ١٩١٥م.

٤) ديوان "زهر الربيع" سنة ١٩١٦م.

٥) ديوان "الخطرات" سنة ١٩١٦م.

٦) ديوان "الأفنان" سنة ١٩١٨م.

٧) ديوان "أزهار الخريف" سنة ١٩١٩م.

٨) الديوان الثامن نشر بدون عنوان، ويحتوي على مجموعة قصائد نشرت في الصحف والمجلات بين الفترة ١٩٣٥ - ١٩٣٩م وقد نشر مع مجموعة الدواوين السبعة في مجلد واحد)[١].

ومن أهم أعماله النثرية كتاب الاعترافات، الثمرات، حديث إبليس، الصحائف، قصة الحلاق المجنون، مجموعة قصص قصيرة، أيضاً له مقالات ودراسات عميقة وكثيرة في مجال النفس والحياة والتأملات في الكون وأسراره[٢]

---

(١) انظر عبدالرحمن شكري، أحمد غراب، ص٥٨٥٧.

(٢) انظر أعلام الأدب المعاصر في مصر/ حمد سكوت/ د جونز/ ص١٢١ - ١٤٥.

كتبها عبدالرحمن شكري بفلسفة عقلية تميز شخصه، وفكره بين أقرانه من شعراء ونقاد عصره.

والنظـرة الفاحصة لشعر شكري تخصه بمذهب شعري يميّزه عن غيره من الشعراء المجددين ، وهو ذلك المذهب الذي وصفه به د/ محمد مندور فقال عنه : (إن عبد الرحمن شكري قد صدر في دواوينه السبعة ، وفي خواطره النثرية المتعددة ... وفي مقالاته .. عن مذهب جمالي موحد هو مذهب التأمل أو مذهب الاستبطان الذاتي ، وهو مذهب يجمع بين التأمل الفكري والإحساس العاطفي الحار... وعاطفته الحارة القلقة الجانحة في الأغلب الأعم إلى التشاؤم والتمرد العنيف)[1] . وأظن هذا هذا الرأي من أعمق الآراء حول شعر شكري وأدبه ، إذ يلمس جوهر شخصيته ، وهيكلة أدبه ، فالاستبطان بمفهومه العلمي يعني (ملاحظة الشخص ما يجري في شعوره من خبرات حسية ، أو عقلية ، أو انتقالية ملاحظة منظمة صريحة تستهدف وصف الحالات ، وتحليلها ، أو تأويلها سواء كانت هذه الحالات حاضرة كحالة الحزن والغضب... أو ماضية كأحلام النوم

---

(١) النقد والنقاد المعاصرون / محمد مندور / ص ٤٧ / ن / دار النهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

وأحلام اليقظة)[1]، وتراه في قصيدته التالية ينظر بواقعية تحليلية إلى الموت فهو كأس سيشرب منه الجميع. وهو حقيقة ربما غفل عنها كثير من الناس الذين تهافتوا على الدنيا وملذاتها يقول في قصيدة " وعظ الموت"[2] :

نذكر شجي القلب أنا جميعاً ... نؤول إلى ورد الردى وتصير
هل العيش إلا ساعة ثم تنقضي ... هل الدهر إلا أشهر وعصور
نرى حولنا الهلاك في كل منزل ... كأن بيوت العالمين قبور
ونعلم علماً ليس بالظن أننا ... سنمضي على آثارهم فنحور
ما عرف الأيام إلا مجرّب ... لبيب بأحداث الزمان خبير
ونبكي لموتانا لأن حياتهم ... منافع تغني في الخطوب وخير
أنشقى يفقد الميت والميت ناعم ... سعيد بما جرّ الحمام

و يشير د/ شوقي ضيف إلى تأثر شكري بالشعراء الرومانسيين، وانطباع شعره بالحزن والتشاؤم حيث يقول : (إن أكثر النغم في الديوان نغم الحب وهو حب محروم يائس وشجي ووراء هذا الحب تصور واسع لنفسه البشرية، وأحاسيسها إزاء الكون وهي أنغام استمدها مما قرأه في الشعر الإنجليزي، وقد طبعت عنده كما طبعت عند أصحاب المنزع الرومانسي بالحزن والتشاؤم في تتبع

---

(١) أصول علم النفس / أحمد عزت راجح / راجع ص ٤٢ .

(٢) الديوان، ج ٤، ص ٣٠٤ .

(٣) الديوان، ج ٤، ص ٣٠٤ .

أنّــات الشــاعر ، ويأسه القاتل)[1] ولعل جدة الصورة عند شكري وغرابتها ، والتحافها بثوب مختلف التصاوير عما دعى إليه شعراء الإحياء ، يتأتى من كونـه واسع الخيال قوي التشخيص كما وصفه العقاد بـذلك ، قـال : (هـو أقـرب إلى الأفرنج في بيانه ، وأشبه بالأريين في مزاجه ، وإن كان عربياً مصرياً)[2] . وقد ورد عن أحد الباحثين أن الغرابة والجدّة في شعر شكري (جعلت الجمهـور يـرفض معظم ما قدّمه الشاعر ، ويصدم ذوقه)[3] . ويعلل د. شوقي ضيف عدم إقبـال الجمهور على شعر شكري ، وبالتالي عدم فوزه بالهتافات ، التـي كـان مـن قبلـه يحصل عليها شوقي وحافظ إلى سببين رئيسين (أولهما أن الجمهور لم يكن قد بلغ من النضج العقلي ما يمكنه من تذوق هذا اللون الجديـد مـن الشـعر . وثـانيهما يرجع إلى شكري لأنه لم يستطع أن يوزان بين جديده ، وبين الصياغة القديمة كما وازن شعراء النهضة)[4] .

وعن إنتاج شكري الأدبي في الفـترة ١٩١٢ – ١٩٢٠م كانـت فـترة حافلـة ويقول عن هذا النتاج د/ أحمد غراب أن ظاهرة واضحة في إنتاج شكري خلال تلك الفترة وهي ظاهرة السخط والقلق بل أحياناً التشاؤم واليـأس . ثـم يعلـل

(١) الأدب العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١٣١ / ١٣٢ .

(٢) انظر مقدمة ديوان شكري ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) الرؤية الجديدة للنقد في الشعر عبد الـرحمن شـكري / ص ١٣ / دخيـل الله أبـو طويلـة / رسـالة ماجستير بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى.

(٤) الأدب العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١٣٥ / ١٣٦ .

أسباب ذلك القلق)[1] ثم تأتي فترة ١٩١٢ – ١٩٢٥م فترة كان شكري يعمل خلالها في مهنة التعليم ، وقد كانت فترة ركود في نشاطه الأدبي الفكري ، ويعلل ذلك شكري بأسباب انشغاله بالمدارس عن طبع الدواوين والكتب ، وفي سنة ١٩٣٨ طلب شكري إحالته على المعاش ، وأجيب إلى طلبه بعد أن أمضى ستة وعشرين عاماً في مهنة التعليم ، وقد عاد شكري إلى نشاطه الأدبي ونشر مقالات أدبية فلسفية في الفترة ١٩٤٧م – ١٩٥١ [2]ثم انتهى الأمر إلى اليأس المطلق ، وحرق جميع ما لديه من نسخ ومؤلفات ودواوين وأصيب بضغط الدم ثم بالشلل في شقه الأيمن سنة ١٩٥٢م ، وفي يوم الاثنين ١٥ ديسمبر ١٩٥٨ انتقل شكري إلى رحمة الله واستراح نهائياً من ظلم الحياة ولؤمها)[3].

ومما سبق نستطيع أن نستخلص من حياة الشاعر ما أدى إلى تلك النزعة التشاؤمية لديه ، فلشخصية شاعرنا تميز فريد و فحساسيته المفرطة جعلته ما تهب الذهن ، قوى البيان ، ذكي التفكير ، وعميقه ، وذلك العمق كشف له عن معاني الحياة ، وأسرارها ، ومن ثم إبان عنها بأسلوب مميز خاص به وقد مال شكري في تذوقه للصورة في قصائد عدة إلى السوداوية والظلمة ، فما الذي دعاه إلى ذلك التذوق المرير ، وما هي تداعيات ذلك الأمر على الشاعر ؟

---

(١) عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص٣١.

(٢) المرجع السابق/ ص٣٨.

(٣) المرجع السابق/ ص٣٤- ٤١ .

ثانيا : دواعي التشاؤم وتداعياته عند عبد الرحمن شكري :

لشخصية شاعرنا تميز فريد، فحساسيته المفرطة جعلته ملتهب الذهن، قوي البيان، ذكي التفكير وعميقه، وذلك العمق كشف له عن معاني الحياة وأسرارها، ومن ثم أبان عنها بأسلوب مميز خاص به وقد مال شكري في تذوقه للصورة في قصائد عدة إلى السوداوية والظلمة، فما الذي دعاه إلى ذلك التذوق المرير، وما هي تداعيات ذلك الأمر على الشاعر؟

أ/ إحساس يقوده التفكير :

إحساس شكري المرهف الذي يقوده التفكير المتأمل ، وخياله الخصب الذي نما باتساع مداركه المتأثرة بالثقافات، جعل منه شخصية متفردة في اتجاهاتها الشعرية، وآرائها الفلسفية، ولدى شاعرنا عبدالرحمن شكري (شره للتفكير مثله مثل شره الإنسان إلى الطعام، فهو يتمنى أن يجتني كل معنى، وأن يتخيل كل خيال، وأن يفكر كل فكر، وأن يعرف كل شيء)[1].

وقد تكون سيطرة العقل والفكر السلبي على الجسد هو سبب الاعتلال والشعور فعندما يفكر عقل شكري المتأمل ويسعى بخياله الخصب ، يصطدم بالواقع المرير؛فينتج عن ذلك خيبات وأجزان ومشاعر تتراوح بين السعادة والألم وقلبا تتكسر أمواجه بين عظمة وإذلال، من معطيات الحياة ،إحساس شكري

---

(١) انظر الاعترافات ، ص ٧٩١ ، عبد الرحمن شكري .

المتأجج يصل به قمة السعادة بلذات الحياة،وفي نفس الوقت يصل يصل به قمة الشقاء . يقول في ذلك إلا لذات الحس " قد تبلغ بالمرء جنون اللذة ، ولكنها تبلغ به أيضاً جنون الألم ، ومن كان كذلك لم ترج له سعادة . فإن السعادة أن لا يكون إحساسك شديداً)[1].

. وهكذا الحال لدى شكري الذي قال: (نعم لقد شربت كأس الشقاء حتى لم أدع فيه بقية ، ولكني جرعت أيضاً كأس اللذات حتى لم يبق فيها سؤر)[2] ولننظر إليه وهو يصف حال التذاذه بالألم والسرور فقال في قصيدة : الحزن والسرور :

إنما الحزن والسرور غذاء لفؤاد الإنسان طول الحياة
فإذا أطاح بالسرور قضاء فارض بالحزن قبل أن لا يؤاتي

ولشكري آمال وأحلام عظيمة ، لكنه يتأوه حزناً من أجلها ، فكيف له أن يعيشها دون قيد أو شرط ، نجده يتحسر بقوله : (آه لو أمكن أن أعيش الأبد في دقيقة واحدة ، وأحس كل إحساس ، وأفكر كل تفكير ، ... وأجتني كل المعاني ، وألتذ كل اللذات ، وأتألم كل الآلام ... وأجني ثمار الحياة في دقيقة أجل " من الأبد لا أحسب نفسي ترضى غير هذه اللذات التي تجمع بين لذات الأبد)[3]

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) الاعترافات ، ص ٤٤.

(٣) الاعترافات ، ص ٧٦، عبد الرحمن شكري .

هل يمكن للمرء أن يجمع شتات كل تلك الأمور دون قيد أو شرط ؟ شكري يحس بها ويتألم من وجودها وهي كثيرة دقيقة تكبله . يقول : (إن نفسي لتحس قيود الضرورة وتتألم منها كما يتألم الأسد المكبل)(١)

فإحساسه القوي بهذه القيود يوصله إلى حالة الحزن واليأس لعدم تحقق الآمال ، بل إلى حالة من الخوف والفزع . حيث يقول :

يا ويح نفسي كلما لاح بارق — تطاير آمالي ويهتاج مطمعي
ويا ويح نفسي كلما جاء كارث — ظللت وقلبي كالبناء المقطع
في كل يوم حادث يستذلني — وفي كل يوم لي طماح مودعي؟
وفي كل يوم خيبة إثر خيبة — ولوعة قلب ذي كلوم مفزع؟
عالج في الأحشاء يأساً ومطمعاً — ويا بؤس أضداد وبؤس المجمع
فمن لي بعيش لا أبالي صروفه — أقول لدهري طر بصرفك أوقع (٢)

وبالإضافة إلى شدة الحساسية ذلك الحياء الذي لازم شكري حتى الكبر ، وبسببه كان شكري يحب العزلة التي لم يجد فيها ضالته ، وأصبح يبكي إحساسه بالغربة بين الناس، وإن كانوا أهل له يقول :

بكائي أنني أغدو غريباً — وحولي معشري وبنو ودادي (٣)

وقد واكبه هذا الإحساس بالغربة حتى المشيب إذ نهاه بقوله :

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) قصيدة الخوف والفزع ن الديوان ، ج٣ ، ص ٢٢١.

(٣) قصيدة كلمات عواطف ، ج ١ ، ص ٨٩.

أظل غريباً بين أهلي ومعشري | وكم أشيب في قومه كغريب
أصبح كلاً في العبرة مقعداً | ـتر رزقي أو يمل قريبي
أصبح منسياً وإن كنت شاهداً | كأني خفي الجسم ، وقريب
فزرني في ليل الشباب كسارق | ولا تنتظر يا موت ذل مشيبي [1]

ونراه يدعو الموت لزيارته وهو في ريعان الشباب لأنه لا يتحمل آلام ضعف المشيب ويذكر د/ أحمد غراب أن فردية شكري كانت سبب من أسباب تشاؤمه . حيث إيمانه الواضح بالفرد متفرد بمواهبه وأخلاقه ، وفي احتقاره للجماهير الجاهلة وشعوره بالغربة بينهم التي صحبها سوء الظن بالغير)[2] .وهو يُرجع سوء ظن الشاعر إلى خيبة أمله في الصداقة، والأصدقاء ، حيث يدلل الشاعر بنفسه على ذلك يقول :

أعز صديق في الجفاء يكيدني | وأصدق صحبي في الوداد يمين
وكل فؤاد في المحبة كاذب | ولكل قلبي في هواك أمين
ومن يصحب الأيام من بعد خبرة | ل لديه تافه وثمين [3]

فلا وجود للمشاعر الصادقة ، وخبرته بالأيام تجعله يبخس الغالي والرخيص ، لأنه لا صدق في القلوب . لدرجة أنه يندب الأحياء لأنهم خذلوه وأودوا به فلا خير فيهم ، ويفضل الأموات عليهم لإخلاصهم له ، يقول :

---

(١) قصيدة ذل المشيب ، ج ٥ ، ص ٤١٨.

(٢) انظر أحمد غراب ، / عبد الرحمن شكري ، ص ١٦٦.

(٣) قصيدة / الحياة والجمال / ج ٣ ، ص ٢١٢.

لأي أمـــــر خـــــذلتموني ‏ يـــا أهـــل ودي وأخـــوتي
كـــأنكم مـــا صـــحبتموني ‏ إلا لنحسيـــــــ وشـــــكوتي
أمـــا كفـــى وقـــع نائبـــات ‏ يقـــرعن عـــودي ومـــروتي
كلكـــم كـــاذب حقـــود ‏ يشـــعل بـــأسي وحسرـــتي
أواه مـــــن وقـــــع المنايـــا ‏ يقعـــــن في خـــير نخبتـــي
كأنـــــني بينـــــكم غـــريب ‏ أنـــدب حظـــي وغـــربتي(١)

ب/ الخيال الخصب:

خيال شكري الواسع أحد دواعي تشاؤمه فقد سبب له الألم والخوف حيث أن الخيال بالنسبة له (جنة الأحلام ، وجحيمها فهو أحياناً يرى أزاهير الأحلام ، وأشواكها . وقد يرى أحلاماً لا يقدر على وصفها مـن فـرط جمالهـا ، ولكنـه في بعض الأحايين يرى أحلاماً سوداء ، فيخشى كل مصائب الحياة التي يمكـن أن يصورها الخيال بل وزيادة على ذلك فهو يحسّ ها ، ويتألمها كأنها وقعت به يقـول : (فأخشى الكهرباء في السحاب ، وأخشى أخطار السلك الحديدية في الأسفار ، وأخشى الحريق كل ليلة أو نهـار، وأخشـى وقـوع المنـازل ، وأخشـى الكـلاب والحشرات ، وأخشى البرق واللصوص)(٢) . ويصف خيال شكري د/ يسرـى سلامة بأنه محموم يهرب به شكري من الواقع الأليم. ذلك الخيال الذي يتوق إلى العيش فيه ، وسبب هروب الشاعر تلك الثـورة الوجدانيـة التـي اضـطرمت في

---

(١) قصيدة / صداقة الأموات والأحياء / ج ٣ ن ص ٢٣٣.

(٢) انظر الاعترافات ، ص ٦٥ – ٦٦ / عبد الرحمن شكري .

نفس الشاعر ، وروحه منذ صباه ، وهي لم تكن إلا انعكاساً لـروح القلـق التـي تصحب فترات التغير في الحياة الاجتماعية[1] .

وإجلال الحياة أمر يُتَوّج بالإيمان الذي يصل بنا إلى الغاية المنشـودة ، الحيـاة الخالدة، فجلال الحياة عظيم المكانة في نفس شكري يكاد يستحوذ على كل ذرات روحه وجسده ، يقول مؤكداً : (خليق بالمرء أن يجتهد في أن يملأ روحه إحساساً بعظم الحياة ، وأن يملأ عمره من ذلك الإحساس ، وأن منظر الغافل عن عظـم الحياة ، منظر يبعث البكاء ، واليأس من صلاح الناس)[2] .

فتقدير شكري لعظم الحياة ليس الباعث على شقوته ، إنما إحساسه العميـق بغفلة من حوله . الذين يعيشون صغائر الأمور دون الاهتمام بالهدف الأسمى في الحياة ، وفي رأيه إن غلبت سكينة النفس إحساس المرء بالشقاء وطال ذلك أدعى إلى الغفلة ونوم الضمير، وإذا غلب إحساس الشقاء سـكينة نفسـه خيـف عليـه اليأس ، والنظرة السوداء)[3] وهـو يـرى أن الحيـاة والمـوت جهـاد ، وشـهادة والطريقة لتلك العبادة بالجهاد والتفكير . يقول :

أعبـــد الله بالجهـــاد والتفـــــ ... كـير والعقـل عابـد ومعبـود

خلـق المـرء كـي ينـاهض أمـراً ... فهـو في المـوت والحيـاة شـهيد

---

(١) شاعر الوجدان ، يسري سلامة ، ص ٤٣.

(٢) الصحائف / عبد الرحمن شكري / المؤلفات الشعرية الكاملة / ج ١ / تحرير أحمد إبراهيم الهواري ، ص ٢٢٨/ ن المجلس الأعلى للثقافة .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٦.

كتب الصبر في الحيـــاة علـيـنــــا فالـبس الصبـر فالعــظيم جليـد[1]

وشفافية شكري تظهر في طريقة تذوقه لكل لون ، ورائحة ، فيجد لها معنى من معاني العواطف والألحان (التي قد تذكره بالحبيب الذي مضى والعهد الذي انقضى ، والأماني والأحلام حتى يسمع تغريد العصافير في صدره ، ويجد لذة في النظر إلى الأشياء ، وكأن الله كساها وجود اجباه بنور من نوره ، وقد يحدث الضدّ إذ تغلب الألوان في أيام الشقاء والتعاسة فتصير جمرات مختلفة الألـوان فـتحس لهيبها في العين والقلب[2].

وهذه الشفافية كانت أحد دواعي حزنه الذي طوق شعره ، وكان سمة مـن سماته ، أوجدت له مزية كشف القبح والحسن ، يقول في ذلك :

وإن صروف الدهر تأسـو جراحهـا ونظمــي فــيروى بــالأوام أوام
لا تحسبن الحـزن تبقـى جروحـه فلـيس لحــزن مــا بقيــت دوام
كأن وجيع الحزن حلـم إذا مضىـ وذكـرى دمــوع البائســين غــمام
وإن شقيت بالعيش نفـس كليلـة للرّ مــد مــن لــون المنــون جمــام
ولولا الأذى ما ذقـت في العـيش لذة فكل نقيض بـالنقيض يسـام
ولا شـر إلا فـيه للخـير مـألـف كما تألف المـاء الطهــور مـدام[3]

فهو يتجرع آلام الحياة ، وأحزانها ، ويشعر بوجيعها ، الـذي إن مضىـ فهـو

(١) قصيدة / الحياة والعيادة / ج ٢ ، ص ١٠٩.
(٢) انظر الاعترافات ، ص ٣٦.
(٣) ديوان الشاكر ، ج ٥ ، ص ٣٩١.

كالحلم والذكرى وبهذا يجد لذة العيش وحلاوته ؛ لأنه إن وُجد الشر فلا بد من مكاناً للخير ، يخالطه كما يخالط الماء الخمرة ، هذه الشفافية في المشاعر والرقة في الإحساس ملكة خاصة بشكري تجعله على رأس قمتين متضادتين ، هما التعاسة والسعادة وإذا أردنا الاستعانة بعلم النفس حتى يحلل لنا ذلك المفهوم الإحساس باللذة وفي نفس الوقت الإحساس بالألم (نراه يقارن بين اللذة والألم من حيث صداها في الشعور ، حيث يمكن القول بأن اللذة حالة وجدانية أقل تعييناً ، واضعف شدة من الألم ، وهي حالة معتدلة متوسطة بين الإحساس بالارتياح الفائض أو عدمه ، وبين الإحساس بالألم ، وهذا يفسر لنا إلى حد ما صعوبة دراسة اللذة ، وشروطها من الوجهة التشريحية ، فإن اللذة لا تستأثر بمشاعرنا بقدر ما يستأثر الألم)[1].

أضف إلى ذلك الشره العقلي الذي يمتلكه شكري ، فيذكر علماء النفس أن لذة الحواس الباطنة أشد وأقوى من لذة الحواس الظاهرة كما أن اللذة العقلية أشد وأقوى من اللذة الحسية ، واللذات الباطنة مستعلية على اللذات الحسية)[2] ولعل ذلك التحليل يساعد في تفهم مسألة ميول شكري كشاعر مرهف الإحساس نحو الحزن واليأس ، رغم تذوقه طعم السعادة وملذاتها .

---

(١) انظر مبادئ علم النفس العام / يوسف مراد / ط ٦ / ص ٨١ / ن دار المعارف بمصر .

(٢) انظر في سبيل الموسعة نفسية (السلوك) ، ص ٩٣ . سيجموند فرويد ، جاتيه ، تبريك الفرداولز / أرثرجيتس / كرتشمر / شيركو وستبرنج ، وكلر . عرض د/ مصطفى غالب / ط ٣ / ١٩٨٢م / ن دار الهلال .

جـ/ أوضاع الأمة :

إن الأمن والأمان مهما لاستقرار الفرد النفسي والوجداني ، ولقد مرّت مصر كما مرّ غيرها من بلاد العرب بضغوط الاحتلال الأجنبي الذي كان له أثر كبير في جميع نواحي الحياة ، فقد كانت مصر قبل ١٨٨٢م دولة حرة مستقلة ، وصارت بعد الاحتلال دولة مغلوبة على أمرها ... إذ فقد الناس الطمأنينة على حياتهم وملئت السجون بالأبرياء بحجة أنهم من أنصار الثورة العرابية[١]، وقد كان والد والد شكري أحد أولئك الأبرياء الذين سجنوا وطوردوا حتى بعد العفو عنهم (فساد الإرهاب الذي أضعف النفوس ، وأفسدها ، ورزحت الأمة تحت نظام حكم استبدادي خاضع للسيطرة الأجنبية)[٢] . وقد خطط الإنجليز إلى تحويل تحويل مصر إلى تبعية اقتصادية مطلقة لبلادهم ، والقضاء على الحياة الصناعية فيها ، وينسحب على هذا قلة فرص العمل وانتشار الفقر ، وتدهور الحالة الاجتماعية في الأمة تدهوراً بالغاً ، فطبقات الشعب انقسمت إلى طبقات الأغنياء الذين والوا المحتلين ، وأما الطبقة المتوسطة فقد انصرفت إلى الحياة النفعية ، والطبقة الفقيرة وهم أغلبية الشعب ساءت حالتها ... وانتشر الجهل والأمية فيهم طوال أربعين سنة ونيف . ولقد ساءت أخلاق القوم بسوء حالتهم المادية

---

(١) مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال / ص ١٨٥ / عبد الرحمن الرافعي / ط ٤ / ١٩٨٣ هـ / هـ / ن دار المعارف .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٥.

والمعنوية ، وفقدوا أخلاق الصدق والوفاء والبر والإحسان)[١].

وقد تألم شكري لهذه المأساة حين معاصرته لها إذ عبر عنها في قصيدة "مرآة الضمائر" فقال :

ضمائر هذا الخلق مثل طباعه ... وكم من ضمير لا ينهه الزجر
وكم من ضمير فاسد تستشيره ... فتلقاه عند الخير والشر لا يبدي
وكل ضمير بالمعاذير مولع ... إذا ما أتى ذنباً أحال على العذر
وقد يحسب الشر الوجيع فضيلة ... إذا خال فيه ما يلذ من الخير
وكل صديق إن رأى بك حسرة ... وكان بخير قال حظك في الصبر
هل الصبر حلو للذي لا يذوقه ... ن ذاقه فالصبر شر من المر[٢]

والقصائد التي تعبر عن أوضاع الخلق المتدني في عصره وطباعهم الرذيلة كثر أمثال سراب الود، ح٢، ص٢٥٠ / سم الجنة وسعار الغرور، ح٧، ص٥٦١ / وصف الضياع، ح٨، ص٥٩٢/ بحر الحسد، ح٨، ص٦١٦ / صمت الشك، ح٨، ص٦١٩ / نذالة التعاسة، ح٨، ص٦٢٥/ أقوام بادوا، ح٨، ص٦٤٥ / سنة العيش، ح٤، ص٣٥٣ / القلق والغفلة، ح٢، ص١١٠ .

ولم يكن شكري من أبناء الطبقة الفقيرة ، لكنه تعرض لحموة الاحتلال ، وجبروته ، فبعد أن التحق بالحقوق ، أثمرت ملكته الشعرية ، عن قصيدة (ثبات

---

(١) بتصرف. المرجع السابق، ص ١٨٨ – ١٩٥.

(٢) ديوان الشاعر ، ج ٣ ، ص ٢٣٥.

ألقاها في اجتماع من اجتماعات الطلبة الساخطين الثائرين معبراً عن تصميم الشعب وثباته.

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً   من الذل لا يفضي بنا الذل للعار

فكان صدى تلك القصدية أن فُصِل من مدرسة الحقوق بحجة اشتراكه في الإضرابات التي نظمها الحزب الوطني)[1].

وقد توالت الأزمات على أبناء الأمة ، فهذه الحرب العالمية الأولى التي عصفت بالأمة جمعاء، وتركت آثارها على الرجال ، والشباب والنساء ، وقد ربط شكري بين حالة الأمة الاجتماعية أو حالة الفرد ، ومدى تذبذب الحالة لدى الفرد في اعترافاته (إن الشاب المصري في حالة أمتنا الاجتماعية الحاضرة عظيم الأمل ، ولكنه عظيم اليأس ، ولكل منهما في نفسه عميق مثل الأبد، والسبب في ذلك أن حالتنا الاجتماعية تستدعي شدة الأمل وشدة اليأس ، ومازلت أجد بين حالة الأمة الاجتماعية ، وبين نفوس أفرادها رابطة مثبتة)[2] فقد آلت أحوال الشباب إلى توتر، وتذبذب شديد ، واختلال تقيّم أمور الحياة واستيضاحها ، ولقد أصاب شكري ما أصاب أبناء بلده، وكان لابدّ له من ردة فعل تجاه تلك الاضطرابات ، وقد تميز شكري عن صاحبيه العقاد والمازني بوصف قاله العقاد عنه خلال فترة الحرب وهو يرثي المازني :

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ١١ / حمدي سكوت / د جونز .

(٢) الاعترافات ، ص ٣١.

(إن هذه الفترة من الحرب العالمية الأولى كانت حياة المازني نقطة تحول ، ومحنة عقل وسيرة ، وأخال أنها شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة . فنفضها شكري عنه بقصائده العابسة في ديوانه الثالث والرابع ، ونفضتها عني بقصيدة ترجمة شيطان ، وراضها المازني كما راضته ... وعالجها ... بالاستخفاف وقلة الاكتراث)[1].

إذن كان لتلك الأحداث الدامية آثار واضحة في شعر شكري جعلته يتميز بسوداويته الحزينة، وخصوصاً في دواوينه التي أصدرت قبل الحرب وبعدها ، مصوراً بقصائده الروح المصرية وما أثقل كاهلها من هموم وآلام ، وما أصابها من تغيير في مصداقيتها في التعاملات ، نظراً لوقوعها تحت قبضة الاحتلال الغاصب ، ودرء لحياتها ، ومعاشها . قال في ذلك :

غاب رشد الناس عن أنفسهم ... ضاع منهم تحت امتلاء الرحم
يقتل المرء على الجرم ولا ... يُسأل الجبار عما جترم
وإذا ما اقتدر المرء شطا ... وإذا ما ضعف المرء حلم
لا ترجى منهم رحمة ... رحمة الخبء بكي حتى أحتكم
نحن نبكي رحمة من خشية ... ن نعاني الضيم من خطب يُلم[2]

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ٣٠.

(٢) ديوان الشاعر ، قصيدة طبع الإنسان / ج ٣ / ص ٢٢٩ - ٢٣١.

د/ الرومانسية وتأثر شكري بها :

إن قراءة شكري لمختارات الكنز الذهبي من الشعر الرومانسي المترجم كانت بدايات إعجابه بهذا المذهب ، الذي راق لمزاجيته ، ولشخصيته المتفردة ، كما وجد فيه خلاص من قيود النفس الإنسانية المسجونة تحت ظل الاحتلال الانجليزي لمصر في عصره ، وقد تاثر شكري قلباً وقالباً إذ أن الرومانسية في أشعارها الثائرة التي (تناهض الإقطاعية الرجعية جعلت ثقافة شكري فردية مناهضة للعبودية ، وراغبة في الانطلاق من آثار التقاليد الموضوعة في الشعر ، فمقياس الرومانسية تأليه الحرية الفردية ، والإيمان بالذات وهو ما تحقق في الأدب الإنجليزي ، إبان عصر الثورة وكان من رواده واردثورث ، سبنسر ، وبيرون وشيلي وكيتس)[1] وقد كان ذاك مقياس شكري الشعري إذ كان شعره شعره ينبض بحب الحرية والفضيلة ، وجمال الروح والنفس والطبيعة ، وكانت نداءاته تأتم بالقيم ، والمبادئ التي فقدت في عصره ، فكان حب الحرية شعاره المتمرد للشعب ، للشباب حتى يقف في وجه الاحتلال وطغيانه ، وأزمات الزمان ونكباته حيث كانت الحرية في عصره مقيدة بقيود دامية ، ظمأى إلى إذلال البشر فهو يناجيها ويصف حال من يطلبها من البشر يقول :

حسبوك صافية الجبين خريدة ... تسبي القلوب بأكحل وسنان
بيضاء ناعمة كأن قوامها ... في لينه غصن من الأغصان
هلا رأوك وأنت بين معاشر ... وضعوا السيوف مواضع التيجان

---

(١) انظر شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤٧.

ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامه كالذئب يعوي عادي الأسنان (١)

ولقد كانت للثقافة الأوربية والثقافة الإنجليزية بوجه خاص انعكاسات مختلفة على شعر شكري)(٢) ومن رواد تلك الثقافات الذين تأثر بهم شكري.(شيلي الذي ينزع إلى طلب الحرية والمثل العليا ، وبيرون ذو الرومانسية الحزينة ، واتجاه فكره المظلم من الحياة البشرية ، وجانب الشر والشقاء فيها ، والذي يقول عنه د/ أحمد غراب إنها صفات تلائم نفسية شكري ومزاجه)(٣) . وقد تأثر شكري بشاتو بريان من زعماء الشعر الرومانتيكي الذي الذي عبر عن أزمة أمته فترة ما قبل الثورة الفرنسية تلك الأزمة الفرنسية تلك الأزمة التي دفعته إلى الثورة والصراخ في وجه الظلم والنفاق ، داعياً إلى عدم جدوى الحياة في ظل الاعتداء على حقوق الأفراد مطالباً بالثورة ، وعدم تقبل الحياة المهانة)(٤) فنرى شكري يهتف بالأمل من يأسه من عدم وجوده ،فهو يتمنى الأمل الذي يمحو الشقاء ويغير وجه الحياة التعسة المتجهمة ، يقول:

هل ينقضي ذاك الأمل المخضب بالدم؟

---

(١) ديوان الشاعر / قصيدة : الحرية / ج ٢ / ص ١٦٦.

(٢) راجع عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٢٢٢ وما بعدها / انظر الشعر والثقافة فصل من من نشأتي الأدبية ، ص ٤٨٤ ، عبد الرحمن شكري / المؤلفات - النثرية له تحرير / أحمد الهواري / ج ٢ / ن المجلس الأعلى للثقافة.

(٣) راجع عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٢٣٣.

(٤) انظر شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ١٠٠.

يـــدحو شـــقاء الأبريـــا		ء وينثنـــــي لم يكلـــم
أمـــل يـــرى ظلـــم الحيـــا		ة بوجههـــا المـــتجهم
فبعيـــدة طلقـــاً كوجـــه		الأغيـــد المتبســـم
أمـــل يطـــل عـــلى الســـنين		بحسرـــــة وتنـــدم
ويـــرى الحـــياة فريضـــة		مـــن أجـــل ومقـــدم (١)

وتراه في قصيدة أخرى يرفض سياسة الحكام ، ويثور عليهم ، ويربط صلاح المجتمع بصلاح سياسته . قال في ذلك :

لا يصلح الناس في خلـق وفي عمـل		إلا إذا صـلح السـواس والأمـم
مرأى ومسمع والسـواس تغفلـه		به أصل الأسى والقسـو والجـرم
يعدي الأنام فـرادى في معيشـتهم		الحرص والكذب والتقتيـل والـنهم
فكيف يرجون سلماً بـين قـومهم		وللغريـب البعيـد الويـل والـنقم
وقد بدا أثـــر للـــحرب بينهم		من بعد حرب ترى الآثام يحتـرم(٢)

وهو مازال يناهض دعاة السياسة الذين يستغلون ضعفاء النـاس فيـؤثرون فيهم بطرقهم السياسية الخفية حين يقول في قصيدة " جنون الأقوياء " :

ملكوا الأرض واستباحوا حماهـا		واســتطالوا بجنـــة الأقويـــاء
وسعوا ينشرـون في الأرض سراً		منكـــراً في شريعـــة الأتقيـــاء
إن رأوا نقـص أنفـس في خصـوم		اســتزادوه بـــالأذى والـــدهاء

---

(١) ديوان الشاعر / ج ٢ / ص ١٥٠.

(٢) لحق ديوان عبد الرحمن شكري / د محمد السعدي زهور / ص ٣٩ / ١٩٧٠ / ن مطبعـة زهـران زهران سيد إسماعيل . القاهرة .

أفســدوا أمرهم ودســوا دعــاة		كي يهجوا تشــاحن الأشقــــياء[1]

ولم يكـن حبـه للحريـة ، وثورتـه عـلى الظلـم والمهانـة ، ونـداؤه لحقـوق الفرد مبدؤه الأوحد ، بـل كـان تـأثره بالمـذهب الرومـانتيكي واضـح في حبـه لجمال الطبيعة وتغزله بذلك فقد تأثر شكري بالرومـانتيكيين (عنـدما يصـفون الطبيعة فيخلطون بينها ، وبين صفاتهم الذاتية فتكون أنفسهم مرآة لما حولها ومن حولها)[2] إذ يقارن في قصيدة ط بحر الحسد " بـين عمـق الحسـد والغـل عنـد الناس، وعمق البحر وعنت أمواجه فقال :

يسـبح الأحيـاء في بحـر الحسـد		فاعتصـم بالصـبر فيـه والجلـد
واقتصـــد صـــهوته مستبشرـــاً		ســابحاً في المــوج فيــه والزبــد
ضــاحكاً مــن عنــت الأمــواج لا		يُــدفع القائــل منهــا بالكمــد
انظـر الأمـواج في الشـط تجـد		لجهـــا منهـــزم الأمـــر بـــدد
إن علـت موجـة حقـد فاصـطبر		أي مــوج في ذرى الــيم خلّــد؟
وإذا لألأت الشمس عـلى الـيم		أخفت قبـح مـــادون الزبــد
كمقـــال الحـــب يخفـــى كيـــده		إن سـطا في العـيش لـوم وحقـد
ب ّ در فيـــــه لا تأملـــــه		ن مـن غـاص عـلى الـدّ ر وجـد
أنجـد السابـح أن حـار وكـــن		لذي أشـفى عـلى الهلـك عضـدُ[3]

---

(١) ديوان الشاعر / ج ٨ / ص ٦٥٣.

(٢) انظر الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال / ص ٣٠٤ / ن / نهضة مصر للطباعة والنشر / ١٩٩٨ م / ط ٣.

(٣) ديوان الشاعر ، ج ٨ ، ص ٦١٦.

وتـراه في قصـيدته السـابقة يتـألم مـن الحقـد والغـل الـذي في الصـدور ، ولكنه يأمل في الخير مخبوءً كالدّر بين الأصداف ، بل يرى أن الإنسان لن يلتـذ ألم الموت إلا أن يذوق ما في كأس الحياة من مصاب بعد العيش إذ يقول :

لا يلــذ المــوت إلا متعــب ... ســهر العـيش وفي المـوت رقـد
رقـدة يـا طيــبها مــن رقــدة ... بعد أن عـانى وأبلــى وسـهد [1]

وله أمثلة في هذا الجانب منها قصائد (الحياة والموت ، ج٣ ص٢١٣، الجمال والموت ج٢ ص١١٥ ، وصف الطباع ج٨ ص٥٩٢) .

وقد عُرف عن شكري ذاتيته الشعرية ، وهي شعره الوجداني الـذي يصـدر عن تجربة خاصة، وهو في الصورة الآتية يصف الطبيعة بطريقة تشخيصية ، تعبر عن موقف وجداني يحسه ويكابده ، ويتخيله من خلال ذاته حين يقول:

جعلت أبحـث في الفـؤاد كـأنني ... في الأرض أنكث جاهـداً لا أفـتر
حتـى رأيـت هنـاك قـبراً غـائراً ... للحـب قـدماً كـان غـدرك يحفر
وعليـه مكتـوب بحـرف مـن دم ... الحســن خــداع يغــر ويغــدر
قــبر دفنــت بــه الصــبابة والمنــى ... ولذيــذ عــيش في جــوارك يزهــر
يا قبر هــذا الشعر قومـك حليـة ... والزهــر في قــبر الأحبــة ينثــر
والقلب مثـل البحـر يقـرع قاعـه ... أهنـأ قلـوب الخلـق مـالا يسـبر
كم فيه من أثر العواصـف راسـب ... أبدأ بــه لا يستــــطاع فينظـر [2]

---

(١) ديوان الشاعر ، الصفحة نفسها .

(٢) ديوان الشاعر / قصيدة / قبر في القلب / ج ٥ / ص ٤٢٣.

وقد اهتم الشعر الرومانتيكي بالأفراد وقضاياهم فهو ينبعث منهم ، وإليهم ، وقد ندّد شكري بقضايا المجتمع الفاسدة ، وعبر عنها بمأساوية واضحة في كثير من قصائده ، منها "غل السرائر، ج٦، ص٤٧٠ ، نحن أخوة، ج٢، ص١٧٣ ، الخمود والجمود، ج١، ص٦٩ ، صوت النذير، ج٣، ص٢٧٧ ، فيها قال):

واحسرتاه لقوم ليس ينفعهم ... نصح النصيح ولا الوعاظ والرسل
مستنبتين بأرض العجز ليس لهم ... عنه ولا عن فناء الجهل مرتحل
زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم ... وفوقهم من بوارق خزيهم حلل
يا بارك الله مقدوراً يعاجلهم ... فتطهر الأرض لا رجس ولا خطل
بأي حق يعيش القافلون ولا ... نفع يجيء به إذا أغفلوا
وصاحب الجهل فيكم آمن فرح ... وصاحب العقل فيكم حاذر وجل
فإن رقدتم فإن النوم عادتكم ... وليس تصحو لكم روح ولا عقل
والعجز مهلكة والضعف مضيعة ... مالكم إن غفلتم عنها نقل[1]

أما عن معاناته الذاتية المشوبة بعاطفة متشائمة حزينة ، فالنحس ملازمه ، والشقاء يؤاخيه ، حتى تمنى الموت ، فيطعمه ويلتذ به كما يُلتذ بالنعاس ، وبنشوة الخمر حيث يقول :

حياتي أما للنحس حد ولا مدى ... فإني كرهت العيش في أول الصبا
حياتي إن الجسم يبلى ودونه ... فؤاد شجي ليس يدركه البلى

---

(١) ديوان الشاعر / قصيدة " صوت التدبر " ج ٣ / ص ٢٧٧.

إلى م حياتي أذرف الـدمع حسرـة ولا ينفع المحـزون إن ردّد البكـى

وبـين ضـلوعي للتصـبر لوعـة ملني مـا لا أطيـق مـن الأسـى

وحتى متـى أبلـو نفوسـاً ضـئيلة أبـين لهـا ودي فتبـدي لي القـلى؟

ينالون مـن قلبـي بنـاب ومخلـب وما راعهم أن خضبوا القلب بالـدما

فيـاموت أقبـل لا كاقبـال رائـع مرير كطعم العيش يؤلم من حسـا

ولكن كترنيـق النعـاس بمقلـــة طواها الكرى أو مثلما تفعـل الطـلا(١)

كما كانت روح التقصي والطموح إلى كشف مغاليق الحياة والخليقة ، .. هـي الروح الغالية على المذهب الرومانتيكي ، والتي تأثر بها عبد الـرحمن شـكري في معظم شعره الفلسفي التحليلي(٢) . حيث كتب قصائد بحثت في حقيقة الإنسان الإنسان وتردّده بين الخير والشر ، وبين الجزع والرضى ، وبين اليـأس والأمـل ، ومالت بألحانها إلى سمات السوداوية والتشاؤمية في معظم الأحيان ، يُذكّر منها : لا مرحباً بالأقدار ، ج٦، ص٤٥٧، الإنسان والكون، ج٤، ص٣٠٣ ، شـكوى الزمـان، ج١، ص٣٢ ، نذالـة التعاسـة، ج٨، ص٦٢٥ ، الـدفين الحـي، ج٣، ص٢١٥ ، الكونان، ج٤، ص٣٥٤ ، جد أم لعب، ج٦، ص٤١٨ ، وعلى سبيل المثال قوله في قصيدة الإنسان والكون ، حيث يتلاقى الطموح والآمال مع يقين الفناء في آخر المشوار:

---

(١) ديوان الشاعر / قصيدة : شقوة العيش / ج ٥ / ص ٤٠٥.

(٢) انظر مقال / المثل العليل في الشعر / ص ٥٠٧ / عبد الرحمن شكري المؤلفات الشعرية الكاملـة / ج ٢ .

أحسب أن الكون يبني وإنني	أمير على عليائه وإمام
وأعلم أني هالك غير خالد	وإني رفات للثرى وعظام
وإن لا طير ينوح لمنيتي	ولا الزهر يشجو إن هلكت يسام[1]

فهو يأمل في الحياة أن يكون أميراً على هذا الكون مالكا له ، رغم ذلك فهو على يقين من هلاكه وفنائه بين الثرى ، فإن مات لن يدمع زهر ولن يشدو عليه طير. ثم نراه يكشف عن نفوس ضعيفة امتازت بالنذالة واللؤم والكيد في الخفاء ، فضاعت عاطفة الرحمة والرأفة لقاء ذلك اللؤم حيث يقول :

كدت أنسى دواعي الرفق مما	قد أرتني نذالة التعساء
يغضمون اليد التي تنتحيهم	بسقاء ونجدة وإخاء
ويكيدون في الخفاء أو الجهـ	ـرة ألئم بجهرهم والخلفاء
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ	س سوى في القليل من كرماء
ضاع عطف الرحيم إذا ضاع حُسن الـ	خلق في جم أنفس التعساء[2]

وها هي النفس الإنسانية تتأرجح بين الرجاء والفزع والرضا ، وهو حقيقة ذلك المسلك الوحيد للنجاة من هذه الحياة إذ يقول :

أعالج صرف الدهر في غير مطمع	لعل ما تمُلي عليّ المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة	ويفزعني وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه	وللعيش ناب قاتل وأظافر
فيها أنا بين العيش والموت واقف	فهل مخبر يدري متى أنا سائر؟

(١) ديوان الشاعر / ج ٣ / ص ٣٠٣.

(٢) ديوان الشاعر / قصيدة نذالة التعاسة " ج ٨ / ص ٦٢٥.

لعل الذي أرجو من الدهر واقع | فقد كان ما قد كنت دهراً أحاذر
عسى أن يعود العيش جما جماله | ففي الروض فينات وفي الأفق زاهر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما | فإني بهذا العيش راض وصابر(1)

وقد نجد شكري يشكو بحزن وأسى من قسوة الصروف عليه إذ يقول :

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً | فصرت كأني في الثمانين من عمري
رضيت بهذا العيش بعد أبوة | لا أبلغ شأواً أو أغيب في قبري

حتى يقابل يأسه الأمل فيقول :

رب ليال بت أدحوا ظلامها | بطرفي وذيل الليل يعثر بالفجر
هل العيش إلا أن تنال بعزمة | مقاماً كأن النجم من تحته يسري(2)

نلاحظ يأساً يقابله أمل ، فما هي إلا تشاؤمية تناهضها عزيمة وإصرار يحث الهمم ، ولعل ذلك البحث ، والتحليل حول حقيقة الكون والإنسان ونوازعه الدفينة ، الظاهرة فيه أكسبت شكري أسى وشقاء ، فكان ذلك التشاؤم قالباً قدّم به شكري قلب تلك المعاني ، والصور الشعرية ، وكانت السوداوية حليتها في كثير المواضع .

و / الإخفاق تحقيق الأهداف والوصول إلى الآمال :

تميز شكري برهافة الإحساس، وشدة التأثر إذ أن إخفاقه في الوصول إلى

---

(1) ديوان الشاعر / بين الحياة والموت / ج ٣ / ص ٢١٣.

(2) ديوان الشاعر ، شكري زمان ، ح١،ص٣٢.

هدف يرتضيه ، ويرجوه أمر يؤثر في وجدانه وشخصه ومسلك حياته ، ويعدُّ هذا الإخفاق من دواعي تشاؤمه في الحياة ، فقد اشتغل شكري معلماً ، ثم ناظراً ، ومفتشاً ، وكانت البيئة المحيطة بوظائف التعليم خلال مزاولة شكري لها ، تمثل الصراع النفسي الذي قاده إلى الانعزال، فكان هذا الصراع من أهم الأسباب في سوء التكيف الذي عاش فيه اجتماعيا ومهنيا وذاتيا،وقد تمثل ذلك في عجز شكري عن مجارات قوانين مجتمعة. فعجز عن عقد الصلات المرضية مع رؤسائه ومرؤوسيه، فكانت قدراته أكبر من عمله ، وعدم رضاه على من حوله سبب من أسباب عدم الرضا والثقة بهم . يقول عن ذلك الصراع بالنسبة له ولصديقيه : (العقاد والمازني أنهما خرجا من مهنة التعليم بالاشتغال بالصحافة ، والسياسة ، أما أنا فتهدمت . لكنني خرجت أيضًابالتدريس ، درّست وتحطمت)[1]. لقد رام شكري إلى الإبداع الشعري والحقيقة أنه كان هدفه الأعلى ، وقد صرفته مهنة التعليم عن هذا المرام . بالطبع لكثرة مسؤوليات هذه المهنة ، كما يقول هو ، كما أنه حاول أن يطبق ما عرف من أساليب تربوية تهتم بنفسيات الطلبة ، وسيكولوجية المجتمع لكنه وجد في مهنة التعليم صورة مغايرة عما رآه في الغرب، مما أصابه بالحزن واليأس للأوضاع التربوية في مصر-آنذاك . كما كان رفضه المقايضة بعواطفه الصادقة الشعرية داعياً من دواعي أزمته التعليمية ، فقد

---

(١) نقلاً مقال تجربة عبد الرحمن شكري مع مهنة التعليم ، د/ ناول عبد الهادي ، مجلة الفيصل ، عدد ٢٣٨،ص٧١٧، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

رفض قول الشعر في مناسبة مولود ، أو ترقية لأحد كبار الموظفين مقابل إعطاؤه ما هو حق له من علاوة وترقية شرعية، وقد لاقى شكري اضطهاداً ، وهجوم من كبار موظفي التعليم بسبب ترفعه عن استعطافهم وبسبب صدقه ، وعدم نفاقه لم تصدر له علاواته المستحقة ، أو درجات ترقيته كما كان غيره ينتهبها ، كما كان خطأ ارتكبه أثناء وظيفته جعل حقدهم عليه ذريعة لهم في سخطهم ومحاسبتهم له ، وقد قال شكري قصيدة في أولئك القوم " أقوام بادوا " جعلت سخطهم عليه يشتد حتى رموه بتهمة الخيانة الوطنية حيث كانت كلماته أوقع عليه من لسع السياط)[1] ويرجع الدكتور ناول أزمة شكري العلمية ليس إلى مهنة التعليم نفسها ، فقد أنتج معظم دواوينه الشعرية ، وكتاباته النثرية خلال سني التعليم ، بل إلى تلك البيئة وزعمائها من كبار العاملين في وزارة التعليم ومعاملتهم القاسية ، المضطهدة لشكري ، إضافة إلى ذلك (ما عُرف عنه من رأي حر صادق ، وصداقة العقاد والمازني الذين ناصرا قضية الاستقلال الفكري والحرية ، ونتيجة عدم وقوفه إلى جانب السلطة الحاكمة ولا بجانب الثورة فقد اتهم بالتقاعس وخيانة الوطن)[2] ، رغم أنه كتب قصائد ناقدة لأوضاع المجتمع المجتمع هادفة إلى النصح وإيقاظ الضمائر ، والأخلاق أمثال " ضيقة حال، ج١، ص٥٧"، "شكوى زمان، ج١، ص٣٢" "اليأس والأمل دواء، ج٢،

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨ عدد ٢٣٨ + أحمد غراب ص٣٦-٤٠،عبد الرحمن شكري + مقال رائد الشعر الحديث،محمد رجب بيومي،مقدمة الديوان،ح١،ص١٧.

(٢) شاعر الوجدان ،يسري سلامة ،ص٦١.

ص١٤٤"، "غيث الشكوى، ج٤، ص٣٠١" ، "كلمات عواطف" ج١، ص٨٦.

أما عن خيبة الأمل الأدبي ، فقد تمثلت في عدم تحقق الشهرة الأدبية التي كان يطمح ، ولكنه لا يسعى إليها ، فهو شاعر معتز بنفسه وبشعره أيما اعتزاز إذ يقول :

أرمي بشعري في حلق الزمان ولا ... أبيت منه على هم وبلبال
لا أبتغي الجاه أسعى نحوه ضرعاً ... ـزاء شعره إن الجاه يسعى لي (١)

كما ويرى شكر أنه بشعره جدير بأن يتبوأ درجات العلا،يقول:

سيذكر هذا الدهر أمري وأمركم ... فقد خط شعري في الصميم من الدهر
لقد كان قبلي عاطلاً فحبوته ... عقود معان لا تطرق بالنثر
وقد كان قبلي أخرس الفم أبكما ... فأصبح يشدو بالجليل من الشعر (٢)

فالشاعر يرى أن غيره قد وصل إلى مرتبة عليا ،لا عن طريق المهارة والبراعة الشعرية"سيذكر هذا الدهر أمركم فماذا كان من أمر شكري لقد تميز عن هؤلاء الذين يقارن بينه وبينهم "و حبوته عقود معان لاتطرق بالنثر" كان قبلي أخرس أبكم ، ،فأصبح يشدو بالجليل من الشعر.

أسباب عدم تحقق هذه الشهرة المتوقعة لشكري كما يذكرها د/ أحمد غراب (أن شعره كان جديداً في مواضيعه المطروقة ، كما كانت صورة غريبة عن الأذواق

---

(١) ديوان الشاعر، ح٢، ص١٥٧.

(٢) ديوان الشاعر ،ح٤٢،ص٣١٣.

والأفهام والأسماع في عصره ، فلم يتقبل الناس تلك الجرأة من شكري على تخطي التقاليد الشعرية المتبعة ، وعدم اتباع القوافي الموحدة بل ابتداع المرسل ، والترفع عن شعر المناسبات)(١)

كما اشتكى شكري من جمود القوم وعدم تفهمهم لشعره حين قال :

فمن لي بأسماع تعي ما بقوله ... فحولي أناس كالجماد من الوقر(٢)

كما كانت معانيه مستغلقة على الأذهان كما رأى د/ شوقي ضيف أنها جديدة ومصاغة بطريقة فريدة يتداخل في نسجها الحزن والسواد والموت الذي طالما ورد كثيراً بين ثنايا قصائده(٣) . ورغم أنا نراه يتحدث بواقعية ربما تكون سوداوية مريرة لهذه الحياة وحقائقها ، وقد صُدم شكري بهذا الرفض لاسيما ، وهو شاعر مفتخر كل الافتخار بنفسه حيث يقول:

ولو أنني لفحت بغل صدري ... لفاض الماء واحترق الهواء
سأحدث في غد حدثا عظيماً ... تظل له البوارق تستطار
فإن أعمر فويل للأعادي ... وأن أهلك فويل للصديق
وكم من ناعق يدعو الأمر ... نعيق البوم في الطلل الخراب(٤)

---

(١) انظر: عبد الرحمن شكري ،أحمد غراب،ص١٤٩.

(٢) ديوان الشاعر ،قصيدة ، هذا الحبيب ،ح٤،ص٣١٥.

(٣) راجع ،دراسات في الشعر العربي المعاصر،شوقي ضيف ،ط١،ص١١٢-١١٣،دار المعارف .

(٤) ديوان الشاعر،قصيدة كلمات عواطف ،ح١،ص٩٤.

فانظر إلى مدى ما يسببه له الـدهر مـن آلم وأحـزان "نفحـت بغـل صـدري لغاض الماء واحترق الهواء" إنه تغيير الأشياء عن طبعها نتيجة قوة كامنة في أعماق الشاعر تشبه الطبيعة في غضبها ، ولذلك "إن أعمـر فويـل للأعـادي" فسـوف تصيبهم نيران حقدي " وإن أهلك فويل للصديق "بهذا التناقض الذي يدل على اختلاف ما يحدث للأصدقاء عن الأعداء من هـلاك الاثـنين، وإن كـان هـلاك الصديق ألما وحزنا على رفيقه.

وأكبر دليل على عدم تحقق الشهرة لشكري حين يحكي لسان حاله في قصيدة " شاعر يحتضر "[١]:

أألقـى المـوت لم أنبـه بشـعري ؟	ولم يعلم سـواد النـاس أخـرى ؟
وفي نفسيـ مـن الأبـد اتسـاع	تـدور الكائنـات بهـا وتجـري
فمـن للقلـب يطربـه بلحـن	يحـن إليـه مـن نظـم ونثـر
شربت الحلو من كاسات دهـري	ـذاك المرّ مـن كاسـات دهـري
فمـن لي بالسـكينة في حيـاة	أعالجهـا كـأني رهـن أسر؟
ظمئـت إلى الكـمال فلـم أنلـه	وذقـت اليـأس في صـلة وهجـر
وعالجـت العواطـف هائجـات	هيـاج النـار مـن لهـب وجمـر
وجملـت الحيـاة بـنظم شـعر	شـبيه الضـوء في الأفـق الأغـر
قصـائد مثـيرات خـالدات	خلود النجم مـن شهـب وزهـر[٢]

---

(١) ديوان الشاعر، ح٣، ص٢٣٤.

(٢) ديوان الشاعر،قصيدة شاعر يحتضر،ح٣،ص٢٣٤.

وقد تبين قصيدته الماضية أملاً في انتشار أمره بين عامة الناس رغم ما يحسّه من رحابة صدر تحتوي الكائنات جميعاً ، فلم لا تحتويه أذواق الجماهير ، وتسعى إلى نظمه، الذي يشبه الضوء في الأفق ،ولكنه يضع آماله في قصائده،فهي خالدة،وستخلد ذكره رغماً عن الجميع،حتى أنه قد اعتاد النقصان ، والغدر من أفراد مجتمعه حين يقول[1]:

اعتدت من أهل دهري كل منغصة فلا ألومك في مكر وعدوان

وقد كانت تأملات شكري الفكرية ميداناً رائعاً للخيال المجنح ، والإلهام البصير ، إلا أن القدر شاء لشكري أن يحاربه أنصاره ، وتلاميذه من دعاة التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرين كما نوه بهذا الهجوم نقولا يوسف جامع ديوان شكري حين ذكر أن فشل ثورة ١٩١٩ م والتحالف بين البرجوازية والإقطاع ؛ أدى إلى تعدد مدارس الفكر في مصر فلكل غاية ومنفعة ، وهكذا ظهرت غاية كل كاتب وطريقته ، وذلك أفهم نقولا دوافع الهجوم المجحف الغير موضوعي الذي قام به عدد من الكتاب تجاه شكري)[2] .

وقد عُرف عن شكري مناهضته للاحتلال وعملاء النفاق ، ومطالبته لحرية

(١) قصيدة ،عقوق القدر ،ح٤،ص٣٤٠.

(٢) مقالات رائد الشعر الحديث وأحد أساطير الأدب العربي،محمد رجب بيومي ،ص٨،مقدمة ديوان الشاعر بتصرف .

الفرد والجماعة ، فكان شخصه المتمثل في شعره محطا لهجوم الكثير من حلفاء الاحتلال ، وقد أثرت حادثة هجوم عبد القادر إبراهيم المازني على شكري إثر إصدار شكري لديوانه الخامس الخطرات " بمقدمة يعقب فيها على شعر المازني ، ونقله لعدد من قصائد الشعر الإنجليزي دون إشارة إلى أنه مترجم ، موهماً القراء أنها من شعره كما ختمها شكري. بقوله : (أني لو رأيت عفريتاً لما عراني من الحيرة والدهشة ما عراني لرؤية هذه الأشياء)[1] وقد كان الثلاثة شكري والعقاد والمازني أصدقاء طريق علمي وأدبي ، رغم ذلك لم تؤثر تلك العلاقة في مصداقية شكري ، فيجنح إلى تغطية مالا يرضاه ضميره ، في الكشف عن سرقة المازني ، وما كان من ردّ المازني في (صدر الديوان للعقاد والمازني الذي صدر ١٩٢١م أنه كان هجوماً عنيفاً على شكري واتهامه بضحالة شاعريته ، واضطراب شخصيته ، وتلوث عقله بالأوهام ، فكانت تلك الصدمة التي أحادت بشكري عن طريق المجتمع ، فانزوى عن الحياة الأدبية ما خلا مما خفى من مواضيع نشرت له تحت حروف اسمه الأول)[2] وقد أصيب شكري بما يسمى بالتزلزل الوجداني حيث يحدث ذلك في حالات الصدمات الوجدانية التي تتسم بالفجاءة ، مثل انقلاب صديقه المازني إلى عدو يشهّر به ، ويدعي عليه ما ليس فيه مستغلاً ما لديه من خبرة عن حياته ، فالتيار الوجداني في تلك الحالات يصطدم بحاجز كثيف

---

(١) عبد الرحمن شكري،نظرات في شعره ،أنس داود ،ص٩٣،الهيئة المصرية العامة للتأليف ،١٩٧٠م.

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٩٤ . راجع أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ٢٥ – ٢٦ .

مفاجئ مما يجعل المرء في حيرة إلى اين يتجه)[1] . لكن شاعرنا اتجه إلى العزلة ، والانسحاب من أرض المعركة تاركاً الساحة للمازني والعقاد ، وشعراء العصر في ذلك الوقت ، وكتّابه . ذلك كان الانسحاب الأخير الذي أسدله شكري على تواجده بين الأوساط الأدبية)[2].

أما عن إخفاقه الوجداني فقد ذكر من ناقشوا هذه القضية أن غزل شكري الناتج عن وجدانه لم يكن صادر عن تجربة شخصية واقعية بل صادر عن تجربة وجدانية خيالية ، عبرّ عنها بطريقة تنم عن تذوق عميق لمعنى الحب والتغزل بروح الحبيب الطاهرة ، وحقيقة تجربته تلك أن ذلك (الحب ناتج عن روح ذواقة للجمال ، وحب الحياة ، كما ورد عن الشاعر في مقدمة ديوانه الرابع ، وأن هذا الإحساس الشديد بجميع مظاهر الجمال، والذي تصدره تلك العاطفة الشعرية التي يفيض ضياؤها على كل شيء حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة)[3] . وليس لتلك العاطفة صلة بالمرأة ، والدليل على ذلك قوله : (ليس (ليس للمرأة أو غيرها اثر كبير في شعري ، كما لم يكن للمرأة وغيرها فيما أظن أثر كبير في شعر ابن الفارض)[4] ، ولا يطلب شكري من الشاعر أن يعشق كي يجيد يجيد النسيب ، ولكنه مطالب بوجدان يصدح ، ويعبر عن نواحي تلك العاطفة

(١) انظر التفاؤل والتشاؤم / ميخائيل نعيمة / ص ٣٤.

(٢) راجع أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ٢٧، ٢٨ / حمدي سكوت / د. جونز ، بتصرف .

(٣) مقدمة ديوان الشاعر / ج ٤ / ص ٢٩١ .

(٤) عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ١٨٨ ، رسالة بتاريخ : ٢١ / ٨ / ١٩٥٥ م .

بمزاج فني سليم ، وبصيرة سيكولوجية تمكنه من فهم أحاسيس النفس وتصويرها)[1]، وميزان وجده ترجح فيه كفة الألم ، والمعاناة في الهوى ولوم النفس ثم تقدير العذر للحبيب بقوله في قصيدة "لوحة من التجني" :

ألومه في التجني ثم أعذره والدمع يفصح لما كنت أستره
يبيت ممتلئ الأجفان من وسن منعماً وحليف الليل يسهره
يا ليته كان يدري كيف يرحمني أو ليتني كنت أدري كيف أهجره[2]

ثم هو يستعذب الألم والسهاد ، وقسوة الحبيب التي قد تمزقه بأنياب وأضراس إذ يقول :

أُبيت الليل سهراناً على هم ووسواس
وأقضي اليوم في هم أريق الهم في الكاس
وقد صبيت لي الموت فهل يهنيكم باسي
سينعاني لك الموت وأحسوه مع الحاسي
وإن أدرج في قبري قتيل الحب والباسي
لقد خلفني الحب صموتاً بين جلاسي
وقد مزقني الحب بأنياب وأضراسي[3]

ثم تراه من فرط وجده ، وقسوة قلب المحب يدعو نفسه إلى صحبة الموت

---

(١) مقال أنواع النسيب والتشبيب في سفر العرب / عبد الرحمن شكري / مؤلفاته النزيه / ص ٥٢٣ .

(٢) ديوان الشاعر ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٣) قصيدة ديوان الشاعر ، ج ٤ ، ص ٣٣١.

فهو أرحم من صحبة خلانه في " الحب والرحمة " :

لما رأيتم حياتي في اقترابكم ... وإن يعذكم في الموت سيان
بنتم فلا رحمة فيكم أؤملها ... لا تحسّون ما بشي وتحناني
لله لومت من شوق ومن كمد ... لما بللتم بماء الدمع أكفاني
ولا عناكم مماتي في محبتكم ... بل كان حظي من سخر ونسيان
أبعد ما قد بدا لي من عداوتكم ... تبدون للناس صحبى وإخواني
يا طارق الموت فيك الأمن أنشده ... فأنت أرحم من صحبي وخلاني(١)

والحب لديه مذلة وهوان تجعلانه يطلب رحمة الحبيب ، حيث يتمنى على نفسه الأماني التي تحقق قُرْبه في " الحب والموت " :

يا ليت إني مقعد في دياركم ... مقيم على صرف الزمان ركين
ويا ليت أن القرب ينصف والنوى ... فيحمد عزقي هواك وهون
يا ليت بي نوعاً من النحس واحداً ... فإن شقائي في هواك فنون(٢)

(والحب عند شكري نوع من العبادة التي يؤديها عقله ، وقلبه ، وجسمه ، وهو كذلك عند الرومانتيكيين ، وهو وسيلة عند شكري لتطهير النفوس وصفائها ، كما هو لديهم)(٣) لذلك كان ذلك العذاب الذي يقاسيه في تجربته الوجدانية ، وتلك الدموع الحارقة ، وذلك الحزن العميق القاتل خير طريق

---

(١) قصيدة الحب والرحمة ، ج ٤ ، ص ٣٣٠.

(٢) ديوان الشاعر ،ح١، ص ٢١١.

(٣) شاعر الوجدان / يسرى سلامة / ص ١٤٠.

ليطهر بها شكري نفسه وروحه من الأدناس ، فيعلـو بهـا عـن سـفاف الجسـد ، وماديـة الـنفس . إذن كيـف يـأتي الإخفـاق إلى حـب طـاهر مثـل ذاك الحـب الرومانسي ؟ وكيف ينتهي به نهاية حزينة عقيمة ؟ قـد يكـون الإخفـاق حليفـاً لذلك الحب الوجداني لأنه حب خيالي مجنح، فلا حبيب حسي ، مستحق لهـذا الحب العظيم النامي عن شفافية روحية وجدانية ، (فشكري لم يتزوج ، ولم تكن له علاقات رومانسية ومعروفة أو مكشوف عنها)[1]، فعندما يعـبر في قصـائده عن فساد الواقع ،التي تحمل عناوين أمثال " العهـد والحـذر، ج٢، ص١٧٥ " ، والحسناء الغادرة، ج٢، ص١٤٢ " التي لا عهد لها ، وقبلة الزوجة الخائنة، ج٢، ص١٥٩ " والزوجة الغادرة، ج٢، ص١٨٠ يعبر بواقعية مجروحـة بعيـدة كـل البعد عن خيالاته الرومانسية .

وربـما وجـد الرومـانتيكيون بهـروبهم إلى خيـالاتهم راحـة ، لا يجـدونها في الواقع ، ولابد أن يتحقق ذلك لمن يعـيش في خيـال مثـل خيـال شـكري الـذي يقول :

ل في نجوم الليل لحظـات طرفـه	فإني إليهـا في دجـى الليـل نـاظر
عسى يلتقي لحظي ولحظـك عنـدها	فتعرف ما تطـوى عليـه النـواظر

ثم يتغنى أنه يتلاقيا في الأحلام حين يقول :

---

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ٣٣ / حمدي سكوت / د. جونز .

عسى تجمــع الأحــلام بيـنـي وبيـنكم   ومن لي بها والظرف باك مســاهر [١]

فكيف لرجل يحب بتلك الصورة الخيالية أن يعيش سعادة الوجدان في أرض الواقع الذي يشوبه الخداع ، والنفاق، وسوء الأخلاق (وقد كان فشـل شـكري الوجداني أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه، فالعاشق إذا كان مفكـراً أو محلـلاً من ناحية، وعاطفياً ثائراً من ناحية فإن أمواج الهواجس، وتيارات الظنون لابـد أن تقيمه وتقعده، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة، فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال فهي لا تفهم صـاحبها، ولا تسـتطيع أن تسـبح في عوالمـه، فتتسع الفجوة بين القلبين، وتـأتي الفجـوة المظلمـة فتسـحق القلـوب وتـذيب الضلوع)[٢]. ويحدث الإخفاق الوجداني لشاعر مرهف كشكري.

لقد اجتمعت دواعي كثيرة عند عبدالرحمن شكري منها ما كان داخلياً ومنها الخارجي فإحساسه المرهف، وتفكيره العميق أثرا فيه بطريقـة كبـيرة إذ جعـلاه يتذوق طعم الألم والسعادة، بل تذوقه للألم جعله يعـرف معنـى السـعادة، كـذا خياله الخصب دفعه إلى الشعور بالخوف والألم حتـى أصـبح يخشـى كثـيراً مـن مصائب الحياة وإن لم تحدث له. بالإضافة إلى معاناته الذاتيـة وشـعوره بالشـقاء والبؤس يؤاخيانه، حتى تمنى الموت وفضله على الحياة وطعم لذته.

---

(١) قصيدة "غاية الحب" ج ٢ / ص ٢٢٣.

(٢) عن مقال رائد الشعر الحديث أحد أساطين الأدب العربي/ رجب بيومي/ ص١٨/ مقدمة الديوان/ ح١. نقلاً .

كما كانت قيود الزمان والمكان من دواعـي تشـاؤمه التـي كبلتـه بـالأحزان والهموم لعدم تحقق الأماني، كذلك وضاعة عقول الناس وسوء ظنه بهم وبنفسه، وخيبة أمله في صداقتهم كان ذلك من الدواعي التي أثرت في نفسيته، وحالت به إلى تفضيل العزلة، وشعوره بـالتفرد والغربـة بـين الأهـل والصـحاب.. ومـن المؤثرات الخارجية أوضاع الأمة المتقلبة وأخلاق العباد الفاسدة في التعـاملات، التي أثارت شكري، وجعلته يحس التذبذب والتوتر في نفوس أبناء الأمة، وكان من تداعيات ذلـك تلـك القصـائد العابسـة التـي عـبرت عـن أخـلاق العبـاد وضمائرهم. كما أن للمذهب الرومانسي أثر واضح في شخصية شكري الشـعرية فقد أثار الحزن والألم في شعره بحبه للحرية المنشودة غـير المحققـة، والنظـرة إلى جانب الحياة المظلم وجانب الشر والشقاء، إذ رفض شكري ذلك كله وثار عليـه، حتى أن حبه للطبيعة اصطبغ بذلك الحزن فخلط بين صـفاتها، وصـفات البشرـ الذاتية، فجعلها مرآة لما حوله.

وإخفاق شكري الوظيفي المتمثل في عدم نيلـه المراتـب الوظيفيـة التعليميـة المستحقة له والهجوم الذي لاقاه من رجال التعليم، وطلابه كان سبباً في تقديمه الاستقالة من الوظيفة التعليمية قبل أوان تقاعده، والقبول بالمعاش الضئيل الذي لا يفي ببعض ما تطلبه الحياة.

كما كان عدم إقبال الجمهور على شعره، ورفضهم لأفكاره الجديدة، وصوره السوداوية وترفعه عن شعر المناسبات، ممـا زاد الوضـع سـوء وجعلـه ينظـر إلى المجتمع بنظرة دونية مستحقرة للتخلف الذي أصاب العقول والقلوب، ولابـد

أن يكون في عزوفه عن الزواج أي كانت الأسباب تجربة واقعية أم تجربة وجدانية خيالية بعيدة عن الواقع ومستعذبة للألم والسهاد والموت من أثر على شاعر أحب الطبيعة والجمال.

الفصل الثاني

مظاهر التشاؤم في شعر شكري

شكري شاعر التأمل والاستبطان الذي يُبحر فيرقب تلاطم أمواج النفس الإنسانية وانفعالاتها، وهي تصارع قيود الحياة وأسرارها ذلك التأمل جعله يرصد لنا تلك الصراعات على اختلافها في شعره ونثره يدعمه في تلك المرحلة فكر يُوري العاطفة وعاطفة ملتحفة بلحاء الفكر. وهذا التأمل الذاتي في النفس ومطامعها، وفي أسرار الحياة والخليقة جعل الخوف لديه مظهر تشاؤمي حيث توجس شكري من أشياء كثيرة استشعرها بكل ما لديه من قوة، لكنه جهلها لذلك خاف منها

١-الخوف من المجهول :

كان من أهم مظاهر التشاؤم عنده ، فالناس في معاناة في هذه الحياة ، وأعمالهم متباينة بين الخير والشر هل بعد الفراق لقاء؟ وهل للأصحاب من لقاء؟ فالويل الويل مما تخبئه الأقدار، ومغالبتها فهو كالطفل محتار دوماً وأبداً أمام أسرارها.

يقول:

ليت لي نظرة إلى الزمن الآتي البعيد الخطا الغريب الحال
فتريح الفؤاد مما يعاني الطرف من لؤم هذه الأحوال
أو يميت النفوس بالنبأ الأعـ ـظم إن الوجود نحس المآل
فهي بشرى محمودة أو نعي لمساع مآلها للفوات
كيف تعنو الأقدار للمرء والمرء ستبلى أعماله كالرفات
ويح شمل الصحاب لو كان صدق القول أن لا حياة بعد الحياة(١)

(١) ديوان الشاعر "قصيدة أنام والغيب" ج٢، ص١٦٨.

أيها الغيب كم رميتك بالظن ... فأبديت لي كوجه السحاب
أنا والغيب كالغلام إذا حاول فتحاً لمغلق الأبواب[1]

وزاد على تخوفه من الأقدار ظلم الأحداث لشخصه ولأمانيه وجورها المتمكن دونها مفر، فهو كالأسير في قيده لا يستطيع سوى التذمر دون حيلة إلى الخلاص، يقول في قصيدة "لا مرحباً بالأقدار"[2]:

ألا ليت للأقدار قلباً وفطنة ... أيرحمنا من لا يساء ويجذل
وهل نافعي ذم القضاء وجوره ... كما ينقم الظلم الأسير المكبل؟
وهل يملك المظلوم إلا شكاية ... وإن كان حمل الهم بالصبر يحمل؟
ولو كان هذا الهم قرناً قتلته ... مرته حمل على النفس يثقل

فالأساليب الإنشائية المختلفة تظهر موقف الشاعر من القدر " ألا ليت للأقدار قلباً "فهو تمني المستحيل أن يكون لها قلباً يرق ويعطف لحالة وحال البشر ، ولكن كيف يفعل من لا يساء ويجزل ؟ ثم الاستفهامات المتتالية " هل نافعي ذم القضاء ؟ وهل يملك المظلوم إلا شكاية " فهي تقرير بحالة الإنسان مع الدهر فهو لا يملك أمام القدر من أمره من شيئاً ، ولذلك تمنى المستحيل حين أراد القدر إنساناً وقريناً حتى يستطيع التغلب عليه والانتصار . يقول :

يا هارباً من صولة المقدار ... أتراك تفلت من يد الأقدار
أهرب ما استطعت في أزل الدني ... أو في مدى الآباء والأدهار

(١) ديوان الشاعر،ج٢، ص١٦٨.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أو في المـمات ومـا تلاقـى خلفـه بـين الغنـاء ومعقـل الأسرار
تعـدو ويـدركك الـذي خلفتـه كالليل ليس يفر منـه السـاري[1]

وهذه نظرة واعية لكنها تفتقد إلى الأمل في رحمـة الأقـدار التـي يـذكرها في مواضع أخرى، فقد يتغير قدر الإنسان بالدعاء الصـالح المستمر، وقـد تحسـن خواتيم الأعمال وتتغير النهايات برحمة الخالق البارئ، والشاعر راض لكنه حزين مزعزع يرى النفس والفكر (أن الناس وسيلة من وسائل القضاء، وأن القضاء لا يهمه إن سعد الناس أم تعسو، كما يهمه أن يعطي كل امـرئ نصـيبه مـن الحيـاة، والقوة والسعي)[2].

والنظرة التشاؤمية للشاعر تكمـن في احتسـاب النـواحي السـلبية للقضـاء المحتوم على الناس ونسيان إيجابية الأمر في قدر الإنسان.

٢- سـوء الظـن بالنـاس:

والشك في تصرفاتهم، وفي ثبات عواطفهم، وسوء طباعهم أحد مظـاهر التشاؤم لدى شكري فهو يعترف (أنه سوء الظن بالناس ليس كاذبا أبدا إن كان في الكون حق ، فالحـق ما يسئ ظنك بالناس ... ولكن ينبغـي أن تسيـء ظنـك بنفسك أليست نفسـك من نفـوس النـاس) ثـم يعـلل سـبب إسـاءة الظـن بالنـاس بقولــه : (وأني أسي الظـن بالنـاس ؛ لأن في كـل عمــل يعملونــه

(١) ديوان الشاعر، ج٨، ص٦٣٣.

(٢) انظر الاعترافات، ج١، ص٨٦.

حتى الحميد منه شيئا من اللؤم والدناءة)[1].فهو أينما توجه لا يجد إلا عدواً أو حاقدا يقول في سراب الود:

ألوى إلى الناس وجهاً غير منبسط وأتقيهم بقلب غير مسرور
أني تلفت لم أبصر سوء رجل بادئ العداوة مخضوب الأظافير[2]
هم يحسدوني عل عيش فوا أسفي عيش عليل وصنعي غير مشكور
شف الناس عن عاد له إحن وعن ذليل شديد الغل مقهور
الشر والكذب والأحقاد طبعهم والحق في الطبع باد غير مستور[3]

فالألفاظ تعبير عن حالة الشاعر إن كان فرحا أو حزينا أو يائسا أو مكتئبا وإذا نظرت في الأبيات السابقة ، وجدت ألفاظها خير دليل معبر عن مذهب الشاعر في الحياة ، فعلى أي شئ يدل قوله " وجها غير منبسط ، قلبا غير مسرور ، بادي العداوة ، مخضوب الأظافر ، عيش عليل ، وصنعي غير مشكور ، ذليل الغل مقهور ، الشر والكذب والأحقاد؟ أظنها ألفاظ تعبر خير تعبير عن نظرة الشاعر التشاؤمية ، لا يرى خيرا في الحياة ولا في الناس ، فكيف ينتظر منهم الخير وهذه سماتهم وهذه طباعهم؟

وقد نظن اختلاف الصورة حين يلبس العدو ثياب الصديق. فهل ينخدع الشاعر بهذا أم يكشف بفطنة زيف عواطفه والتواء أحاسيسه ومشاعره يقول:

---

(١) المرجع السابق، ص٦٧.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٥٠.

(٣) ديون الشاعر، ج٣، ص٢٥٠.

ٌّ غادرٌ سمح حقود ... أرى الأضداد فيك إلى لقاء

أمدحك لي انتقام من عدو ... أساء إليك أم محض الثناء

وفاؤك كي أبادلك التحايا ... إذا نسيت التقرب والتنائي؟

أتخدعني ولم تلحق بي ... ولم تظفر بخيري أو بلائي؟

وتمزق لي إخاءك مذق حق ... ـلي ّ وما أجبتك بالعداء

تحاربني وتحسب أن ستخفي ... عداؤك ليس يظفر بالخفاء(١)

ولست بأول المخفين بغضاً ... نـما بين المحبة والإخاء

فإذا كان للتناقض أن يحدث اختلافا في طبائع الأشياء ، فإن التناقض هنا في شخصية المخادع لم يحدث اختلافا في رؤية الشاعر له ، إذ لم يخدعه ولم يغير من حقيقته ، فيقبل عليه الشاعر ويبادله العواطف .

إلى أن يصل به الأمر تفضيل صداقة الأموات على الأحياء، إذ أن الأحياء خذلوه وصاروا مثل السهام التي تخترق العظام فتكسرها، في حين كانت صداقة الأموات وفاء ووقاية في الحياة قال في ذلك:

أين الألي قربهم شفاء ... يكشف غمي وكربتي

مرآهم نشوة وسكر ... ونطقهم برؤ علتي

أواه من وقعة الحنايا ... يقعن في خير نخبتي(٢)

ما العيش عيش إذا تناءوا ... وصرت أبكي لوحشتي

كيف أرجو بكم شفائي ... وأنتم أصل علتي

---

(١) ديوان الشاعر، ج٨،ص٦٣٠.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٣٢.

كـــأنني بيـــنكم غريـــب أنـــدب حظـــي وغربتـــي
أنـــتم ســـهام تهـيض عظمـي وهـــم وقـــائي وجنتـــي
تنســى عـــداء الـــذين مـــاتوا والحـــي يقـــلي بزلـــة
فتحســـب الميـــت ذا وفـــاء وتبكـــي عليـــه بحرقـــة[1]

فصور تفضيله لصداقة الموتى توضح معاناة ذاتية مع الصداقة والأصـدقاء، وإساءة ظنه بهم، تمثل صمته في صداقاتهم مما أثر عليه، وجعلـه يميـل إلى نـدب حظه، والبكاء بحرقة على وفاء الأموات مـن الأصـدقاء، وقـد بـدأت مخـاوف شكري بإساءة الظن في الناس إذ قال في قصيدة شقوة الميت:

حتـى متـى أبلـو نفوسـاً ضـئيلة أبـين لهـا ودي فتبـدي لي القـلى
وحتى متى يبقوا ضدي وشـقوتي ومالي لو خيرت في الناس من عـدى
كأن حيـاة النـاس ضـجة أخـرق وعيشي فيهم نعمة البؤس والأسـى[2]

فالتضاد بين أفعال الشاعر والناس كان يفترض به أن يغير الناس عن طبعهم ويميل عن سماتهم وما يتدثرون به من أخلاق وصفات إلى سمات وطبائع جديدة لهم في الشاعر منها القدوة والمثل ، ولكـن حـين ظلـوا عـلى حـالهم بـدأ اليـأس والشك والتشاؤم يتسلل إلى نفس الشاعر ، الذي ازداد مع مرور الأيام يأساً مـن صلاحهم وتبدل أحوالهم .

ثم تطور الأمر إلى الخوف والفزع من الناس فمن يعاشر من لا يأمن ويسيء الظن به يصل إلى درجة خشيته يقول:

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٣٢

(٢) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٠٥.

فأصبحت أخشى الناس في كل خطوة وأفرق من دواعي المـودة إن دعـا

فمن إساءة الظن إلى خوف وصل إلى الخشية والحذر فالخيبة تلو الأخرى تؤلم قلبه وتصليه الجروح يقول في قصيدة الخوف والفزع:

حتام هـذا الخـوف في كـل لحظـة يـدب قلبـي وطـرفي ومســمعي
وفي كــل يــوم خيبــة إثـر خيبــة ولوعــة قلــب ذي كلــوم مفــزع
وفي كــل يــوم لي خليــل يخـونني وفي كل يوم لي حبيب مفجعـي[(١)]

خوف تملك قلب الشاعر وطرفه ومسمعه،وظهر في صورة تساؤل إلى متـى يدوم هذا الخوف؟ وإلى متى تدوم تلـك الخيبـة في الآمـال، وتلـك الخيانـة مـن الأخلاء والأحباب؟

ويزيد من تلك المشاعر المؤلمة التي تنغص حياة الشاعر وتـؤرق عليـه نومـه مايراه من أفعال الناس واقـوالهم ، فقـد أينـع شرهـم وأزدهـر حقـدهم واورق حسدهم وغيظهم يقول[(٢)]

قوم إذا ابتـدروا السباب رأيـتهم يطلــون موضــع عــرهم بالقــار
متعــاظمين عــلى نجاســة أنفــس نتجـت نتـاج الـدود في الأقـذار
ســتر الخســيس خساســة بخاســة في أنفــس الأعــوان والأنصــار
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا يؤدي لغير الفوت وحش ضاري
ضلت غرائز شرهـم عـن أصـلها في صــون عــيش أو لــدفع ضرار

(١) ديوان الشاعر، جح٣، ص٢٢١.

(٢) المرجع السابق ج٨، ص ١٤٥ .

فغـدت دنـاءة أنفـس وخساسـة كيـد أبـلا كسـب ولا أمطـار[1]

وإضافة إلى إحساسه المرهف المتألم تجاه ظلم الناس، لنا البيـات عـن واسـع تجربة وعظيم خبرة ودراية بأحوال البشر التي تتمثل في شر متأصل، وحقد غائر، وحسد عظيم فطباع الناس دافع قوي لازدرائه، وزهده فيهم، واعتزاله مجتمعهم، لكن تشاؤم شكري هنا (ليس تشاؤم عجز وتثبيط إنـما هـو تشـاؤم اسـتحثاث للهمم لتغير الواقع الفاسد أو نقد للحياة بهدف إصلاحها وتحسينها، وهذا النوع من التشاؤم لا شك أنه أفضل من تفاؤل الغافلين عن الشـقاء أو الضـاحكين في موضع البكاء)[2]. يقول شكري واصفاً لطباع القوم:

ما ازدريت الأنام إلا وهان للكيد مـنهم وهـان مـنهم عـداء

وتفـردت لا أصـول بكيـد وتزهـدت واسـتقام العـزاء

ودهم مثل بغضهم فيه عدوى مثل عدوى تسعى بـه الثؤبـاء

ولقد تحمـد الخليـل طـويلاً ثـم يبـدو مـا كـان فيـه انطـواء

فـإذا الغـدر شـيمة وطبـاع وإذا الـود والوفـاء ريـاء

وعجيـب أن يحسـد المـرء حتـى بعـد أن تـدم لـه الـنعماء

كلهـم ذلـك الحسـود ولكـن هـين مـا بـدت بـه الفضـلاء

---

(١) ديون الشاعر، ج٨، ص٦٤٥.

(٢) نفلاً عن عبد الرحمن شكري، أحمد غراب، ص١٨١-٢٨٢.

حسبوا اللـؤم مـن ذكـاء وعقـل فادّعـاه الطغـام والأعليـاء
وتباهوا بقدرة اللؤم فـيهم واستشـاطوا إن قيـل هـم لؤمـاء
شـــد مـــن أزر ســـافل أن شراً جمعــت في منالــه الجبنــاء
فجبان يشد أزر جبان وعداء يكون منه عداء(١)

تلك النظرات السوداوية التي تمثلها شكرى في شعره، ووصـف بهـا النـاس وطباعهم وانقيادهم للشر والحقد والكراهية في تعاملاتهم إضافة إلى عامل غـبن الحق الذي تعرض له شكري ممن حوله، وعدم نيله الشهرة و المكانـة والدرجـة العالية الرفيعة التي يستحقها ، نتيجة احساسه بذاته ، وعظيم إبداعـه ونتاجـه ، هذا النتاج الذي لم يحسن الجمهور استقباله والتفاعل معه وإعطاءه حقـه، وأدى ذلك كله إلى خور الهمة، الانطواء على الذات والاستمتاع بالألم والملل من الحياة يقول:

بينـا ألـذ نعـيم العـيش في دعـة … رمى بي الشك بين السـهد والملـل
كفـــى بنفسيـــ داء أني رجـــل … أخشى الحياة وأقلى سطوة الأجل
أجن بـالعيش طـوراً ثـم أبغضـه … ما أضيع المرء بين اليـأس والأمـل
ما من مجير على هذا المـلال سـوى … موت يبعـد بـين الـنفس والعلـل
لو كـان لي حيلـة أفتـي بهـا مللـي … من الحياة لما قصرت في الحيـل(٢)

(١) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٩٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج٢، ص١٦٢.

وهو يجمع في أبياته السابقة خلاصة تجربتـه في الحيـاة معاناتـه الذاتيـة التـي بدأت بتذوقه نعيم الحياة ولذائذها ثم تخلل هذا التلذذ شك في دوام الحال، اختتم يقيناً بتقلباته، أورثه السهد والسهر، وأدى به إلى الملل. وقد اعـترف الشـاعر أن يكفيه من أدواء الحياة خشيته لصروفها وتغير أحوالها اللذان يجعلانه يبغض قوة الأجل وجبروته، يطلب الشاعر بكل حيلة يقدر عليها الخـلاص ممـا هـو فيـه ، ولكن أنى له ذلك ؟!

ونجده في موقف آخر يتجرع الصاب والعلقم حين يخيل إليه أنه بنى صرحاً لكن القدر لم يمهله فهدم هذا الصرح فحطم أمله وخيب رجاءه ، يقول:

بنيـــت بيـــت الحيـــاة أبغـــي   ي ظلـــه مســـكناً فســـيحاً
جـرى غـراب القضـاء نحـوي   ولم يكـــن طـــائرا ســـنيحاً
فأرعشـــت كـــف مـــن بنـــاه   فلـــم يكـــن أســـه صـــحيحاً
أعتـــادني الهـــم غـــير غـــب   فلـــم يمـــت قلبـــي القريحـــا
كشـارب السـم كـي يصـادي   مـــن علـــة ســـمه صريحـــاً
يـــا دهـــر لم لم تـــبح جنـــاني   إلى ســـبيل النهـــي جنوحـــاً
ألحـــت لي بالســـراب حتـــى   عشـــقت ضـــوءاً لـــه لموحـــاً
كمـــن بنـــى بـــالتراب بيتـــاً   فانهـــار حتـــى غـــدا ضريحـــاً
كـــذاك صرح الحيـــاة أمســـى   رســـم فـــلاة بهـــا طريحـــاً
ودك بيـــت الحيـــاة فـــوقي   وقمـــت مـــن تحتـــه جريحـــاً(١)

---

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص٤٩٢.

فالأمل والرجاء كانا يداعبان خيال الشاعر في أن يحقق لنفسه مجـدا وشـهرة وعزا،وقد سعى في حياته سعيا جاداَ لتحقيـق ذلـك ،و ذكـر يوسـف ميخائيـل نعيمة أن (المتفائل يبحث عن الإيجابيات في الأشياء ،على عكس المتشـائم الـذي يعمد دائما إلى السلبيات... وأن الناس لا ينقسمون إلى متفائلين ومتشـائمين بـل إن الناس الذين يمكن أن يجمعوا في قوامهم بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة بحيث يكون حكمنا على الشخص بالتفاؤل والتشاؤم في ضـوء الصـبغة العامـة التي تسود حياته وعقليته واتجاهاته في الحياة بل وعلاقاته مع غيره وعلاقته مـع نفسـه ،وأن طبيعـة التفكـير للعقـل تخضـع لعمليتـين أساسـيتين هـي العمليـة الاستثارية والعملية الكفية ...وبتعبير آخر أن المخ يقوم بعمليتين الأولى الإقبـال والثانية الإدبار...ونلاحظ أن الأعصـاب تسـيطر عـلى العضـلات إمـا تأمرهـا بالانبساط ،وإما تأمرها بالانقباض.وفي الحياة النفسية هناك الحب وهو انقباض ،والكراهية وهي انقباض. وفي الحياة الاجتماعية هنـاك التعـاون وهـو انبسـاط والتنافس وهو انقباض.)[1]،ثم يعقب يوسف نعيمة بقوله في نتيجة لهذا التحليل (لعلنا لانخطئ إذا قلنا بأن الحياة العقلية الإنسانية تخضع لهـذين المبـدئين أيضـا فالتفاؤل انبساط والتشاؤم انقبـاض. ومعنـى هـذا أن المتشـائم يأخـذ بنصـيب وافـرمن العمليـات الانقباضـية الرفضـية لمـا يقـدم اليـه مـن أفكـار . وبتعبـير فسيولوجي نستطيع أن نزعم أن المتشائم تكون لديه العملية الكفية بالمخ أقـوى من العملية الاستثارية)، وشاعرنا من الناس الذين غلبت عليهم عملية التفكير

(١) انظر عن التفاؤل والتشاؤم ، ميخائيل أسعد، ص١٤٦-١٤٧ نقلاً .

التفاؤلية في أوائل حياته ومن ثم تغلبت عليه ظاهرة التفكير الانقباضية ؛ لأن الحياة لم تعاونه و القدر لم يساعده على تحقيق ما تصبو إليه نفسه" فقد جرى غراب القضاء" فالغراب نذير شؤم ،فلونه الأسود دليل الشر ونذير الخراب والدمار ، الذي آلم الشاعر وعذبه ،ولننظر إلى تلك الصورة التي ترتبت على الأثر السابق ،"بنى بيتا فانهار "فالتضاد بين البناء والانهيار يظهر اختلاف وسائل وتباين مناهج،فبينا يحاول الشاعر أن يشيد بناء يسعد به وتقره عينيه فإذا بالدهر يحطم ما بنا، فيتحطم الإحساس كتحطم البناء وتهدم المشاعر كتهدم الجدران والبناء ، ومن خلال التحليل السابق يمكن القول أن شكري قد عاش حياة خالط الأمل فيها اليأس، ولعب الحظ فيها دوراً صغيراً في إشباع نهمه وطموحه الدائم ولذلك تحطمت آماله العظام ،فرأى من الخير الإدبار عن هذه الحياة والعزوف عنها ففي ذلك راحة البال وهدوء الحال يقول شكري:

فيا قلب كن في الصدر كالميت	كفى من مرير العيش يا قلب مضى
لعلك إن نهضت يا قلب رغبة	وعفت طماح العيش يدركك الردى
فيا ليت أن المرء إما دعا الردى	أتاه فلا نحس يروع ولا أسى (١)

فأن يطلب الشاعر من قلبه " فيا قلب " بالإنشاء للتمني أن يكون في الصدر"كالميت "فيتوقف عن العمل وتنتهي حياة صاحبه فهو قمة اليأس التي يحيا ، ومن الناس الذين يعاشر ويختلط بهم .

(١) ديون الشاعر، ج٥، ص٤٠٦.

٣ - حبه للموت وكرهه للحياة مظهر تشاؤمي آخر.

إلا أن شعر الموت كما تناوله شكري كان في معظم الأحيان نابضا بحب الحياة، ذلك ما ذهب إليه د/ يسري سلامة، إذ وجد بعد تحليل قصائده في الموت (أن شكري يقابل دائماً بين حس المرأة والموت، وبين الحياة والموت، وبين كفاح الناس والصراع اليومي من أجل السبق والظفر، وبين الموت وبين أحلامه وأمانيه وبين الموت الذي يتربص به لمنعه، وبين الموت وجلاله، وبين نبض الحياة في جمالها ومظاهرها، وبين سكوت الموت وصمته المخيف... وهو بعد ذلك يتمنى الموت ليستريح، لكنه حيث يثب إلى ما بعد الموت من وحشة مظلمة وانفراد متحيراً بين حب الحياة وطلب الموت ثم يغلب عليه حب الحياة)[١] يقول يقول في قصيدة بين الحياة والموت:

أعالج صرف الدهر في غير مطمع	وافعل ما تملي علي المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة	ويفزعني وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمي نيوبه	وللعيش ناب قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشارب	وإن سلبت منه النهى والسرائر
فها أنا بين العيش والموت واقف	فهل مخبر يدري متى أنا سائر؟
لعل الذي أرجو من الدهر واقع	فقد كان ما قد كنت دهراً أحاذر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما	فإني بهذا العيش راض وصابر[٢]

(١) شاعر الوجدان – يسري سلامة، ص١٢٩

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢١٤.

وفي هذه القصيدة مقابلة بين الحياة والموت وهي تحمل مضامين تشاؤمية كما أوضح ذلك د/ يسري سلامة في تحليله لتلك القصيدة(١) التي عبرت عن نظرة شكري التشاؤمية للحياة وتفضيل الموت عليها، ومن ثم تمسكه بأهداب الحياة وما فيها من لذائذ ومحاسن، وما فيها من أشواك قد تدمينا لكن البشر يواصلون السير رغم الأشواك ، وهو بذلك يقابل بين كفاح البشر،والصراع اليومي من أجل البقاء والسبق في كل الميادين.

وشكري دائم التساؤل عن حقيقة الموت والحياة، وهو في القصيدة التالية يخص الحياة بتساؤل غريب إذ أنها لغز يصعب حله ، وفهم عناصره حتى بعد أن يموت الإنسان يظل يتساءل عنها وهو دفين في قبره يقول:

خبريني نفائس اللحد أم ... كل رميم في لحده صميت
هل لحي من ميت هاتف ... يوضح أمر الحياة وهو مقيت
هل عدته الحياة أم ليس يدري ... تلك حلم وما الحلم بثبوت
رب ميت يسائل الحي عنها ... وهو في اللحد جائر مكبوت(٢)

يتخيل الشاعر أن الميت قد يهاتف الحي لأنه قضى نحبه دون أن يفهم لغز تلك الحياة، وتساؤله الدائم الذي يوصله إلى ذلك التخيل ينم عن رغبته الدائمة في الكشف عن سر الحياة، الذي يكمل بالموت إلى أن وصل(إلى حقيقة أن جمال

(١) شاعر الوجدان- يسري سلامة، ص١٢٦ بتصرف .

(٢) ديون الشاعر، ج٦، ص٤٩٠.

الحياة تغير والموت تغير، فالموت جمال وكل شيء في الطبيعة وفي الحياة يتغير لينتج في النهاية شيئاً آخر جديداً وجميلاً، ولو لم يكن تغير لم تكن جدة، ولم يكن جمال بل لم تكن حياة، فالثبوت على حالة واحدة معناه وقوف الكون عن الحركة، معناه الموت والفناء ولو كان الجمال خالداً لملّته النفوس)[1] . يقول:

كم أسينا على زوار بهاء | كان أنساً وطاب للنفس أهلاً
وودناه خالداً ليس يفنى | فنرى الزهر في الحدائق حولا
ونرى عارم الشباب جديداً | بداً صادراً إذ الشيخ غلا
وترى كل ما نود ونهوى | خالداً لا يزول رسماً وشكلاً
فأسينا إذ الفناء طريق | الحسن والعيش يتبع اليوم ليلاً
لذة العيش في التقلب في العيش | نيل الجديد حلواً أمحلى
أبداً يبسط الزمان ويطوى | ملحاً لا تدم إلا لتسلى
وإذا بالفناء فين ينادي | لو يدوم الجمال هان وقلا
بهجة العيش في زوال بهاء | ملأ النفس طرفة ثم ولى
وقفة الكون ميتة وفناء | لا حياة فيه ولا حسن يقلي
فرضينا وما رضينا ولـ | كنا عرفنا الأمور فهماً وعقلاً[2]

وليس تشاؤمه الذي يدفعه هنا إلى الكشف عن جمال التغيير في الحياة بل فكره الفلسفي الذي يفسح له المجال،ويوضح الرؤية فيرى الجمال في الموت والتغير وعدم الثبات .

---

(١) عن عبد الرحمن شكري، أحمد تراب، ص٢١٣ نقلاً .

(٢) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٤٢.

ومن الأبيات التي تدلل على هتاف شكري للحياة وحسرته على فقدها قوله:

ليست حياة المرء إلا كنفحة سل الموت عنها والسنين السوافيا
وما بي خوف الموت بل من حسرة لفقد حياة فيه لم أدر ما هيا
هو الحي عبد الموت يسعى لطعمه فيغذي دماه والمنى والمساعيا[1]

فالشاعر يتحسر لأن الموت سوف يخطف منه الحياة وهو لم يعرف بعد سرها ولم يرتو من جمالها فيكون طعماً للموت والهلاك، وهو سيغرم فوق ذلك دماؤه وآماله ومساعيه. وهو يتلذذ بعذابات الحياة ومتاعبها، ويقارن دائماً في حيرة بين طعم الحياة ولذة نضالها، وبين الموت براحته وسكونه رغم فزعه منه يقول:

أقطع قلبي بالبكاء والأسى وحب الردى داء دخيل مخامر
أعالج صرف الدهر في غير مطمع وأفعل ما تملي علي المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة ويفزعني وقع له وخواطر[2]

فترى قلب الشاعريتقطع بكاءً وحزناً ،مما جعله يحب الفناء والهلاك ليتخلص من هذا الأسى، فهو لايطمع إلا في معالجة صروف الحياة ومقاومتها وإن كان يرجو في الموت راحة من عذاب الحياة وآلامها، ورغم رجائه في الموت إلا أن الرهبة والفزع يملآن خواطره وأفكاره إذ يقول:

لعل الذي أرجو من الدهر واقع فقد كان ما قد كنت دهراً أحاذر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما فإني بهذا العيش راض وصابر[1]

---

(١) ديوان الشاعر،ج٧، ص٥٤٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢١٣.

أيعاني ظروف الحياة وأقدارها، أم يجد سلوته وراحته في الموت الذي يخشى عواقبه، ، لعل رجاؤه في الحياة هو الأفضل، فهو راض بالعيش صابررغم مأساويته، وهذه صورة تظهر تفضيل الحياة على الموت لديه. و في قصيدة أخرى بعنوان "الموت" نجده يمجد الموت ويجل من شأنه ويرسم له صورة ملونة بألوان زاهية مضيئة لكن بالرغم من هذافإن حبه للحياة يغلبه ويظهر بوضوح في أبيات يقول فيها:

خليلي خطا لي من الأرض حفرة ... أريح بها قلب من الناس سالياً
ولا تسمعاني الطير تشدو بنغمة ... فآسى على العيش الذي كنت قالياً
ولا تمهد للغيد فوقي موطأ ... فأحنو لحسن لم أزل منه صادياً
وهيهات لا يسلو عن العيش ... من العيش حتى يصبح العيش ماضياً
فياليت أن العيش يخلف ميتة ... داركاً كما يطوي النهار اللياليا(٢)

فتنوع أسلوب الشاعر بين الإنشائي في البيت الأول والجزء الثاني من البيت الثاني يعني به أن يحدث اختلاف النظرة من الإنسان لحاله وواقعه ،والحكم عليه ،فإذا كانت أفعالي وأقوالي مختلفة بين الرجاء واليأس ،فيجب أن يكون الحكم عليه متنوعا ومناسبا لكل حالة بعد فهم نفسية الشاعر ومراده من وراء تصرفاته.

فالشاعر يطلب من خليله أن يحفر له قبراً لأنه قد استغنى عن الناس ، لكنه

=

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢١٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج٧، ٥٤٥.

يرجو بعد الموت أن تتعطل نواميس الحياة ،وتتوقف عن الدوران فلا يسمح للطير بالغناء فلا يسمع ترانيما يحن بها إلى الحياة التي هجرها ، وأن لا يسمح للحسان الغيد أن يطأن قبره فهو ما زال منجذباً لحسنهن وجمالهن)[1] .

كذا هو يعبر عن دوام حبه للحياة، وقد ذاق حبها وعشق جمالها ، وهو يتمنى أن تكون الحياة خلفاً للموت كما يخلف النهار الليل حتى يلتذ بطعم العيش ولا يسلاه أبداً .

ويرى د/ أحمد غراب (أن شعر شكري قد مر بمرحلتين في أثناء حديثه عن الموت في شعره.

المرحلة الأولى: مرحلة الفزع من الموت، وتصور مظاهره وآثاره على الموتى ، وهذه ظاهرة ضمها ديوانه الثاني والثالث، ثم انتقل شكري إلى المرحلة الثانية: وهي مرحلة ما قبل الموت فهو سبيل الخلاص من شقاء الحياة، ، فيتمنى الموت في هذه ا لمرحلة ولكن بدون فزع، وهذه المرحلة تظهر في ديوانه الرابع وما بعده)[2].ويرى د/ أحمد غراب أن استشعار شكري للموت بهذه الصورة ليس يعني غرابة أو شذوذاً في موقف شكري بل يرجع إلى تأثره بأوضاع البلاد، وحالة الأمة، وإلى تفكيره الفلسفي التأملي في الحياة)[3].

---

(١)، شاعر الوجدان، ص١٢٦. بتصرف

(٢) عبد الرحمن شكري، أحمد غراب، ص٢٠٧ بتصرف.

(٣) انظر ا لمرجع السابق، ص٢١٥.

وقد فزع شكري من الموت، ثم رحب به لكنه في الحقيقة هتف للحياة،هنا يعود الإنسان إلى طبيعته التي فطره الله عليها ،إنها حب الحياة،فبالرغم من تشاؤم شكري وتفضيل الموت على الحياة ،فحين ينقشع عن عينيه وبصيرته وعن قلبه ما يعاني ولو للحظات ، يعود إليه صفاء نفسه ويظهر حب الحياة والتمتع بالجمال "ولا تسمعاني الطير تشدو"و"ولا للغيد فوقي موطأ"فمن شدة اليأس أن لو تذكر مباهج الحياة لعاد إلى التعلق بها ،فيناله منها ما ناله من قبل ،فيرجع ثانية إلى حالة الإحباط واليأس والتشاؤم.

و من وجهة نظر شكري: (أن في الناس من يهاب الحياة أكثر من هيبته الموت وفيهم من يهاب الموت أكثر من هيبته الحياة)(١). ومن العدل عند شكري أن تهاب الحياة وتعمل لها بقدر مواز لهيبتك من الموت والعمل لما بعده)(٢).

يقول شكري:

قد اختلف الأقوام في العيش والردى فمن ظافر يهوى الحياة وخاسر
هنيئاً لكل ما يرى من علالة بحسن حياة أو بنجو المقابر
وما عللت نفس الفتى بمنى ستطوى هموم العيش طي الدساكر*
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه فيعدو على البؤسى بذكرى الغوابر(٣)

(١) انظر الصحائف / عبد الرحمن شكري، ص٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج٨، ص٦٥٧. *الدساكر:جمع دسكرة وهي هنا بمعنى بيوت اللهو ،وتأتي بمعنى بمعنى القرى الصغيرة.

وقد علقت نازك ملائكة على بعض شعراء الموت، وحللت علاقة كل منهم بالموت فرأت (أن الشاعر الغربي.. كيتس " كان من المفتونين بالموت، والذي قال في أحد قصائده:"الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقاً، لكن الموت أعمق الموت مكافأة الحياة الكبرى)[1]. فالحياة جميلة ولكنها تستحق أن يكافأ عليها الإنسان بالموت. ثم تأتي على ذكر أبي القاسم الشابي. فتقول: تجربة الموت لديه تجربة حيوية لها من الحنقة المبهمة، والغموض المفرد، وذكرت قصيدة له قال فيها:

فلمن كنت تنشدين ؟ قالت:

للضياء البنفسجي الحزيـــن

لشباب السكران. للأمر المعبود

لليأس للأسى المنـــون

وجاءت نازك الملائكة على ذكر شاعر ثالث هو محمد الهمشري ، الذي كان إحساسه بالموت أكثر تميزاً من الشابي فهو وَلِهٌ بالغناء للموت لدرجة أنه نظم فيه ملحمة كاملة بعنوان: شاطئ الأعراف، والقصيدة تكاد تكون أغنية موجهة إلى الموت لا أثر فيها للحسرة ولا للذكرى وكأن الشاعر يلتذ بالموت)[2]، ثم يأتي د/ يسري سلامة على ذكر أولئك الشعراء ومقارنة مواقفهم تجاه الموت، وموقف

(١) قضايا الشعر العربي ، نازك الملائكة، ص٣٠٦، دار العلم للملايين، بيروت،ط٧، ١٩٨٣م.

(٢) قضايا الشعر المعاصر، ص٣٠٨.

عبد الرحمن شكري فيعلق قائلاً: (تجولنا مع عبد الرحمن شكري الذي قال كثيراً عن الموت،وأدركنا بين ثنايا أنغامه نغماً يهتف للحياة رغم إيذائها وشرورها، وبهذا اختلفت نظرته عن جون كيتس وأبي ا لقاسم الشابي والهمشري وغيرهم من الشعراء الذين عقدوا صداقة متينة بينهم وبين العالم الآخر بهدوئه وروعة سكينته)[1]،ويمكن كشف حقيقة ملموسة من خلال هذه المقارنات أن هناك من من الشعراء من أحب الموت وفضله على الحياة من غير تعلق بملذات الحياة وحلاوتها، وهناك مثل شكري من أحب الحياة وعانى من آلامها إلى أن تكالبت عليه صروفها وأحزانها فدفعته قسوتها إلى تفضيل الموت والتغني به لكنه بالرغم من ذلك ما زالت نفسه معلقة تهتف حباً للحياة رغم مرارها وعذابها.

يقول حتام أرجو الموت لا استطيعه وأفرق منه أن يلم بمضجعي[2]

٤ – مشاعر الوجدان مظهر تشاؤمي.

اقتران الموت بالحب والجمال، مظهر آخر للتشاؤم في شعرعبد الرحمن شكري ،يعلق على ذلك د/ فرهود بقوله: (أن شكري إذا استوحش من دلال محبوبته أو ضلالها رأى الموت أروح له مما يلقى من عناء)[3].

وقد استن شكري هذه الطريقة للخلاص من عذاب الحب، كما استنها للخلاص من شرور الحياة ، ولديه طريقة مؤلمة للنفس في توضيح عزمات

---

(١) نقلاً من شاعر الوجدان، يسري سلامة، ص١٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ح٣، ص٢٢١.

(٣)لحق ديوان شكري د/ محمد السعدي فرهود، ص١٦.

الموت، وما قد يحدث للحبيب إن هو طغى وتكبر وزاد في الجفاء، فالموت قادر على تحويل حسنه إلى قبح يقول:

ا سمير الموتى أين لي حبيبٌ ... ئان في مقلتي بدراً تماماً
غبنتني فيه المنون ولو شا ... ءت لسامت به الأنام مساماً
أنت في الموت والحياة تقودين ... ـؤاداً متيماً مستهاماً
عانقيني فعائق الداء جسمي ... وكأن الخيال صار رماماً
ورأيت العظام تعرى من اللحم ... وقد فاق البهاء عظاماً
أبعدي عن مشمي النفس المر ... فقد ما شممت منه البشاما
بينما أنت كالضياء بهاء ... إذا تعودين رمة تتحامى(١)

فترى قدرة شكري العجيبة في تصوير الحبيب، وتحول جماله إلى قبح منفر ، من عظام تتعرى من اللحم ، وهذا النفس الخبيث الذي يصدر منها بعد أن كان حلو عذب المذاق هذه القدرة العجيبة تصيبنا بالدهشة التعجب كيف لشاعر مرهف أن يصور الحبيب بهذه الصور المنفرة ، إلا أن يكون متأثراً لحظتها بخيال داكن الصورة سوداوي الفكرة يميل إلى تخويف الحبيب بقسوة ؛ حتى لا يستمر الحبيب في جفائه ويرجع عن قسوته، فليغتنم الفرصة، وليصل حبيبه قبل أن يصير رمة بالميةوقد كان من قبل ضياءً وبهاءً وجمالاً .

ومن زاوية أخرى يتخذ شكري الموت وسيلة يتذرع بها لدى محبوبته فلعل ذكر الموت يرقق قلب محبوبته فيعطف عليه ، فيذكره يقول:

ستری الناس حول قبر ... ي يبكون هالكاً

---

(١) ديون الشاعر، ج٢، ص١١٦.

وغـــدا يســـتريح مـــن		ضــــننته في خيالكـــــا
كـــل شيء ســـوى الهـــوى		لا تدعـــــه ببالكـــــا
واذكـــر العاشـــق الـــذي		مـــات صـــبراً بـــذلكا[١]

ويتمني الموت ليس هرباً من الحياة، بل ليستدر عطف الحبيب بعد الموت،فالشاعر ينتقل بمحبوبته إلى عالم آخر ،إنه يصطحبها في رحلة ما بعد الموت ،لعلها ترق وتعطف عليه قبل أن يقضي نحبه ،ثم يأتي الأسلوب الإنشائي "واذكر العاشق الذي مات صبرا بذلكا "تقرير لها بأنها هي التي ستودى بحياته إذا لم تصله ،وسوف يكون مصيره ما رسم لها من صورة ما يحدث له. ولكن لما يأس الشاعر من وصل محبوبته بالرغم من تذكيرها بأنها سوف تودي بحياته ،راح يدعو عليها أن تنا ل ما ناله من عنت وألم ومتاعب، تجاه الحبيب ، فقد انتزعت قسوة الحبيب كل رأفة من صدره، وقد يدعو على الحبيب بالعمى والهموم والسهاد، حتى يذوق ما ذاق الشاعر من ألم الوجد، يقول:

رمى الله في عينيك بالسهد والعمى		ولقاك مـن دنيـاك صـاباً وعلقـماً
وعلمك السهد الطويل على الأسى		إذا حـل هـم في الفـؤاد مخـيماً
وعلمك الأحزان والبث والجوى		ومـا نكـب المغـرور إلا لـيعلما
وأودعـك الليـل البهـيم همومـه		وأصـبحت حـران الفـؤاد متـيماً
وأتلف طول الهـم عينيـك بالبكـا		إذا ما مضى دمـع بكيـت لـه دمـا
وخلف فيك اليأس كالسم في الحشا		تعـالج داء مـن جـواه مكلـما

---

(١) ديوان الشاعر، ج١، ص٨٣.

أأنسى بكـائي والعيـون هواجـع أراقـب لـيلاً غـائر الـنجم مظلـما

وجودت فيك الشعر والشعر ساحر فهل تسحر الأشعار غراً وأعجماً

فـــما ازدت إلا قسـوة وتباعـــداً ومـــا ازددت إلا غلظـــة وتجهـــماً

فعلمت قلبـي كيـف يقسـو وأنـه ليحزن أن تلقـى هوانـاً وتألمـا[١]

لكن العاطفة نفسها وتجعله متيقناً أنه مـن سـيعاني إن أصـاب الحبيـب أي مكروه فهل يجني على نفسه بأكثر مما جنت هي عليه ؟يصبر عـلى إيـذائها البـدني والنفسي الذي ينتج عن الصد والهجـر، ولكـن لايصـبر عـلى أن تتعـرض هـي للإيذاء والضرر،فسوف يزيده ذلك هموما وآلاما فيقول:

جنيت على نفسي ـ فلـيس بنـافعي إذا حال خطب أن تصاب وأندما

فيدعو على نفسه أن يؤخذ منه اللسان أو أن يبكم قبل قوله ذلـك كلـه،وإذا بحثت في ديوان الشاعر ، فستجد هذا الأمـر يتكرربالنسبة للقصـائد التـي بـين هذين النقيضين ،الدعاء على المحبوبة ،ثم الآعتذار عـن ذلـك لأنـه يسـبب ألمـا شديدا لها ،ولقد أكد تلك الرؤيا مدى حرصه على سلامة محبوبته إذ يقول:

وليت لسـاني سـل منـي ولم أقـل رمى الله في عينيـك بالسـهر والعمـى[٢]

وتستطيع أن تلحظ رؤيا تشـاؤمية في طريقـة دعائـه عـلى الحبيـب، وتلـك الأمنيات السوداوية في الأسلوب.

حيث الجانب السلبي من فكر الشاعر وعاطفته المصابة، ثـم ينـاهض ذلـك

---

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٨٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٨٢.

تلك الرؤيا التفاؤلية التي تعود لتنضم إلى جانب الخير والحب والفداء، وقد يتكرر الأمر بالنسبة لقصائد تجمع بين الضدين الرؤيا التشاؤمية والرؤيا التفاؤلية مع اختلاف الموضوع لكل منها، مثل:

الحسن مرآة الطبيعة، ج٣، ص٢١٦، الخوف والفزع، ج٣،ص٢٢١، شاعر يحتضر، ج٣، ص٢٣٤، بعد الحسن،ج٣، ص٢٦٨، لا مرحباً بالأقدار مرحباً بالأقدار، ح٦، ص٤٥٧، الموت، ج٧، ص٥٤٢، خطرات في الحياة والموت، ج٨، ص٦٥٦، بين الحياة والموت،ج٨، ص٢١٤، شكوى زمان، ج١، ص٣٢، ثورة نفس، ج٢، ص١٦٩.

وهذا ما أطلق عليه د/ السعدي فرهود(بالتعادلية في شعر شكري بين التفاؤل والتشاؤم كما يسمح بالقول باتزان الرؤيا الشعرية فهو لم يكن يتفائل إلا بقدر ما يتشاءم ولم يكن يتشاءم إلا بقدر ما يتفاءل فالرؤية عنده متزنة وإن كان للتشاؤم أميل) [١] فتراه في شعره يبث الموت مشاعر الود والحب مثل مشاعر المرء المرء الذي يفتقد أمه أوكما يستقبل الصاحب الحميم صاحبه في قصيدة يقول فيها :

فيا موت يا أما أطالت تصامياً	أمالك قلب يرام الولد حانياً؟
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه	فإن حميم الصحب ما كنت لاقياً
أتجمع بين الصحب أم أنت فرقة	تقول لها الآباد أن لا تلاقيا
وكل لهيف يبتغي فيك نجوة	وكل لديغ يبتغي منك راقياً

(٢) نقلاً عن لحق ديوان عبد الرحمن شكري، ومحمد السعدي فرهود، ص٢١.

أحبك حب الصب وجه عشيقه ... ينقع ثغر منك صديان ظامياً
وأنت شبيه الله في خير نعته ... فإنك رحمن ،إن كنت قاسياً
وأين دموع النحس من عهد آدم ... محاها من الأحيان ما كان من ماحياً
وكم حرس الموت الودائع بعدما ... حالت صروف العيش إلفا معادياً
وللخفض أيام وللنحس مثلها ... ودهرك مثل الخلد أروع نامياً
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا ... أليست فضول العيش حلفاً دوالياً
كفى شرفاً بالموت أن كان عائش ... بصول لنيل الرزق باللؤم شاكياً
حمدنا مهود النوم أن شابه الردى ... وإن لم يرع بالحلم من كان كارياً[1]
فكيف نعاف النوم لا نوم مثله؟ ... سل القبر عنه والعظام البواليا
ألم تر أن المرء في عظم سعده ... كما في أساه يرتجي منه آتيا
سواحر لذات يرى العيش بعدها ... ـلاء فيرجو لو رأى الموت بادياً
يخاف عليها من عقيب يمرها ... فيكره من سوء العقيب اللياليا
كما ائتلف الإلفان في صفو طرفه ... يخالان أن لم يبق في العيش باقياً
نود لو أن الموت نسمة عاطر ... تطير بروح منها كان هافياً

فنلاحظ أن الشاعر يجل الموت ويعظمه، ثم يتأمله بل ويجد له فوائد عظيمة وسبل للخلاص لديه متنوعة، ويجد له حكمة تغلب ملذات العيش وتخلص من متاعبه.

هذا التحليل لحكمة الموت، واستنباطها يصدر عن خبير في أمور الحياة عرفها وخاض صعابها ،وربما يكون هذا الشاعر متشائم في إعلاء كلمته عن

(١) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٤٢،

الموت ، وتفضيله عن الحياة في هذه القصيدة ،لكنه بالتأكيد قد أبان عن رغبته في الحياة ولم يستطع إخفاءها في أواخر أبيات هذه القصيدة إذ قال:

فياليت أن العيش يخلف ميتة دراكاً كما يطوي النهار الليالي

متمنياً أن تتوارث الحياة الموت كما يتوارث النهار الليل.

ويذكر د/ يسري سلامة (أن هذه السوداوية التي وجدت في شعر الموت وتكررت في شعر الحب تكشف النقاب عن شخصية شكري وهو غلبة التفكير العقلي عليه حتى وهو يحب... فهو رغم تأجج عاطفته في تجاربه إلا أنه يسترسل مع التجربة بعقله بتصور الفيلسوف، وحكمة العالم فهو يجمع بين النقيضين، العاطفة الشاكية المتمردة المتشائمة، والعقل الواعي الفاهم الذي يحلل، ويناقش ويفند ويذهب بحرارة العاطفة أحياناً)[1]. والحب الصادق شيء مجيد في عرف الشاعر الرومانسي فقد أحب شكري الحياة، وأحب الموت وأحب الجمال والطبيعة وشارك كل منهم مشاعره بل وعبر عن كل ذلك بصور نضرة، وصور سوداوية.

٥ – عندما تكون الطبيعة مظهراً تشاؤمي.

ومن القصائد التشاؤمية التي ألبس الشاعر فيها الطبيعة وشاح الحزن والشؤم القصائد التالية:

---

(١)انظر شاعر الوجدان، يسري سلامة، ص١٤٥.

قصائد ضوء القمر على القبور،ج٢، ص١٤٥. الجنة الخراب، ج٢،ص٢٠٠، بين الحياة والموت، ج٣، ص٢١٣، الشعر والطبيعة،ج٣، ص٢٢٦، الأزاهير السود،ج٣، ص٢٢٧، الحب والطبيعة، ج٤،/ ص٣٤٢، الآمال الزاوية،ج٥، ص٤١٣، قبر في القلب، ج٥، ص٤٢٣.

فالطبيعة في نظر الرومانسيين صادقة التعبير في صمتها وفي غضبها، وجمالها آخاذ في سكونها وحركتها، فسكون الليل عندما يشتد الظلام تسمع أنفاسه ويفيض جلاله، ويعلي الشاعر رايات الموت خفاقة يقول الشاعر مصوراً هذا الإحساس القاتم بجلال الليل :

ملأت الكون من نفس عميق فاسمع كل ذي قلب مفيق
وأجريت الجلال على سكون يفيض على ظلامك كالأنين
وأخرست الحياة وراغبيها وريح الموت تخفق منك فيها(١)

فالجلال والسكون يشبهان الأنين الصادر عن قلب ملتاع أصابه الألم والوجع وثم جاءت الاستعارة تكشف عن رؤية سوداء لإطلالة الليل وقدومه ،"فأخرست الحياة "فلم يعد يستطيع أحد النطق من هول ما يرى وشدة ما يجد،وسر احتباس النفس العميق ذلك الجلال الذي يخيم على أنحاء الكون ، فالليل يشبه الموت الذي يخرس الحياة إذ أن الحياة تسكن في الليل فترى الناس هامدة مقيدة الحركة ساكنة النفس ، وهو إذ يصف الليل

---

(١) ديوان الشاعر، ج٢،ص١١٨.

بذلك،ثم ينتقل إلى وصف ضوء القمر وهو يرافق سكون الليل حين يرى السآمة على الهلال تحجب جماله، بل وتجعله مثيرا للخوف في النفس والفزع يقول:

إني رأيت بياض ضوئك موهناً ... فوق القبور كعارض يتهلل
ففزعت من ذاك البياض كأنه ... لون المشيب على الذوائب ينقل(١)

الصورة قاتمة داكنة فعادة ما يتغزل الشعراء بمحبوباتهم فيشبهون جمالهن بضوء القمر فوق الرياض، أو على شواطئ البحار، أو فوق قمم الجبال، لكن شكري يصور ضوء القمر بطريقة مختلفة فيراه ضعيف الضوء واهنه كأنما تحجبه السحب وتصيبه شدة الظلام بالتجهم، ويرجع الشاعر ذلك الإحساس بضوء القمر إلى سقوطه على قبور الموتى، وذلك المنظر يفزع الإنسان كما يفزع من رؤية الشيب ينبت على ذوائبه. ثميزيد ذلك المنظر روعاً وفزعاً أن يرى ساكني القبور وكأنهم أشباح ماثلة تناظره يقول(٢):

لقد رأيتك والقبور كأنها ... أشباح ساكنة النواظر مثل
ظر البرئ إلى القتيل مجندلاً ... والروع في أنفاسه يتعجل
ولقد رأيت على الهلال سآمة ... سأم يعالج مثله المتأمل

فقد رأى السآمة على الهلال يرتديها كما تصيب المتأمل في هذه الدنيا الملل والسآمة من الواقع التي هي عليه، ثم يشبه القتامة والسآمة تصيبان الهلال وكأنه وجه

---

(١) ديوان الشاعر، ج٢، ص١٤٦.

(٢) ديوان الشاعر، ج٢، ص١٤٦.

الحسناء التي يطرق بابها الموت يقول:

فكأنــه الحســناء يطرقهــا الــردى ... فتبيت تزوي في الفــراش وتــذبل
طــوراً يريــك المــوت في لحظاتــه ... حتــى كــأن الحســن داءٌ معضــل
ويبيــت طــوراً في الريــاض يعلهــا ... ممــا يريــق عــلى الفضــاء وينهــل

فضوء القمر في الصورة السابقة يمثل الموت للشاعر إذ ينقلب الحسن إلى داء شديد العضال ينتهي بالهلاك، وتلك السوداوية لم تمنع الشاعر من وصـف هـذا الضوء حين يسقط على الرياض ويسقيها من ضوءه واشراقته فتتهلل له الحدائق، وتزداد جمالاً وسحراً . فحين تكون الروح مشرقة ترى النور من خـلال الظـلام، وحين تكون يائسة متشائمة ترى الظلمة تعم الكون وشكري يرى ظلمة الحيـاة ويفزع لها إذا تأثر بمحيطها،ولكنـه مـع ذلـك لا ينسـى جمالهـا . خيـال شـكري الخصب وإحساسه الشديد، وتأمله في رمـوز الطبيعـة جعلـه يعـبر عنهـا بتلـك الصور المختلفة فتارة يرى في سقوط ضوء القمر على القبور سآمة وهلاك وفزع، وتارة ينظر إلى القبور بطريقة واعظة فالقبور منتهى الحياة ومن رقد بها لن يعـود لهذه الحياة مرة أخرى يقول مشبهاً النفوس الميتة التي لا تفقه شعره ومعانيه:

ماذا يفيـد الشـعر والقلـب ميـت ... وهل للنفوس الهامدات نشـوراً؟
إذا كان يحيى الشعر نفساً مريضـة ... فهيهات تحيا النفوس وهي قبـورا[1]

فلن ينفع الشـعر القلـب الميـت الـذي لا يعـرف معنـى، ولا يتـذوق طعـماً

(١) ديوان الشاعر،ج٣، ص٢٢٦.

واستحالة ذلك الأمر مثل استحالة أن تحيا النفس المريضة فهي مقبورة لا أمل في نشورها، وتارة أخرى يشبه القلب بالقبر فعقله متأمل وخياله يجدد لـه الصـور ويحكم تشبيه الأمور والتقاط وجه الشبه بين المشبه والمشـبه بـه فيثير في الـنفس التعجب والإعجاب لماذا يشبه القلب بالقبر؟ يقول:

جعلت أبحث في الفؤاد كأنني ... في الأرض أنكث جاهداً لا أفتر
حتى رأيت هناك قبراً غائراً ... للحب قدما كان غدرك يحفر
قبر دفنت به الصبابة والمنى ... ولذيذ عيش حتى قيل لا يتذكر
يا قبر هذا الشعر فوقك حلية ... والزهر في قبر الأحبة ينثر (١)

فقد يئس الشاعر من المحب ، فلقد أحب حتى منتهى الحب ،ولقـد عشـق حتى منتهى العشق،فماذا كان جزاؤه ؟إن النكران لحبه والجحود لعواطفه ومشاعره، ومن ثم دفن تلك المشاعر والعواطف في أعماق القلب ، ومـن ثـم إذا أراد –بدافع الفضول –أن يرى بقاء أي أثرفي قلبه راح "يبحث في الفؤاد جاهـدا لايفتر "كناية عن دفن حبه في أعماق قلبه، حتى يكون بعيدا لا يحرك الشـوق بداخله ولا الأمل في نفسه.

أما عندما يتخذ الشاعر من الزهر رمزاً للتشاؤم عندها تطالعنا سـوداوية عجيبة، فشكر يشبه لذات الحياة التي تجلب لصاحبها البؤس والشقاء بالأزاهير السود ،ولكن كيف والزهرينظر إليه على أنه مصدرا من مصادر الجمال والحسـن

---

(١) ديوان الشاعر، ج٥،/ ص٤٢٤.

الذين يبعثان التفاؤل والفرح، لكنه حين يكون رداء تلتحف به مشاعر الأسى والألم فقد تبدل عن سمته وتغير عن طبيعته يقول:

قد جنينا من أزاهير الردى زهرة اليأس وأزهار الأسى
زهرة سوداء لا تعدلها زهرة حمراء من زهر الهوى
كيف تهوى زهرة أوراقها من دموع الصب تندي والدما
تشعل الوجد ولوعات الغليل وهي مثل الجرح في صدر القتيل
ودماء القلب تجري بمسيل دمه ري جذور وأصول
قد جنين من أزاهير الشقاء زهرة سوداء من زهر القضاء
تبول النفس سواد من ضياء ليس تنمو في رجاء أو رخاء[1]

وعلاوة على ذلكم فهذه الأزهار تنفخ سماً لا أريجاً وبلاء لا راحة وهي تتغذى بدموع وزفرات الألم والبكاء كل تلك الملذات تجلب لصاحبها ذلك الألم والشقاء فهي في مظهرها كالزهر العطر ولكن مخبرها شقي تعيس يقول:

زهرة سوداء من زهر الضجر وهي من نبت هموم وكدر
فهي الليل سهاد وسهر وهي في الصبح الشقاء المنتظر
ليس لي فيها مفراً ونجاء فهي حولي في صباح أو مساء[2]

فتلك اللذات أصبحت هموم وكدر تجلب السهاد والسهر ليلاً، والشقاء نهاراً لا ملجأ ولا منها فهي تطوق المرء صباح ومساء.

(ويعترف شكري في رسالة أرسلها إلى د/ محمد رجب بيومي أن هذه

---

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٨٨

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٨٨

القصيدة من أحسن شعره في التشاؤم)[1] وتقابل هذه السوداوية في قصائد شكري صور متفائلة تصف الطبيعة التي أحبها وتأثر بها أمثال: الحسن مرآة الطبيعة، ج٢، ص٢١٦، الربيع والصباح، ج٣، ص٢٥٨، سحر الربيع، ج٣، ص٢١٧، عصفور في الجنة، ج٣، ص٢٦٦، وحتى نفسر هذه القضية(فهناك ما يسمى بالتبلور الوجداني وهو قدرة الشخص على التفاعل إيجابياً ، أو سلبياً مع الموضوعات الخارجية المؤثرة فيه فيتفاعل وجدانه إيجاباً بمعنى أن يكون متفائلاً بينما هو في نفس الوقت يعمد إلى اكتساب عادة بلورة وجدانه سلبياً بإزاء بعض الموضوعات فيكون متشائماً ،و بمعنى أخر أن التفاؤل والتشاؤم متداخلان أشد التداخل)[2]، بمعنى أن الإنسان قد يجمع بين التفاؤل والتشاؤم، فيصبح متفائلاً إذا كانت ردة فعله إيجابية تجاه الظروف الجيدة، فيظل يسعى في هذه الحياة بروح المجاهد الطامح ويكون متشائماً إذا تفاعل سلباً تجاه الظروف السيئة، فيحجم عن طلب الطموح.

(ورغم هذا التداخل يمكن الحكم على شخص ما بأنه متفائل وعلى شخص آخر بأنه متشائم ذلك في ضوء الصبغة العامة لحياته من جهةو في ضوء البادي من سلوكه الاجتماعي من جهة أخرى)[3]. وذلك يعني أن تصرف الإنسان

---

(١) رسالة دكتوراه بعنوان شعر عبد الرحمن شكري، دراسة تحليلية، محمد السعدي فرهود، ص٢٤٤، جامعة الأزهر، ١٩٦٧م.

(٢) التفاؤل والتشاؤم، يوسف ميخائيل أسعد، ص١٥-١٦ بتصرف .

(٣) من المرجع السابق، ص١٦ نقلاً .

الشخصي وأسلوبه في التعامل وسلوكه الاجتماعي تجاه من حوله يجعلنا نستطيع الحكم عليه إن كان متفائلاً أو متشائماً، والذي يبدو ظاهرياً أن عبد الرحمن شكري قد بدأ حياة تمتاز بالجد والاجتهاد، وترنو إلى آمال عظيمة، وتبتغي مراتب الشرف والشهرة لكن الظروف الاجتماعية قيدت شخصه الطموح وحادت به عن المسلك الإيجابي إلى مسلك سلبي يطلب العزلة التي بدأها بالاستقالة المبكرة ثم اعتزال المجتمع الأدبي اعتزالا ظاهريا وليس حقيقياً فـ(صحيح أن شكري لم يطبع بعد عام ١٩١٩م أي مؤلف شعري أو نثري مستقل في مجلد ولكن ا لصحيح أيضاً أنه لم ينقطع بعد ذلك العام عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث، فلقد نشر في الصحف والمجلات ما جمع منه فيما بعد ديوانه الشعري الثامن وخمسة كتب أخرى وهذا من الكتب الخمسة التي ظل ينشر فصولها في المجلات الأدبية حتى أواخر حياته)(١).

والحقيقة أن قصائده التي أحاطت بها ضبابات التشاؤم قد قاربت المائة قصيدة ، علماً أن ديوان شكري يضم أربعمائة وثمان وثمانين قصيدة وخمس وأربعين مقطوعة ونرى أن عدد قصائده التي اشتهرت بنزعتها التشاؤمية تكاد تقترب من ربع الديوان ،وفي ذلك دليل على أن تشاؤم شكري كان نسبياً ولم يكن كلياً حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل أثراً للظروف والمؤثرات في حياته، ومن تتبع سيرة شكري يجد أنه انسان قد عمل بجد وكفاح خلال مراحل

---

(١) أعلام من الإسكندرية نقولا يوسف، دار المعارف بالإسكندرية، ص٤٩٥ .

حياته العلمية والعملية، وتذوق لذة الفرح كما تذوق لذة الألم،فهو شاعر نافذ البصيرة يرقب البدايات ويتأمل النهايات ويحلل مأساوية الأشياء، ويتذوقها ، ثم يتغنى بها بشكل خاص به وحده.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

- المبحث الأول :التجربـة الشعرية
- المبحث الثاني : البنيــة التركيبية
- المبحث الثالث : البنية التصويرية
- المبحث الرابع : البنيــة الإيقاعية

المبحث الأول

التجربة الشعرية:

مدخل

التجربة الشعرية كيـان متكامـل أساسـه الشـعور ولبناتـه الشـعر والفكـر والصياغة. وشرط ذلك كله التوافق، ونتاجه (صورة لها كاملة نفسية أو كونيـة. يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمـور تفكـيراً يـنم عـن عمـق شـعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى إقتناع ذاتي، وإخلاص فني لا إلى مجرد مهارته في الصياغة)[1]. فالشاعر الحق الذي يبذل جهداً يستنبط المعـاني، يستشـفها ثـم يحللها بقدر ما يبذل جهداً في صياغة الألفاظ الدالة على تلك المعانيوللفكر دورٌ وأهمية في التجربة الشعرية إذ (مهما تكن التجربة عاطفية شعورية فإنها لا تعزف قط عن الفكر الذي يصحبها، وينظمها، ويساعد على تأمل الشاعر فيهـا ... ولا ينجح الشاعر في التعبير عن تجربته حتى يصـير أفكـاره الذاتيـة موضـوعية)[2]. بمعنى أن تكون تجاربه الذاتية ذات معاني اجتماعية إنسانية يستطيع القارئ الذي يتأملها أن يلمس تلك المعاني أو يعايشها، والتجربة ذات الحظ الأوفر من النجاح هي التجربة التـي يكـون (شـاعرها ممـن يتعمقـون الحيـاة ويسـبرون أغوارهـا ويتغلغلون في بواطنهـا، ويحـاولون التقـاط دخائلهـا، وأسرارهـا المسـتغلقة لا

---

(١) انظر النقد الأدبي الحديث، غنيمي هلال، ص٣٨٣، دار العودة بيروت، ١٩٧٣ .

(٢)السابق، ص٣٨٥.

مظاهرها الكبرى فحسب، بل في كل مظهر صغيراً أو زهيداً)[1]. والخيال رافد أساسي للفكر، به تنضج صورة حسية أو معنوية بعد أن كانت حلماً في عقل الشاعر ونفسه فقدرة الخيال في التجربة الفنية عظيمة ،فعن طريقه (تخرج القصيدة قارئها من عالمه الحقيقي إلى عالم الشاعر النفسي ومتخيلاته، وأحلامه بطريقة تلعب فيها أجنحة المجازات والاستعارات دوراً تجعل الحلم ينمو والرؤية الشعرية تنمونمواً عضوياً) [2]. وليس من الضروري أن تتزاحم الصور والاستعارات والمجازات، في القصيدة حتى تصبح القصيدة مؤثرة بل يكمن السر في قدرة الشاعر في التأثير على نفس المتلقي وعقله (لوجود العلاقة بين الصورة المعبرة ، وبين الفكر وجنوحه وبين العاطفة ودواخلها)[3] .

والموسيقى عنصر مهم في التجربة الشعرية بها تصلح أبيات القصيدة، تصدح أنغامها، وتنضح حلاوتها، وقد (تخلو أبيات القصيدة من الخيال لكن من المحال أن يخرج شطر واحد بل كلمة واحدة من موسيقى البحر الذي بدأ الشاعر بالتجديف فيه من أول وهلة) [4]، ويختلف الشعراء في (أنغامهم الموسيقية بتفاوت أسلوبهم فمن كانت معانيه جزلة قوية نجد أنغامه رنانة صاخبة، ومن

---

(١) النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص١٤٤، دار المعارف، ط٨.

(٢) النقد الأدبي ، شوقي ضيف، ص١٤٩، " بتصرف " .

(٣) مقدمة الديوان، ٣٦٣، " بتصرف " .

(٤) التجربة الشعرية عند عبدالله المغرب، د/ عبدالعزيز قلقيلة ، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠٧/ ١٩٨٦ .

كان ذا معاني عقلية فكرية تميل موسيقاه إلى الجفاف، ومنهم ذا أنغام ثائرة، والشعر إن لم يهز ويثر بموسيقاه، يفقد أهم عناصره، ولا يعدّ شعراً بل يعد نظماً أو نثراً موزوناً) [1]. فالموسيقى ثوب الشعر الفني، وجسده الأحاسيس والفكر والخيال.

وعند الحديث عن التجربة الشعرية لدى شاعرنا عبدالرحمن شكري نجد أن تجربته الشعرية في قصيدته التشاؤمية اتخذت مسارات مختلفة تنبع من تأملات نفسية وفكرية عميقة الموارد، ومن تجارب ذاتية، ونماذج طبيعية كونية تتجلى بصور عميقة، وصادقة، محركها العاطفة والوجدان، والباحث في جنباتها والمتأمل في أسرار بواطنها، هو العقل ليس العقل الذي يعالج معارف الحياة المحسوسة إنما الذي يعالج مشكلة معرفتنا بالكون، والحياة النفسية. فشكري من الشعراء الذين لديهم إحساس قوي، ويدفعهم تفكير عميق متأمل لدرجة أن تقع العاطفة تحت أمرة التفكير في كثير من الأحايين ، وقد أُعتبر شكري ذا تجربة رائدة في الشعر العربي الحديث لأسباب كثيرة منها صدق التجربة الشعرية في الحديث عن الذات بموضوعية تتداخل، ومجالات النفس الإنسانية البشرية وأحوالها،يؤازر ذلك خياله القوي، وتشخصيه الذي يأسر العقول،كما أنه ينقل روح الفكرة سواء كانت نفسية عقلية أم كونية، ويضاف إلى ذلك إحساسه

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، عبداللطيف السحرتي، ط٢، ص٥٣-٥٥، مطبوعات تهامة، ١٩٨٤م، المملكة العربية السعودية،" بتصرف" .

الرومانسي الذي يتشكل مع الطبيعة ويُلبسها أثواب حالكة من السواد حين يميل به ميزانه الشعري إلى التشاؤمية، كما أن لديه القدرة على التوافق الفكري الوجداني واللفظي [1]،ومن يتتبع تجربته الشعرية التشاؤمية يرى أن الموت هو السمة التي تميز تجربته، فعلى الرغم من تعدد موضوعات التشاؤم، لكن معظم قصائده تناولت موضوعاً بعينه هو الموت.

وقد قاده فكره الفلسفي المتأمل إلى (طريقة وأسلوب تميزت به تجربته الشعرية أطلق عليها أحد الباحثين جدلية الأضداد)[2] .

فصدق التجربة يظهر لدى شاعرنا عندما يتحدث عن معاناته الذاتية النفسية إذ يصدق في نقل إحساسه السوداوي، ويأسه المرير من حقائق نلمسها، أو نعايشها، ، وهو يصور تجربته مع الحياة في أسلوب تقريري تعبيري مؤكداً معاناته، التي أورثته مشاعر شيخ في الثمانين من العمر وهو مازال في أوج شبابه وهذا الشعور المتشائم من الحياة تملك كل مشاعره وحصر آماله، وأظلم غاياته، فقد خذلته السنوات، ولم ترحمه الأقدار، التي رمت به عن ساحتها، رغم مجاهدته الحياة، وهمومها التي صارعها حتى صرعته، وسكنت صدره. يصور ذلك في استعارة مكنية يشبه فيها الرحمة بالإنسان إذ يقول:

---

(١) لحق ديوان عبدالرحمن شكري، د/ محمد السعدي فرهود، ص٢٤ .

(٢) انظر الرؤية النقدية في شعر عبدالرحمن شكري، رسالة ماجستير، فيصل الله أبو طويلة، ص ١٦٦، ١٦٦، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى.

لقــد لفظتنــي رحمــة الله يافعــاً فصرت كأني في الثمانين من عمري
رضيت بهذا العيش بعد أبوة لأبلغ شأو أو أغيب في قبري
وحاول مني الهم صبراً فلــم أزل أدافعه حتى أبحت له صدري(١)

فأن تلفظه رحمة الله "فكم تقدر شقاوته وعذابه ،ولكنه استسلم للأمر على علاته،" رضيت بهذا العيش بعد أبوة " فالتضاد يوضح التناقض في فعل الشاعر تجاه ما قدر عليه ،فإنه أبى في البداية لكن مشاعره المرهفة وحسه الرقيق قد حالا دون الاستمرار فكان الرضى والتسليم.

وهو خبير بهذه الحياة قد ذاق يسرها وعانى من عسرها فصور ذلك في قوله :

وزاولت صرف الدهر حتى عرفته فسيان ما لاقيت من العسر واليسر(٢)

فلقد تحمل الشاعر مالم يتحمله غيره" فزاولت صروف الدهر حتى عرفته "فكان من نتيجتها " نسيان ما لاقيت من العسر واليسر" فالمفترض أن يحدث التناقض اختلافا في نفسية الشاعر ، فيقابل اليسر بالفرح والعسر بالحزن ،إلاأنه لم يحدث " فسيان"دون إكتراث بالحياة وما فيها.

ثم تتحول هذه العاطفة إلى عاطفة متوازنة تشحذ الهمم البائسة وتريد بلوغ الغاية بالصبر الذي يحقق المنى يقول :

هل العيش إلا أن تنال بعزمه مقاماً كان النجم من تحته يسرى

---

(١) ديوان الشاعر، ج ١، ص ٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ١، ص ٣٢.

فما العزم إلا ما يبلغــك المــنى		وما العجز إلا أن تنهنــه بالجــزر [1]

ثم تعود تلك النظرة التشاؤمية تظهر لدى الشاعر في مرة أخرى لتشمل كائنات الكون، وتتلمس عدم نفعية وظائفها الدنيوية في قوله:

مــاذا يفيــد تصــوبي وتصــعدي		عــن مسـلك للعـيش غـير ممهـد
كـــالبحر في أحوالـــه متغـــيراً		عبثــاً يضــج بموجــه المتجــدد
عبثــاً تعبــث الــريح في هباتهــا		كالحادثــات إذ تــروح وتغتــدى
عبثــاً يســير الــنجم في أبراجــه		متــنقلاً في ســيره عــن موعــد
عبثاً تضيء الشمس وجه مســالك		للعيش تزخر بالشقاء المــزبد [2]

فإلي هذه الدرجة بلغ به اليأس وأعمت نظرتـه التشاؤمية بصيرته؟!أيريد للحياة الفناء حتى يستريح هو وأمثاله ممن يعانون؟أيرى في تأدية كائنات الكون وظائفها عبثا يجب أن تقلع عنه؟فالبحر يضج ،والريح كالحادثات، والقمر والشمس يعبثان بالتناوب في الطلوع، ويصل به الحال والضيق إلى أن يعمم نظرة التشاؤم تلك على كل البشر إذ أن الإنسان لو علم قـدر تعاسته لما ودّ أن يولـد فالكل في شقاء لا ينجو من ذلك البلاء ، وأظنه قد بالغ في نظرته تلك فالحياة ما زالت بخير وإن عمّ البؤس أحوالها. يقول :

لــو كــان يــدري المــرء قــدر شــقائه		[ي] العــيش ودّ لــو أنــه لم يولــد
والنــاس غرقــى في الشــقاء ولؤمــه		مــن نــاقم يشــكو ومــن متبلــد

---

(١)السابق، ج ١، ص ٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣ ، ص ٢٥٠.

ومـــن البليـــة أننـــي بشـــقائهم وشـــقاوتي أمحـــو لذيـــذ تجلـــدي

ماذا على الإنسـان لـولا نسلـه أن بـاع دنياه بمـوت سرمـد (١)

ومن خلال معايشته لبلاء الإنسانية جمعاء وشقائه شخصياً نراه يرجع ذلـك الابتلاء إلى هزيمة تجلده وصبره أمام هذه الحياة. والحل عنده في موت سرمـدي يريحه من عناء الدنيا بأسرها.

وفي الأبيات السابقة نلاحظ نقمة الشاعر، وثورتـه العارمـة التـي شـملت طبيعة الكون والنفس الإنسانية، لكن العاطفة قد تتجدد وتتغـير تبعـاً لـمؤثرات الحياة، إذ نراه في قصيدته التالية يشعر ونشعر معه بحزن عميق ، وحسرة مريـرة تكاد تغص لها الحلوق في تجربة ذاتية عدوه اللدود فيها الـنحس الـذي قـام عـلى رعايته، ولم يتركه حتى أصبح وسام شرف يزين به الشاعر صدره يقول :

إذا كـان في نحـس الفتـى شرف لـه فـمالي لم أشـبع مـن المجـد والعـلى

يقولـون بـؤس العـيش نبـل صابـر فلا مجد إلا في ذوي النحس والشقـا (٢)

فهل اختصه القدر بضرباته الموجعة ؟إذا كان السباق للعلا بجليل الأفعـال وعظيم الصفات فبما يفاخر الشاعروتعلو مكانتـه ؟إنهـا كثـرة الآلام والنـوازل والمصائب ،ولكن الشاعر يتعجب في أنكاروسخرية " فمالي لم أشـبع مـن المجـد والعلى" فإذا كنت قد جزت قصب السبق وانهالت على الكوارث وتوالت ،فلماذا لم تعلو بها درجتي ومكانتي.

---

(١)السابق، ج ٣ ، ص ٢٥٠.

(٢) ديوان الشاعر ، ج ٥، ص ٤٠٥.

حتى كاد هذا الشقاء والعذاب الدنيوي يوقعانه في حيرة تكاد تخرج به عن طور عقيدته السليمة ترميان به في أحضان جحيم الحيرة والهلاك يقول:

حياتي أعفو جئت أم عمد عامد قضى من صروف الدهر في الخلق ما قضى (١)

ونظير تلك الحيرة يقدم نداء يرتجي من الموت رجاء أن يُقبل عليه بنعومة وحلاوة النعاس للعين، أو فعل الخمر حين يخالط العقل فيمحو همومه عن الوجود . يقول:

فيا موت أقبل لا كإقبال رائع مرير كطعم العيش يؤلم من حسا
ولكن كترنيق* النعاس بمقلة طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا (٢)

وقد يكون موضوع التجربة بسيط ذاتي لكنه موفور المعاني المتصلة بالمشاعر الإنسانية والقضايا الاجتماعية ذات الدلالة على ضعف الإنسان وقلة حيلته أمام تصاريف القدر ، وما ينزل به من محن. فيتحدث الشاعر عن عصفور حبيس في قفص يملكهوهو موضوع هين لكن الشاعر استطاع أن يُضفي عليه إحساسه الخاص بمشاعر ذلك الطائر وصلة ذلك كله بالمشاعر الإنسانية الجمالية التي تكشف عن خوف الضعيف الذي يعدم الحيلة القدرة في الدفاع عن حاله. فلم يجد إلا الغناء الذي يتخذه وسيلة وحيدة يمتلكها، ولم يكن للشاعر حينها إحساس ٌ بهذهاللوعة، أو فهماً لتلك الترنيمات الحزينة يقول (٣):

---

(١) المرجع السابق ، ج ٥، ص ٤٠٥.

(٢) المرجع السابق ، ج ٥، ص ٤٠٥. * ترنيق،أي أن لذة الموت في إقباله تشبه لذة النعاس حين يداعب يداعب المقلة وراحته

(٣) ديوان الشاعر ، ج ٤ ، ٣٠١.

اذكر فيما مضى من العمر | وكنت ألهو في غفلة الصغر
وكنت ألهو بطائر غرد | مرتجل للغناء مبتدر
من حيث لا روضة له أنفُ | والشدو شعر لعاشق الزهر
بل كان يشدو الحبيس في قفصٍ | شدو حزين الفؤاد منفطر
وقد كنت غفلان عن لواعجه | وكيف يرثى الجذلان للكدر
قد كنت كالطائر الطليق فلا | شجو يروع الفؤاد بالفكر
قد كان قلبي لقلبه حجراً | وكيف يجدى الغناء للحجر
قد كان لي لعبة أعابثها | ما كان سر الغناء من وطري
قد قمت ألهو بجانب القفص | في صخب رائع بلا حذر
وأقرع الأرض صارخاً جزلاً | وضجة الصوت شيمة الصغر
والطير من رعب قلبه حذر | يهتز مثل المقرور من خصر
حتى إذا ما سكنت من كلل | فعدت ألهو عنه على غرر
إذا به صادحاً ينوح من الر | عب بلحن يقدم في المرر
قد جمع اللحن من لواعجه | لم يبق من نغمة ولم يذر

إلى أن رآه مجندلاً في قفصه فقال :

حتى رأيت العصفور مجندلاً | قد مات من لوعة ومن حذر

فنسيه ولم يذكره إلا حين وقع هو شخصياً في شراك القيد والعبودية يقول:

نسيته والسنون منسية | وكل ما فات ميت الخبر

حتى عرتني الخطوب مذكرة		وصاحب الهم حاضر الذكر
نفسي ـ كالطائر الحبيس فلا		مفر من جور سطوة الغدر
قد شق صدري ناب الحياة فأمـ		ـسيت بقلب خافق منذعر
يا طير لو كنت حاضري ألفت		نفسك نفسي ـ من رحمة الخور
لا يعرف الحزن غير ذائقة		فليس حزن العيان كالخبر
اقتص مني لك الزمان وقد		أصبحت مني في السمع والبصر[1]
والبصر[1]

فانظر إلى تلك المقارنة بين الإنسان وما يحيط به في بيئته،إنها تظهر مدى التفاعل التناغم بينه وبين ما تقع عليه عينيه،فقد مزج بين حالته وحالة

الطائر،قد كان مثله حر طليقاً يتمتع بحياته ويشيع البهجة فيمن حوله،حتى اختصه القدر بالضربات والنوازل ،فاتحدا في الألم ،وتشاركا في الحزن والبؤس.

ومن مميزات تجربته الشعرية التشاؤمية الصورة الفنية إذ إن مصدرها الفكر تسانده العاطفة والخيال، والصورة لديه مكونة من جزئيات متلاحمة متآلفة تفصح عن المعنى العقلي والنفسي المراد، وهي تنتج صورة كلية نهائية للفكرة بطريقة يتآزر فيها الفكر والمشاعر، في قصيدة "جدّ أم لعب "، يشخص الشاعر فيها الحياة حية تسعى وتبدل جلدها كل فترة ، كذا الحياة فالناس يعانون نوازلها ويعايشون كوارثها المتجددة ،يقول الشاعر :

(١) ديوان الشاعر، ج ٤، ص ٣٠١.

يا حية الخلد كم لبست وكـــم   نضدت جلـــداً يشقى الأنام به [1]

(١)

فأن تكون الحياة حية فهذا دليل التلون والخداع ،وكما تلبس الحية جلدا متنوعا متعددا ، كذا الحياة تتعد ثيابها وألوان نوازلها ومصائبها

وفكرة التجدد تظهر في الجمع بين وجه الشبه في تجديد الحية لجلدها، وتنوع آجال الناس فهذه سنة الحياة،ويواصل الشاعر تصوير الحياة بصور مختلفة ،فيراها في صورة إمرأة غانية ،يقول:

كـأن هـــذي الحيـــاة غانيـــة   تعــاف بـرداً مـن بعـد مطلبـه
ـأنها النـــاس بُردهـــا أبـــداً   تعـــاف ملبوســـه لمعجبـــه
وبـــاً فثوبـــاً تظـــل تخلعـــه   ذا خصيـــ الحَـــمام آب بـــه
كـان مـــرآتها الكـمال فمـــا   ـــى بها لم يـــرق بمـُذْ هَـبه [2]

فالدنيا كالمرأة الغانية التي تخدع الناس بمظهرها عن حقيقتها فإذا حدث القرب بالاغترار بالمظهر ، أظهرت له ألوان الآلام والآحزان ما يجعله حطاما،فتتجه إلى غيره في محاولة مستمرة لجذب الناس إليها فكأنها هي الأخرى تبحث عن الكمال فيمن تجذبهم دون جدوى،يقول:

كأن مرآتها الكمال فما ترضى   بـــما لم يـــرق بمذهبـــه
ياضـيعة الخلـد لهـو غايتـه   ضيـــ بـــه الخلـــد في تسر ّ ـــبه

(١) المرجع السابق، ج ٦، ٤٨٢.
(٢) ديوان الشاعر، ج ٦ ، ص٤٨٢.

وهكذا المرء عيشة طلب حتى ليؤذي نيل مآربه [(١)]

وفي قصيدة أخرى يصور شكري الحرية بطريقة بشعة في استعارة تمثيلية. فهي مخلوق دموي في عطش دائم للدماء يقول [(٢)] :

ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامه كالذئب يعوي بادى الأسنان
نظرت بعين الصل حين وثوبها نظر يسم مجامع الأشجان

للحرية ثمن غال قد تقدم الحياة فداء لها،ولكن أن تظمأ الحرية للدماء "فهي إنسان ظمآن للماء يريد الارتواء ،فلا تروي شره الحرية إلا بالدماء تسيل في سبيلها ولكن الشاعر شبه شراهتها إلى الدماء بالذئب " يعوي" فالعواء من شدة الجوع ، فإذا وجد فريسته ، فإذا وجد فريسته عظمت وحشيته في الانقضاض عليها والفتك بها ، إنها صور تؤذي الإحساس وتؤلم المشاعر والأشجان.

ومن الصور المؤثرة في النفس التي تبين عن آلام شكري، وتوضح حسرات نفسه وشجن قلبه هذه الصورة التي يشبه فيها فؤاده بالقبر الغائر"فالبحث في الفؤاد"كناية عن اختفاء الحب منه ، فكأنه أصبح في زاوية لا يشعر بأي تأثير عليه منه " كأنني في الأرض جاهد لاأفتر " تشبيه بجامع الدوام والاستمرار دون ملل أو يأس حتي رأيت قبرا لها " فأن يحل القبر محل الحب ، فهو دليل الفناء وعدم البقاء ،فقد زالت روحه وجسده ،يقول:

(١) ديوان الشاعر ، ج ٦ ، ص ٤٨٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج٢ ، ص١٦٧. *الصل:الحية

جعلت أبحث في الفؤاد كأنني — في الأرض أنكث جاهداً لا أفتر
حتى رأيت هناك قبراً غائرا — للحب قدماً كان غدرك يحفر
وعليه مكتوب بحرف من دم — الحسن خداع يفّر ويغدر[1]

ثم انظر إلى قوله " مكتوب عليه بحرف من دم " فالدم هي دموع الشاعر التي انهمرت واستمرت حتى لم تجد عيناه إلا الدماء تنزفها حين جفت العبرات ،وربما كان الدم دليلا على جريمة قتل وقعت لهذا الحب،فقد ذبح وسالت دماؤه.

ثم أنظر إلى تلك الصورة البشعة التي تصور القلب في صورة الرمم البالية، يقول:

والقلب مثل البحر يفزع قاعه — أهنأ قلوب الخلق ما لا يسبر
كم فيه من أثر العواصف راسب — أدباً به لا يستطاع فينظر
فاطو الفؤاد على الهموم كأنها — رمم على رمم به لا تُنشر[2]

والقلب مثل البحر "بجامع التقلب والدوران وعدم الثبات ،" كم فيه من أثر العواصف راسب " فدائما يستقر به أثر التجارب وهنا" من أثر العواصف " التي تعني سوء ما مر به وما عانى في سبيل الحب ،ومن ثم كان الأمر بلا نشاء " فاطو الفؤاد" حث على الاكتفاء بما مر به من تجارب تراكمت كالرمم المتراكمة دليل الخبث والرائحة الكريهة .

---

(١) ديوان الشاعر ، ج ٥ ، ص٤٢٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٢٤.

رائعة تدوي بصوت هائل ذلك صوت الرعد يسخر بالناس، وبشكواه شخصياً .ولا يزال الشاعر في وقفته التأملية راجياً البحر كما يرجو المرء من القوة الكونية في صورة استعارة مكنية أن ينجيه من عذاب الدنيا ومن الحياة بأسرها .

وقد يمزج الشاعر في تجربته بينه وبين مظاهر الطبيعة فيرى في ألمها ،ألمه ، وفي شقائها شقاءه، يقول :

وقفت على البحر الخضم عشية ... وللريح فيه والعباب بوادر
وقد بسط الليل البهيم جلاله ... وللسحب نوء هاطل اللج هامر
وللرعد ضحك رائع الصوت هائل ... كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر
أقطع قلبي بالبكاء وبالأسى ... وحب الردى داء دخيل مخامر
بكيت بكاء اليأس لا بأس مثله ... وقلت وبي من سانح الموت خاطر
أجرني من ظلم الحياة ولؤمها ... فإن شقائي مثل لجك زاخر [1]
(١)

فانظر إلى" البحر الخضم عشية وللريح فيه والعباب بوادر"فالظلام الحالك يحيط به،والرياح والعباب يبادرانه،أما الليل فبهيم ،والسحب "نوء هاطل"،والرعد "ضحك رائع الصوت"،فقد أحل الطبيعة محل نفسه،ولكن ساعة قسوتها وغضبها ، إنها مقارنة المثيل لمثيله،ومضارعة الشبيه بشبيه.

وقدرة الشاعر بليغة في محاكاة الطبيعة في هذه القصيدة لدرجة القول أن

---

(١) ديوان الشاعر، ج ٣ ، ص ٢١٣.

الطبيعة تحاكي عواطف الشاعر ومشاعره الإنسانية.وقد عُرف عن شكري أنه صاحب فكر متأمل، ووجدان مرهف، لديه القدرة على التوفيق بين الفكر والوجدان يصوغهما بطريقة جمالية إذ يقول في حديث نفس عن الذكر كيف هي صورته، وما هي مطامعه فالذكر لديه :

الذكر كالجرذان في خفية ... تنخر قلب الأبيّ الجليد
مطية الذكر على نهجها ... معكوسة المسعى لخلف تحيد
كم تبتغي أمسك إن ساءك اليـ ... وم وأمس معجز من يعيد
يا مخرج الملحود من قبره ... لم يبق منه غير عظم ودود
أمسى الذي فات على قربه ... كأبد الآبد قاص بعيد
وإن يؤلا اليوم ترج غداً ... إن غداً ليس بيوم جديد (١)

في هذه القصيدة يتناول الشاعر موضوع الذكر تناولاً فنياً، ويصوره تصويراً إيحائياً بأسلوب تقريري، الباعث في تلك التجربة الوجدان، والمحرك لها الفكر إذ يشبه الذكر بالفئران. حين يعيش الإنسان في ذكرياته التي تنخر في نفس، وقلبه وعقله ، وتثير مشاعر مؤلمة بائسة تقلِّبُ مواجع النفس وتذيب عظيم التجلد، كما تفعل الفئران حين تنخر فتعطب الأشياء من حولها، ويتوافق الفكر والعاطفة في تشبيه تمثيلي جميل، إذ يعبر عن الذكر بالمطية المركوبة لكن صراطها لايسيرإلى الأمام بل إلى الخلف ،وفي البيت الثالث حكمة ذات دلالة صادقة المعنى صاغها

---

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص٤٥١.

الشاعر بأسلوب استفهام استنكاري ينكر فيه على من يسوءه حاضره فيرغب بعودة الأمس، وهذا ضرب من الخيال وقد يوازي هذا الفعل من حكمه الشاعر من استحالة إخراج الدفين من قبره الذي تعفن فيه بعد أن أكلته الديدان.

ويوضح الشاعر حسرته على تلك اللذات التي اختطفها وتذوق حلاوتها في تشبيه تمثيلي، إذ يشبه اللذات بالأثمار المهدلة التي تبقى ذكرياتها رماداً وتراباً بعد أن كانت حلاوة ومتعة. ثم يقول :

إن الصبا معبد للعيش نعبده ... على مضامنته بوركت محرابا
والموت كأسد العداء تلقمه ... لذائذ العيش تخشى منه أنيابا
لا بل هو الظئر والأرواح في يده ... كالطفل في المهد لا تألوه إطرابا [1]
(١)

ففي هذه الأبيات تبدو نظرة تشاؤمية من أفكار الشاعر التأملية لكن الحقيقة أن أي عمل فني يسمو ويشرف بشرف مضمونه والشعر كما قال د. غنيمي هلال يسمو بسمو أفكاره وينحط بانحطاطها [2]، وأفكار الشاعر بديعة تلمس جانب جانب القصلالإنساني يتذوقه كل من خـَبرِ الحياة، وتعمق في حكمة شرائعها. فللعيش لذات يشبهها الشاعر بالثمار التي حان وقت قطافها، لكن حلاوتها تتحول إلى مرار حين تقطف، ثم ينتقل ليخبرنا عن ثمرة الصبا في أسلوب تقريري، فالصبا معشوق الجميع، والكل يرجو دوامه، ويبذل المستحيل من

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٥٠.

(٢) النقد الأدبي الحديث، غنيمي هلال، ص٣٩٣.

أجله، على الرغم مما يخالطه من أمور مؤلمة وفي هذا البيت يظهر حب الحياة، ويشع في فكر الشاعر، وأعماق نفسه.

وعندما يجسد من الموت أسلاً، يهابه الجميع، كذلك هو الموت فالكل يخشاه، ،ويخشى تذوق آلامه.

وأما عن الموت فهو سيد الموقف في قصيدة عبدالرحمن شكري التشاؤمية إذ أنه أتى على ذكر الموت في أكثر من ١٠٩ قصيدة، ولم يمنعه من ذكر الموت في تلك القصائد نوعية الموضوع، أو نسبية تفاؤله من تشاؤمه، فقد ذكر الموت في أحوال كثيرة فهو الواعظ و المالك والمنجي والمفزع و غيرها من الأحوال، أحوال ومواقف تجعل المتأمل يهاب الموت، ويفزع له، وقد يرجوه ويتمناه ويرحب به في تساؤل ملتحف بعاطفة حزينة ترجو الموت و تهاب قدومه. يقول:

حتام أرجو الموت لا أستطيعه ... وأفرق منه أن يلّم بمضجعي (١)

ورغم ذلك الترحيب إلا أنه يبدو واضحاً التصاق الشاعر بدنياه القاسية وأحوالها الجارحة، يقول:

من لي بعيش لا أبالي صروفه ... أقول لدهري طر بصرفك أوقع
نعيش بغش منك يحلو لغافل ... فأسدل علينا غفلة ثم فأخدع (٢)

فهو يرجو الموت لكنه يأمل في الحياة، حياة لا يعنى بصروفها، وإن عاشها غافلاً مخدوعاً فيها، المهم أن تأتي الخديعة في غفلة منه. هذه التجربة تدل على حب

(١) المرجع السابق، ج٣، ص ٢٢١.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٢١.

الشاعر للحياة بكل مساوئها حتى تلك الغفلة، وفعل الخديعة اللذين يندد بهما في مواضع أخرى من قصائده ولكن حب الحياة غلب ذلك كله. وحين يمل الشاعر من ذلك يعود إلى طريق الموت يطلب الإجارة منه يقول :

ما من مجير على هذا الملال سوى   موت يبعد بين النفس والعلل(١)

والعلل(١)

وقد تملأ عاطفة حب الموت على الشاعر أقطار نفسه، فينعزل بجماله وفتنته من تجربة يعبر فيها عن الموت، وتخاله يتحدث فيها عن القسطاط في هذه الحياة يقول :

أيا معبداً قرباننا فيه عيشنا
يا مبرئا كلم الحياة بطبه
أحبك حب الصب وجه عشيقه
جوارك مأمون وملكك رحمة
أتخشى ظلام الموت والعيش مثله(٢)

فهو المعبد الذي نقدم فيه صلواتنا، وأعمالنا وهو الطبيب الذي بيده الدواء، وهو العادل المنصف من كل ظالم، والحبيب الذي يعشق، والجار الذي يؤمن جواره وملكه كله رحمة، وكيف نخشى تذوق ظلامه، ونحن نعيش في

---

(١) ديوان الشاعر، ج٢، ص ١٦١.

(٢) ديوان الشاعر، ج٧، ص ٥٤٢.

ظلام في هذه الحياة، تلك الأبيات تحمل نزعات عميقة للشاعر، ومشاعر حكيمة تجاه الموت تقابلها، بل وتنازعها رغبات أكيدة في حب الحياة رغم جراحها وعذابها. يقول :

وهيهات لا سلو عن العيش جارع   من العيش حتى يصبح العيش ماضيا
وحتى يموت الحب والذكر والمنى   وتتلو نواعي الشائقات المناعيا
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى   حريص على دنياه يخشى المرازيا
فيا ليت أن العيش يخلف ميتة   دراكا كما يطوي النهار اللياليا[١]
الليالي[١]

الشاعر يقدم أمنية مستحيلة التحقق لكنه يتمناها ويرغب في أن تكون الحياة خلفاً للموت كما يخلف النهار الليل، ولكن هيهات أن تتحقق الأماني والأحلام .

والواعظ الأكبر قدراً ، هو الموت الخالد الذي يبدل الشقاء سعادة، والقلق راحة والفزع أمناً، يطل علينا في قصيدة " وعظ الموت يقول :

هل العيش إلا ساعة ثم ينقضي-   هل الدهر إلا أشهر وعصور
نرى حولنا الهلاك في كل منزل   كأن بيوت العالمين قبور
ونعلم علماً ليس بالظن أننا   سنمضي على آثارهم فنحور[٢]

فنرى ونعلم علم اليقين يؤكدان أن الموت مذاق الجميع ، وكأس يسقى كل

---

(١) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٤٦.

(٢) ديوان الشاعر ، ج ٤، ص ٣٠٤.

ظامئ، ويزور كل بيت، وينحر كل فرد .

ولا شك أن فلسفته الفكرية العميقة جعلت من فلسفة الأضداد ظـاهرة في شعر شكري والضد بالضد يشام، وشكري يقدر الأشياء رغم ذلهـا وحقارتهـا، حتى الأذى له مذاق في حلق الشاعر يقول :

ولولا الأذى ما ذقت في العيش لذة فكـــل نقــيض بـــالنقيض يشـــام
ولا شر إلا فيه للخــير مألـف كمــا تألـــف الماء الطهـور مـرام(١)

ولولا تذوقه لطعم الأذى لامتنع عنه تذوق طعم اللذة في العيش فمن المؤكد أن كل نقيض يظهر جمال أو قبح نقيضه. فلايكـون شراً إلا فيـه للخـير موضـع ومألف ، وكيف يجل ّ الإنسان نعمة العيش الهادئ الرغد إلا حين يحاط بالمصائب والنكبات يقول الشاعر في ذلك :

وإن ضـياء العـيش يزهـو رواؤه لأن حاطــه بــين الأنــام ظــلام
ظلام من الأحداث والخطب والردى يبيت ضيـــاء العيـــش يشـــام (٢)

والتجربة خير برهان فيؤكد الشاعر على هذه الحقيقة فزهـاء العـيش وطيبـه يحمد حين يحاط المرء بالظلام ويرمز بذلك إلى مصائب والحوادث .

وقد يجن المرء ولعاً بملذات الحياة وإغراءاتها لكنه، قد يشعر بالبغض لكـل تلك الملذات وما تجلبه من ألم، وشقاء للنفس البشرية بعد انتهاء لذتها. والنتيجـة ضياع للمشاعر وضياع للآمال ، يقول :

---

(١) ديوان الشاعر، ج٥، ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أجن بالعيش طوراً ثم أبغضه ما أضيع المرء بين اليأس والأمل

المبحث الثاني

البنية التركيبية

جسم القصيدة يتجسد في لغتها، وروحها تكمن في معانيها، فتشرق ألفاظ الشاعر لتلمح المعاني، وتدرك المرامي. وارتباط ألفاظ القصيدة معانيها ارتباط الروح بالجسد. يقول عنه ابن طباطبا : (قد قالت الحكماء أن الكلام الواحد جسداً وروحاً، فجسده النطق وروحه معناه، فواجب صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة، مقبولة .. فيحسه جسماً، ويحققه روحاً، أي يتقنه لفظاً ويبدعه معنى) [1].

ومن القضايا التي اتفق عليها القدماء والمحدثين أن لغة أية قصيدة يجب أن تتناسب وموضوعها يقول قدامه بن جعفر في قصيدة الغزل: (لما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة، والشكل والدماثة، كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة فإذا كانت قاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذا كان قد يحتاج إلى الخشونة في مواضع ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة كان أحق المواضع التي يكون

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا، ص ٢٠٣، أبي الحسن محمد بن أحمد العلوي، تحقيق: عبدالعزيز المانع، دار العلوم للطابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥٥م.

فيها عيباً الغزل لمنافرته تلك الأحوال) [1]. والمعنى أن توافق الألفاظ المعاني فإن كان فخراً فألفاظه قوية جزلة، وإن كان رثاءً فألفاظه رقيقة حزينة، وإن كان تشاؤماً فألفاظه السوداوية والشقاء، والدافع لكل الأغراض الشعرية انفعالات نفسية عاطفية، وتجارب شعورية كامنة (وحينما تعرض اللغة لتصوير هذه الانفعالات تصويراً صادقاً يلائم طبيعتها، كانت هذه اللغة موروثة حتماً لتكون عباراتها صدى لقوي العواطف، والانفعالات التي تؤديها، فهي ذات موسيقى قوية أو ضعيفة، خشنة أو رقيقة، ناعمة منسجمة أو مختلفة)[2]. فعندما تدقق النظر ، وتعمل العقل في بنية القصيدة الفنية إنما تريد من وراء ذلك دراسة التراكيب اللغوية، والأبنية النحوية التي تقودنا بدلالاتها إلى (البحث في أسرار القلوب والعقول الماثلة في أسرار الكيفيات والتراكيب، وأن المعنى الخفي الغامض والمستكن وراء هذا الحال من أحوال اللفظ أي هو تلك الاختلاجة الخفية والغامضة في باطن النفس)[3]. والذي نبحث عنه تلك الاختلاجات الخفية الغامضة المتدثرة خلف لغة قصيدة الشاعر عبدالرحمن شكري التشاؤمية فشكري شاعر وجداني المذهب لغته الشعرية غنائية ذاتية اتسمت بالإيجابية في

---

(١) نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ١٩١، تحقيق: د/ محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ط٨، ص ٧٤، مكتبة النهضة ، مصر ١٩٩٠م.

(٣) دلالات التركيب ، د/ محمد أبو موسى، ص ٢٥، مكتبة وهبة، مصر، عابدين، ط٢، ١٩٧٨م.

العلاقة بين أسلوب الشاعر، وبين تجربته الذاتية التي عانى منها نتيجة اهتمامه بالنفس الإنسانية، وسبر مكنوناتها، وتحمل آلامها، والإحساس المفعم بحالات بؤسها وشقائها، مما أدى بدوره إلى انطباع أسلوبه التعبيري باليأس والشؤم، وفي ذلك قال رودزرث: (إن الشاعر ليشعر ويفكر بروح العواطف البشرية فكيف إذن يجوز أن يختلف أسلوبه اختلافاً جوهرياً عن اللغة التي يتحدث الناس جميعاً وأريد بهم من يشعرون في قوة ويرون في وضوح)[1].

★ الضمائر :

يُعبر الشاعر بضمير الأنا ليخبرنا به عن خديعته الكبرى في الحياة يقول :

إني ولعت بعيش كله خدع	كما برمت بعيش غير مقتبل
ما من مجير على هذا الملال سوى	موت يبعد بين النفس والعلل[2]

بل ويرسل خبره مؤكداً على أن الحياة تظهر له خلاف ما تبطن، وإلحاقها المكروه به من حيث لا يعلم، ورغم حبه الشديد لها، لكنه سئم ذاك العيش وضجر منه وقد بدأ البيت الثاني بنفي يليه جار ومجرور ليفيد معنى خاصاً في الجملة، فالشاعر ينفي وجود أي مجيربل وكل مجير ينقذه من هذا الملل باستثناء شيء واحد هو الموت الذي يستطيع أن يكفيه علل الحياة، ولكن هيهات أن يتوقف ذلك الملل يقول:

---

(١) نقلاً عن عبدالرحمن شكري، شاعراً عبدالفتاح عبدالمحسن الشطي، ص٢٤٧.

(٢) ديوان الشاعر، ج١، ص ١٦١.

أعاتب دهري أو تهون خطوبه وأعذل حالي والدموع تثيبه

سأندب حظي والأماني شوارد كأني سقيم قد جفاه طبيبه[1]

يحمل خطابه معنى استمرارية المعاناة الذاتية بفعلي أعاتب وأعذل الدالين على حاله ، وأنه مستمر في العتاب وإهدار الدموع إلى أن يتوقف الدهر أو يقلل من مصائبه المتلاحقة كما أن ضمير المتكلم يحمل دلالة خفية على توجيه اللوم والعتاب إلى المتكلم، وفي العطف دلالة على تلك الشركة الخفية في الأمر، فربما كان لضعف حيلته دور في تلك الاستمرارية ويؤكد المعنى في البيت الثاني بفعل مستقبل له دلالة على استمرار المعاناة في مراحل العمر المقبلة وأنه سوف يبكي الحظ والأماني لأنها بعيدة التحقق فتلك الحالة جعلته يشبه حالة المريض الذي طال مرضه، وقد هجره الطبيب المداوي .

ولغة الشاعر تبرز معاناة الأنا، يائسة قلقة متصلة اتصالاً مباشراً بموضوعات القصائد التي تعتمد على معاناة النفس إزاء خطوب الحياة ونوازلها ولأن (شكري) شاعر مفكر متأمل ينظر بعين فاحصة فلابد له أن يُستقطب من قضايا مجتمعه، وأن تختلط تلك القضايا بروحه ، فيتمخض عن ذلك رسائل تدلل على موقف واحد الأنا وعندما يندمج في الجماعة، فيتحدث بضمير النحن عن أخوة العداوة يقول:

إنما نحن أخوة جعلتنا نزعات القلوب كالأضداد

(١) ديوان الشاعر، ج١، ص ٥٧.

إنــــما نحـــن أخـــوة تركتنـــا | وقعـــات الأحقـــاد كالأحقـــاد
إنــــما نحـــن أخـــوة جعلتنـــا | حمـــة الـــبغض طعمـــه للأعـــادي
قد أقمنـــا على التخاذل دهــــراً | فـــدهانا بسيلـــه كل وادي [1]

والبنية التركيبية للأبيات تعتمد على أسلوبي القصر والتكرار الذين يؤكـدان المأساة المطروحة ، والأخوة المنكوبة ، فنحن أخوة أبناء أمة واحدة نتـاج مجتمـع واحد تجمعنا صلة رحم وقربى،وإن ظن الشاهد أو السامع عكس ذلـك نظـراً لدلائل العداوة الناتجة عن أحقاد القلوب ، وضـعف العـزائم والهمـم ،وتـدلل (المشاهد على أن حالة النحن قد تتصدع فينتج خلاف عميق بين الشاعر، وأفراد الجماعة التي يتكامل معها وعندئذ يتحول الموقف إلى الأنا والآخـرين بـدلاً مـن نحن) [2].

وهنا تبدأ محاولات الشاعر لرأب الصدع في حالة النحن الذي أحدثـه هـذا الاختلال، ورسالة الشاعر في قصيدته التالية تعـبر عـن نعـيم الأغبيـاء وشـقاء الأذكياء وأي حال يستوجب اللوم والحزن يقول :

يـنعم الغافـل الغبـي ويشـقى | عاتـــب ســـاءه وقـــوع القضـــاء
أيهـا اللائمـون في الحـزن مهـلاً | غافـــل القلـــب ميـــت الأحيـــاء

(١) ديوان الشاعر، ص ٢، ص ١٧٣.

(٢) الخطيئـة والتفكـير، د. عبـدالله محمـد الغـذامي، ط١، ١٩٨٥/ ١٤٠٥، ص ١٤٥، نـادي الأدبي المملكة العربية السعودية ، " بتصرف ".

مـا بكينـا مـن الشـقاء ولكــ ـــنا بكينــا مــن ذلنــا للقضــاء
ضرب الأمن والسلام عليكـــم وعلينـــا عرفان وقع البـــلاء[١]

فأسلوب المقابلة يتصدر البيت الشعري، ويوضح المعنى المقلـوب فالغافـل منعم والواعي ، وتدلل الواو على ضـدية المعـاني ومغايرتهـا، كـما ينبـه الشـاعر اللائمين لحزنه إلى أنه ليس هو المستحق لهذا اللوم؛ بل هوغافـل القلـب ، لأنـه ميت الأحياء. وعطف ميت الأحياء على غافل القلب بدون الواو دلالة على أنهما تماثلا صفة واحدة . ثم ينفي الشاعر بكاء الـنحن لتحمـل الشـقاء ،و إنـما هـو البكاء لقلة الحيلةوذل ّ الهامة تجاه القضاء. ورسائل الشاعر تتضمن معاني مختلفة راغبة في إصلاح الخلل إذ يقول :

لقد عابني الناس أن عفت لـؤمهم ومـن لم يسـغه فهـو أجنـب بـائن
فيـا عائبـاً نفسي ـ بقولـة كاذبـاً وما عاب نفساً جـائر القـول مـائن
وكيف يطيب العيش للمرء وحده ومن حوله في النـاس بـاك وحـائن
يضير شقاء الخلق من حيث لا يُرى كما تطرق العـدوى وإن قيـل آمـن
لحّت صدور العجم تضمر بغضتي فقـد شـاكلتها في الأنـام القـرائن
سخائم لا يدري سوى الموت سلها إذ بشـمت منهـا النفـوس البـوائن
وقد يعجب الإنسان من غل ّ غـيره وقد عمرت في الصدور منها البواطن
كل امرئ فينا حسـود محسَّ ـــد ولكن على قـدر النفوس التبايـــن[٢]

---

(١) ديوان الشاعر، ج٢، ص١١٠.

التبايــن[1]

فالخل يبدأ من المجموع "هم" ويعني به الناس فإذا كان اللؤم صفة مكروهة فيهم،فإذا عفها شريف النفس منهم، فهو الفاسد الخارج عن الجماعـة وجـاءت عائباً نكرة دلالة على تحقير حال العائب من القوم ورغم فعله الشـائن إلا أنـه لا يضر ولا يعيب من كان أصله النقاء ، ثم يناجي نفسه كيف يطيب له العيش وفي الناس حوله محروم وباك، ثم يعود الشاعر ليتحدث عـن الإنسـان ، وقـد يعنـي نفسه أوغيره ، فالغلّ والحسد صفتان تعمر بها السرـائر والسرـ في هـذا التبـاين احتواء كل منا على قدر من صلاح النفس وفسادها .

وتنوع الضمائر في أبيات شاعرنا يمثل مضامين شعرية مختلفـة، والضـمير في هذه الحالة أداة تنبيه تحمل رسالة شعورية تـوحي في التجربـة التاليـة بالعظمـة، والرهبة،وهو يتحدث عن الليل، فيتخيل الشاعر صوت الليل إنسانا ويحدثـه ويحادثنـا بضمير الحاضر الغائب إذ يقول :

فصوت الليل من صوت الضـمير	مهيــب القــول كالهــادي النــذير
يـئن صــداه في صــمم الضــلوع	ويكسو الـنفس ثوبـاً مـن خشـوع
فكم ناجيت سرّك في الظــلام	وداء النــوم يســري في الأنـام[2]

الأنـام[2]

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص ٤٧٠.

(٢) ديوان الشاعر ، ج ٢، ص ١١٨.

وجاء الشاعر بكلمة الصوت معرفة بالإضافة لتعظيم الليل وكذا بالنسبة إلى صوت الضمير، فالليل والضمير لهما صوت واحد صفته الهيبة ؟ وأداة الاستفهام كم تدل على كثرة مناجاة الشاعر لأسرار الليل و الناس نيام، ليبثه آلامه وأحزانه التي يعانيها من تغير أحوال الناس .

ثم يتابع بقول:

خلسنا منـــك أســرارا ... فأنـــت اليـــم تعمره المعاني

"فخلسنا " بضمير الجمع توحي بأن هناك غير الشاعر من يشاركونه آلامـه ويتعذبون مما يرون من تلون وتحول في صفات البشر وأحوالهم، وتدل من ناحية أخرى على كثرة ما يحمله الليل من معاني لوتدبر الانسان في كنه الليل وحقيقته و لاستطاع أن يخرج با لكثير فهو كالبحر الزاخر المملوء بالمعاني التي تفيض.

٭ النداء :

والنداء من الأساليب الإنشائية التي ظهرت في أسلوب الشاعر معـبرة عـن أحوال النفس، وانفعالاتها، ولم يستخدم النداء تجاه الحي العاقـل الـذي يقـع في حيزه كما هو المعتاد، إنما كان مراده من استخدام أدوات النداء (أيا ويا وهيـا) أن تكون نقاط ارتكاز تبرز إحساسه المفعـم ، وشـدة انفعالـه تجـاه معانـاة الـنفس وعلاتها وقد نادى الحياة، والنفس، والريح، والروح، وأرواح المـوتى، والقلـب رامزاً إليه بالقبر وقد مثلت مواقف النداء صرخة ألم، وتوجع صدرت عن قلـب الشاعر وروحه المتألمة، متمثلة معاني مختلفة

وقد كان القبر رمزاً لقلب شكري ذي المشاعر الغائرة الدفينة الذي قاسى

الهموم وتحمل الآلام ونداؤه يتكرر للقلبعلى الشعر يهون عليه كرباته يقول:

يا قبر هذا الشعر فوقـك حليـــة   والزهر في قبر الأحبة ينثـــر[1]

فهل أصبح قلب الشاعر بعيدا عنه لا يشعر بمشاعره ولا يتحرك لألم إحساسه ؟هل أصبح كالقبر يدفن فيه ما مات من عواطف ومشاعر ؟

إنه ينبه القلب بأنه كالقبر ،وكما يزان القبر بالورد والأزهار ،فالشاعر يزينه بقصائده التي تعبر عن عظيم ألمه وجليل مصابه وقد أكد هذا المعنى بصورة أخرى يقول:

يا قـــبر أنت قـــرارة أرمي بها   ما لا أطيـــق من الهموم فتغمر[2]

فتغمر[2]

فالقبر رمز القلب وعنده يتساويان في المهام، الظلمة السرية والعمق لما يحويان وفي هذا تفريج لكرب الشاعر ومعاناته.

ونداء الموت من أهم نداءات الشاعر إذ أنه يُعد من الشعراء الذين فزعوا منه ثم ارتاح بالارتماء في أحضانه فكان نداء الموت كما يلي :

فيا مـوت أقبـل باسـط الوجـه طلقـه

فإن حميم الصحب ما كنـت لاقيـــا[3]

(١) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٢٤.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج٧، ص ٥٤٢.

جاء النداء متلواً بفعل الأمر حتى يكون التنفيذ أمـراً واجبـا، وكـان النـداء ترحيب، وبسط، وبهجة، يستقبل به الموت كما يستقبل أعز الأصـحاب. ومجـيء المسند باسط على هيئة اسم دلالة على ثبـات تلـك الهيئـة، وصـيرورتها الدائمـة الثابتة للموت، وتعريف المسند إليه دلالة عـلى اختصـاص وجـه المـوت بتلـك الصفة، وقد تقرب الشاعر إلى الموت منادياً إياه بأجل ّ النعوت التي تتضمن رؤيا الشاعر للموت من وجهة فلسفية تشاؤمية إذ أنه معبد نقدم فيـه عبادتنـا، وهـو منصف المظلوم، والطبيب المداوي للجروح وهو السـتر المنيـع الـذي لا تخترقـه الهموم ولا تهمه اللذات يقول:

أيـا معبـداً قربانـنـا فيــه عيشــنا

أيـا منصـف المظلـوم مـن كـل ظـالم

يــا مبرئـــاً كلــم الحيـــاة بطبــه

ستر لم يصدعــك همّ ولوعـــــة

ثم يناديه أن يرحمه ويحن عليه كما ترحم الأم الحنون طفلها وتحن عليه يقول :

فيا موت يا أما أطالـت تصامـمـاً   أما لـك قلب يرأم الوالد حانيا(١)

حانيا(١)

---

(١) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٤٢.

وأسلوب الشاعر هنا ذو طابع استعطاف يوضح حاجة الشاعر إلى منقذ يرى فيه القضاء على أسباب تعاسته وشقائه.

٭ الاستفهام :

والاستفهام من عناصر البنية التركيبية في الجملة الشعرية لدى شكري وهـو باب نطرقه لنتعرف من خلاله على فكر الشاعر الفلسفي التشـاؤمي في قصـائده التي جاء فيها هذا الأسلوب فالاستفهام طلب تصـور الأمـور وإدراك أحوالها وهذا باب الشك الذي يقود إلى اليقين كما يقول الشاعر :

الشك أول مــنزل العرفــــان إن اليقــين هو المكــــان الثاني[(١)]

وأساليب شكري متعددة في الاستفهام ،فقد تبحث عن جـواب، أو تطـرح السؤال والجواب،ويكون الاستفهام تقريريا، وتكاد لا تخلو قصيدة عنده لديـه من هذا الأسلوب. ومن هذا قول الشاعر:

أ ألقى الموت ولم أنبه بشعــــري ولم يعلـم سواد الناس أمـــــري[(٢)]
أمــــري[(٢)]

فالاستفهام إنكاري ،حيث ينكر الشاعر أن يلاقى الموت دون أن يذاع اسمه أو ينتشر خبره ، وهو جدير بتلك الشهرة وذيوع الصيت لما يمتاز بـه شـعره مـن

---

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص٤٩٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ٢٣٤.

روعة وجمال وحسن تعبير ثم يواصل الشاعر تساؤلاته ليخفف بها من آلامه، يقول :

فمن للقلب يطربه بلحن ... يحن إليه من نظم ونثر [1]

فالاستفهام خرج إلى التمني أن يجد الشاعر وسيلة يخفف بها هموم قلبه وآلامه ، وما الذي يطرب قلب الشاعر إلا ما يعشقه من أدب سواء كان قصيدة أو نثراً ثم انظر كيف يعبر الشاعر عن موقفه مما يتعرض له في حياته يقول :

حياتي أما للنحس حدٌ ولا مدى ... فإني كرهت العيش في أول الصبا [2]

فالاستفهام هنا إنكاري فالشاعر ينكر أن تكون حياته على ما أصبحت عليه،وما أدى به لكراهيتها وهو في "أول الصبا"تلك المرحلة التي تكون فيها النفس مفعمة ،ومقبلة على الحياة

وفي نفس المعنى يقول:

إلى م حياتي أذرف الدمع حسرة
حتى متى أبلو نفوساً ضئيلة

حتى متي يبغون ضري وشقوتي ... ومالي لو خحزانيرت في الناس من عدى

(١) ديوان الشاعر، الصفحة نفسها.

(٢) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٠٥.

إذا كان في نحس الفتى شــرفاً لـه فـما لم أشبع مـن المجــد والعـلى [1]

فتساؤلات الشاعر انكارية،فهو ينكر على دهره أن يوالى عليه مصائبه وآلامه التي تتسبب في استمرار توالي دموعه وأحزانه ثم إذا كان هذا حال الدهر قد

أصابه بالنحس وتوالي المصائب، وفي هذا دليل عـلى التميـز،والوصـول إلى قمـة الشرف والمجد فلماذا لم يزهد فيه بعد أن حقق المركز الأول وأصـاب قمتـه؟وفي هذا تهكم بفعل الدهر لتوالى نوازله وكوارثه ،و ينتقل الشاعر بتساؤلاته إلى باب آخر يطلب فيه بيان حكمه تضيف للمتذوق المتأمل في بحر تساؤلاته طعماً جديداً من المعاني يقول :

وكم من جموع ليس تعدل واحداً فإن ظلام الجهل في الناس كالعمى
أليس الحجى والحق لغزاً ومجهلاً فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى [2]
فالتســاؤل يفيــد تقريــر أمــر رآه بــد أباقــا مـــن ق ذاك البقـــاء
أنت تقري الأنام من دمعك الغـر ر شـــأبيب عـــاجزات الســخاء
أنت تبكـــي مما يعالجه النـــاس وتأســـى لبادرات البـــلاء [3]

فالتساؤل يفيد تقرير أمر رآه الشاعر الفيلسوف ، ولمس حكته الأقـوام عـلى

(١) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٠٥.

(٢) ديوان الشاعر، ج٥، ص٤٠٧.

(٣) السابق، ج٢، ص١١٠.

كثرة عددهم أصابهم الجهل ، فأعمى أبصارهم عمى يشبه كف البصر ، حيث تظلم دنيا العقل ودنيا البصر ، ودخول الهمزة على الفعل الناقص أفاد اثبات أن العقل والحق طريقان للسعادة والهداية ، لكن الأوضاع السائدة جول الشاعر قلبت المفاهيم وجعلت من ذلك الاثبات أمرا يدعو إلى الشك.

* التمني :

ورغم كل تلك القيود إلا أن أحلام شكري، وأمانيه ظلت ترافقه وتأخذ حيزاً كبيراً من أحاسيسه رغم تكسر معظمها فوق صخور الواقع. فهو لم يعد يرقب الآمال بقوله :

لا أرقب الآمال إلا تعللاً   لعل الذي يعدو المرء يصيبه [1]
(١)

فمراقبة الآمال أصبحت لديه مصدراً للترويح عن النفس، ومهرباً من كرب الحياة، لعل المنى التي أخطأته مرات ربما تصيبه مرة أخرى . والتمنى طلب الحصول على شي غير متوقع حدوثه، ويختلف عن الرجاء الذي يُعمد إليه في الأمور المتوقع حدوثها. . يقول :

---

(١) السابق، ج١، ص٥٧.

ليت لي نظـرة إلى الزمـــن الآ تي البعيد الخطا الغريب الحال [(١)]

لماذا هذه الأمنية المستحيلة التحقق أن يخترق الغيب، وأن يملك صفة كشف المستقبل يجيب شاعرنا إن تحقق هذه الأمنية سوف يريح فؤاده ويقول :

يريح الفؤاد مما يعـاني الطـر ف ولؤم هــذه الأحــوال [(٢)]

فالحال شقاء، والتعاسة تعم الأفئدة، فلعل في كشف القادم ما يريح الخـاطر حين يرى خبراً يطرب له الفؤاد . وقد يرفض الأماني المحقق وقوعها لا لشيء إلا أنه بتحققها قد يعيش عيشة لا يرضاها ولا يألفها أمثاله، وفي هذا الرفض معاناة تصيب أمثاله من العقلاء الحكماء، ويقول :

لو منينا بعيشكـم ما رضينـا ضاحـك القلب جاهل بالبقـاء [(٣)]

(٣)

فالجهل بأمور البقاء شقوة، وضر بالقلب، وإن كانت السعادة تسكن تلـك القلوب الجاهلة فهو لا يتمناها أو يرغب في تحققها. وقد يعلـل نفسـه برجـاء في الدهر إذ يقول :

لعل الذي أرجو من الدهر واقع فقد كان ما قد كنـت دهـراً أحـاذر

---

(١) السابق، ج٢، ص١٦٨.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج٢، ص ١١١.

عسى أن يعود العيش جمـــا جماله ففي الروض فينان وفي الأفق زاهـــر [1]

(١)

رجاء متوقع التحقق، وأماني متفاءلة ترغب في تبدل الحياة أو عـودة الجـمال ففي الأفق سعة وآمال زاهية. وهو يشعر بقدرته على تحقيق الخير إذ يتمنى بقوله :

يا ليت نفسي ريح لفـح لافحهـا يطهـــر الكـــون مـــن شر وأشرار

وتنثر الخــير نثر البذر يحملـه نسم الريـــاح على زهرٍ وأثمـــار [2]

وأثمـــار (٢)

فيتمنى الشاعر أن تكون نفسه ريحطهر الكون بما لديها مـن قـوة تغـيرّ معالم الأرض فتغير الشر إلي الخير وتمحو آثاره، بل وتنثر بذور الخـير كـما تفعـل الريح ببذور النبات ، فالكون كله بيت للشاعر يعبر عن حبه العظيم للكون فكل ما تهفو إليه نفسه وتطلب يجد فيه راحته ، يقول :

يت لي فيك نفسـاً حرة أبـــداً الكـــون بيتي وما أهفو به داري

لكنه يعلم أن آماله لن تتحقق وإنما هي صدى صيحات تتردد يقول :

هيهات مالك فيما شئت منطـلـق تجـــري الرياح بأحكام ومقدار [3]

---

(١) السابق، ج٣، ص ٢١٤.

(٢) ديوان الشاعر، ج٦، ص٤٠١.

ومقدار(١)

ويطلب ان لشاعر من الدهر أن يرفق به ويحن لحاله ويمسك عنه نوازلـه، ولكن أنى له ذلك، فيقول :

آلا ليت للأقدار قلباً وفطنـــة أيرحمنـــا من لا يساء ويجذل (٢)

ولكن لما بلغ اليأس بالشاعر من أن يرق القدر لحاله ، يتمنى ما هو مستحيل، ولكنه تمني أن ينفس به عما في نفسه حين يتمنى وجود الدهر رجلا يقتله ،فيريح ويستريح، يقول:

لو كان هذا الحتم قرناً قتلتـــه فأمرته حمل على النفس يثقـــل (٣)

يثقـــل (٣)

ولم يكتف الشاعر بتمني المستحيل حين تمنى قتل الـدهر لـيريح نفسه مـن عنائها، ولكنه يطلب من قلبه أن تكون في صدره كا لميت فلا يشعر بآلام الحيـاة ونوازلها،ثم يتمنى مستحيلا آخر بأن يأتي الموت للإنسان الـذي لا يبغـي الحيـاة ،فيريحه من ألمه، يقول :

يا قلب كن في الصدر كالميت واسـترح كفى مرير العيش يـا قلـب مـا مضى

فيا ليت أن المرء إمّا دعا الـــردى أتاه فلا نحـس ٌ يروع ولا أســـى (٤)

(٤)

---

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص٤٠١.

(٢) السابق، ج٦، ص٤٥٧.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) السابق، ج٥، ص٤٠٦.

وأمانيه للخلاص من هذا العيش متعددة الألوان والأشكال يقول فيها :

لو كان لي حيلة أفني بها مللي من الحياة لما قصرت الحيل [(١)]

أو أن يكون كزهر صيف لا يأتي عليه شتاء فيذبل ويفنى فيقول:

يا ليتني كالزهر صيف حياته فأفنى ولم يعنى على شتائيا [(٢)]

وعلى الرغم من تلك السوداوية الحالكة التي يعيش فيها ،إلا أن هناك طاقة نـور تشرق عـلى نفسه فتضـئ لها الطريـق،فالأمـل في الله وحـده بـأن يرسل عليه فيضا من سكينة ،تهدأ بها روحه وتستقر نفسه،يقول:

عسـى أن يتيح الله صبراً يحوطني فتهـدأ أضلاعي وترقأ أدمعـي [(٣)]

* القصر :

والقصر من الأساليب المعبرة عن معاني، ومضامين نفسية بطريقة متقنة إذ هو تخصيص الشيء بالشيء، ويكون إما تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف وهو من الأساليب التي لايكثر استعمالها في شعر الشاعر لكنها تأتي في بعض أبيات قصائده لتدلل على معاني تشاؤمية منها ما جاء في قول الشاعر :

وما الدهر إلا البحر والمـوت عاصف عليـه وأعمال الأنام سفـين [(٤)]

---

(١) ديوان الشاعر، ج٢، ص١٦١.

(٢) ديوان الشاعر، ج٧، ص٥٤٤.

(٣) ديوان الشاعر، ج٣، ص٢٢١.

(١)

وهذا من قصر موصوف على صفة ، فالدهر كالبحر في اتساعه أو عمقـه، وجـيء بكلمة عاصف على هيئة اسم الدلالة على دوام حـال هـذا البحـر فهـو دائـم في حالـة هياج، وثورة تأخذ الأعمار ، أو تعصف بالأنام، وله معنى آخر يرمى إليه بقوله :

وما العيش إلا الذئـب ترمي نيوبـه وللعيـش ناب قاتل وأظافـر (٢)

(٢)

فلم يعد من العيش إلا دموية الـذئب ووحشيته، فكأن للعيش أنياب وأظافر، ممثلة في أقداره وصروفه القاهرة، وانتفاء كل صفة للعيش دون ذلك دليلا على التشاؤمية التي تظلل رؤيا الشاعر، وتجعله يرسل مثل تلك الأراء إذ يقول :

ليست حياة المرء إلا كنفخة سل المـوت عنها والسنين السوافيا (٣)

(٣)

(١) السابق، ج٣، ص ٢١٢.
(٢) السابق، ج٣، ص ٢١٣.
(٣) السابق، ج٧، ص ٥٤٣.

فهو يرى حياة الإنسان بكل ما فيها من مراحل، وأحداث سعيدة ومريرة كشعلة شمعة تنطفي بنفخة واحدة من الموت، ويصير أخرها فناء. وشكري يستخدم العنصر الادعائي في كل ما سبق وليس التحقيقي، فإن مضمون القصد في تلك الأبيات السابقة (لا يطابق الواقع الخارجي وإن كان مطابقاً لحسّ القائل ودوافعه النفسية) [1]، فإحساس شكري بالحياة يتمثل في تلك المعاني والصور وهذا ما يسمى قصر ادعائي (وليس القصر الادعائي من باب الكذب ما دام يقوم على المطابقة النفسية وإنما هو كلام عليه وشاح من الانفعال، وقوة الشعور، وعمق الإحساس بحقيقة من الحقائق) [2]، والذي يدلل على صدق ذلك، أن الانفعال هو الباعث خلف تصوره لتلك الحقائق .

وبالإضافة لما سبق اعتمد أسلوب الشاعر على جواب يفهم من سؤال، أو قد تجيء (عدة جمل تجيب عن حال فرضته الجملة الأولى، فيتوالد الكلام، وتتناسل الجمل) [3] مثل قوله:

فلا تنخدع بالناس عني فإنهم	كلاب ترى أن العواء يزيد
أعز صديق في الخفاء يكيدني	وأصدق صحبي في الوداد يمين [4]

(٤)

---

(١) دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص ٤٧

(٢) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٣) بتصرف دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص٣١٢.

(٤) ديوان الشاعر، ج٣، ص ٢١٢.

ففي البيت الأول نهى الشاعر عن الانخداع بالناس ووصفهم بالكلاب التي تعوى ، ثم جاء البيت الثاني إجابة لسؤال أثير في نفس القارئ لماذا ؟ لأن أعز صديق قد دبّر له وأصدق صاحب كذب عليه!

وفي النهاية فقد حاول البحث تسليط الضوء بالقدر المستطاع على أهم عناصر البناء التركيبي للقصيد التشاؤمي لدى الشاعر، وقد حاولت أن أبحث عن العلاقة بين اعتماد لغة الشاعر على أساليب البناء التركيبي للجملة وبين دلالات الشاعر النفسية والفكرية، ولم يكن القصد حصر الأساليب بقدر ما هو استنتاج لتلك العلاقة وإشاراتها إلى سوداوية الفكر وتشاؤمية النفس لدى الشاعر، ولن تكتمل الصورة، ويتكون الرأي حتى تحلل البنية التصويرية والإيقاعية في قصيدة عبدالرحمن شكري التشاؤمية.

المبحث الثالث

البنية التصويرية

للصورة الفنية أهمية لـدى قـدماء النقـاد ، ولكنهـا لم تكـن بهـذا الوضـوح والتقنين الذي وجد في حاضر النقد الحديث فقد عُرفت الصـورة لغويـاً بأنهـا « الصورة ِ في الشكل والجمع صُوّر وصور ّ ، وقد صوره فتصور ، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي ، والتصاوير التماثيل »[1] .

وصورة الشيء ماهيته المجردة ، وخياله في الذهن أو العقل[2] .

وقد توصل العالم البلاغي عبد القاهر الجرجاني إلى مفهوم الصورة فقال : « الصورة إنما هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا »[3].

كما أن الجاحظ قد جعل الشعر فنا من فنون التصوير بقولـه : « إنـما الشـعر صناعة جنس مـن التصـوير »[4] . ومـا التصـوير إلا احـد « الطـرق إلى المعـاني المحتجبة في الأشياء حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام »[5] . والذي

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٨ ، ص ٣٠٤ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦ م . مادة (صورة) ط ٤ ، ٢٠٠٥ .

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في مصر ، المكتبة العلمية ، مادة (صور) .

(٣) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود شاكر ص ٥٠٨ .

(٤) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، ج٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد محمد أبو موسى ص ٤٠٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨ م .

يعطي الصورة تميزاً صلتها بالحسية التي تنبثق من خلال الرؤية الشاعرية للمحيط الذي يعيشه الشاعر فينقل من خلاله مشاعره وأفكاره ونظراته تجاه مواضيع ذلك الواقع ومن هنا تكون الصورة وسيلة « ينقل بها الكاتب أفكاره ويصبغ بها خياله ، فيما يسوق من عبارات وجمل »[1] . بأسلوب يكون فيه « مجال ظهور شخصية الكاتب وفيه يتجلى طابعه الخاص »[2] .

ومن المفاهيم حول الصور الفنية مفهوم د/ إحسان عباس الذي يقول:أنها « تعبير عن نفسية الشاعر وأنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام ، ودراستها مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري »[3] .

فالبحث عن المعاني الخفية والصلات المنعقدة من أسباب دراسة بنية الصورة في قصيد شاعرنا ،و الصورة لدى شكري متعددة المزايا :

١ – ازدواجية المشاعر تجاه الحياة والموت ، ومعاني الجمال والقبح في الكون .

٢ – التشاؤمية التي مالت إليها شخصيته في مرحلة من مراحل العمر .

٣ – ثقافته الفكرية التأملية الفلسفية وتأثرها بالمذهب الرومانسي .

٤ – الطبيعة وصلته بكائناتها .

---

(١) الأدب المقارن ص ٢٢٦ ، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة .

(٢) الأدب المقارن ، غنيمي هلال ص ٢٢٦ ، نهضة مصر للطباعة .

(٣) فن الشعر ، إحسان عباس ، ص ٥٣٨ .

ومن أهم موضـوعاته الشـعرية ذات الشـاعر، والعلاقـات الاجتماعيـة ،وشـقاء الوجدان، والرهبة من الموت.

١ – الصور البيانية.

أ) التشبيه :

مثلت الذات الإنسانية ركناً أساسياً في صور الشاعر طاف حولها بفن التشبيه فكان من أكثر عناصر البيان التي تغنّى بها شكري وخاض في بحورها فالتشـبيه لغة : التمثيل[١] . وهو « الوصف بأن أحد الموضوعين ينوب عـن الآخـر بـأداة التشبيه ناب التشبيه منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر وسـائر الكـلام بغـير أداة التشبيه »[٢] . وقد رأى العالم عبد القـاهر الجرجـاني أن وظيفـة التشـبيه تتعـدى المماثلة والمبالغة بل أن « الصـور تتـداخل وتتركـب وتـأتلف ائـتلاف الشـكلين يصيران إلى شكل ثالث »[٣] . والشاعر عبد الرحمن شكري يطمح أن يكون هذا الشكل الثالث قريبا إلى عالم العقل والنفس الإنسانية إذ أن أهمية التشبيه تكمن في قدرته على « إثارة الذكر أو الأمل أو إثارة عاطفة من عواطف الـنفس، وإظهـار

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (شبه) ج٨ ص ١٧ .

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال العسكري ص ٢٤٥ ، دار الفكر العربي ، تحقيق علي البجاوي ، محمد إبراهيم ، ط٢ .

(٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ص ١٩٤ .

حقيقة معينة ، ونرى من شعر شكري أن التشبيه لابد أن يبين التماثل في العلاقة بين الشيء الموصوف وبين النفس البشرية وعقل الإنسان ولديه متى يستحق المشبه بالوصف كلما قربت علاقته من العقل والنفس »(١) يقول الشاعر(٢) :

وكأن وجيع الحزن حلم إذا مضى وذكرى دموع الباكين غمام
وإن شقيت بالعيش نفس كليلة فللرمد من لون المنون جمام

فوجيع الألم والحزن كالحلم الذي يمر عليه سريعاوأما ذكرى عيون الباكين فمثل الغمام الذي يحجب ويستر خلفه فكأن تلك الذكرى بدموعها قد حجبت خلفها مشاعر الألم والحزن ومظاهر التشاؤم التي انتابت الشاعر.

ثم لننظر إلى تلك الصورة التي توضح رأي الشاعر في سعى الإنسان في الحياة نحو تحقيق أهدافه وطموحه،يقول(٣) :

وليست مساعي المرء إلا جنازة تخب به نحو الردى وتسير

وقد نلحظ في هذه الصورة التشبيهية ملامح التشاؤمية إذ أن كفاح المرء وجهاده وثمرة مساعيه ما هي إلا جنازة تعبر به إلى طريق الهلاك والفناء ، فالموت مكافأة السعي والردى ثمرة الجهاد .

والملاحظ أن وجه الشبه في معظم الأبيات التشبيهية منتزعا من متعدد وقد

---

(١) مقدمة ديوان الشاعر ج٥ بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج٤ ص ٣٩٠ .

(٣) ديوان الشارع ج٤ ص ٣٠٤ .

أجمع علماء البلاغة على أن التمثيل ما كان وجه الشبه منتزعاً من متعدد[1] . مثـل مثل قول الشاعر حين يصف روح السوء بقوله[2] :

يـا سـوأة مـا مثلهـا مـن سـوأة   مابــك مـــن حقـــد وأوغـــام
يـا ســوأة كالــدهر في وســعه   تنمـــو بمـــر العـــام والعـــام

فوجه الشبه منتزع من متعدد إذ أن هذه الروح السيئة بل الخبيثة تشبه الدهر الذي لا نهاية له ، وليس ذلك فحسب إنما هي تزداد نمواً وتساعاً وقدماً في نشر آثامها وسوادها على وجه الأرض وقد ذكر البلاغيون أن التشـبيه التمثـيلي يـأتي على وجهين الأول التمثيل الحسي وهو المنتزع مـن ظـواهر الكـون التـي تبصرـ وتسمع ومن ذلك قول الشاعر[3] :

يا ريح مالك في الخلـق موحشـة   مثـل الغريـب غريـب الأهـل

فاليح تجوب الديار في وحشة ووحدة يجسدّها الشاعر ويرغب التعبير عنهـا فشبهها باحساس الإنسان بالوحدة والوحشة وهو غريب عن الديار والأهـل « وكلما كانت الصورة التي رسمها الأديب موجزة وواضحة ، كان تأثيرهـا أسرع في نفس المتلقي وسنلاحظ هـذا التـأثير الناشـئ عـن الصـورة ذات التفاصيل

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ص ٢٣٤ ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٥ م .

(٢) ديوان الشارع ج٤ ص ٣٥٢ .

(٣) ديوان الشارع ج٥ ص ٤٠١ .

العديدة في الطرفين أو أحدهما »[1] كما جاء في قول الشاعر :

يخلفنا الأحباب كروح هزه   شتاء يُعرى غصنه ودبور »[2]

فوجه الشبه طرفاه حسيان إذ أن حالة الحزن والذبول ، وفراغ القلوب التي تصيب الأحياء نتيجة فراقهم الأحباب تكون واضحة على نفوس البشر كذا حال الحديقة الغناء عندما يعتريها شتاء قارص بعد ربيع مزهر فتعرى أغصانها من كل ورق أخضر وزهر ملون ويصيب غرسها ذبول ودبور بعد زهاء وبهاء .

والوجه الثاني للتمثيل هو ما يكون وجه الشبه فيه عقلي تخيلي وربما وهمي كقول الشاعر[3] :

يا حسن ما تملى الخيالات إنها   حلى على جيد من الدهر أجرب

فوجه الشبه طرفاه عقليان منتزعان من متعدد حسن صنيع الخيالات الذي يشبه الهيئة الناتجة من الصورة المركبة والمتخيلة بما يركب على جيد الدهر المصاب بالجرب المقزز كإنسان يحلي جيدك المصاب بأنواع من الحلى والمجوهرات الثمينة ، فما فائدة تلك الزينة ؟لا شك سيذهب حسنها وجمالها نتيجة وجودها على هذا العنق الذي تشمئز منه النفس

---

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، د/ حسن البنداري ص ٩٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩ م ، بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج٤ ص ٣٠٤ .

(٣) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٢٩ .

ومن التشبيه التمثيلي قول الشاعر[1] :

سأندب حظي والأماني شوارد كأني سقيم قد جفاه طبيب

يصور شكري نفسه وهي تلهث سعياً خلف الأماني النادرة التحقيق البعيدة المنال و صورة جسم المريض العليل وهو في حاجة الطبيب لكن الطبيب شبيه الأماني جاف قاس وشديد البعد .

وإضافة إلى معاناة شكري الذاتية ، فقد فقَد ثقته في معظم الأصدقاء و أحجم عن ودّه أقرب الأخلاء يقول في ذلك[2] :

وقلبه جهنم الأحقاد وإن بدا فى الصمت كالجماد

تشبيه تمثيلي يصور قلب الصديق المنافق بنار جهنم الحارقة المملوءة بألوان الكراهية والبغض في حقيقته وهو في الظاهر يشبه الجماد بقدرته الفائقة على النفاق والخداع[3] .

وتشكل صور الشاعر الفنية مشاعر الوجد والحب الصوفي ، فتشارك روح المشاعر وعقلة تلك السوداوية التي أصابت قصيده لفترة من الزمن يقول[4] :

---

(١) ديوان الشاعر ج٤ ص ٣٩٠ .

(٢) السابق ج٧ ص ٥٦٠ .

(٣) ومثله قول الشاعر ج٤ ص ٣٤٠ :

كم ضاحك هو مثل الزهر مبسمه وفيه حتفك من سم وذيقان

(٤) السابق ج٣ ص ٢٣٠ .

أنتم كالزهر تمحو زهوه ... ريح سوء حملت جرثوم داء
إن حبي ريح سوء قتلت ... زهو قلبي من حياة ورجاء
فاحذروني واتقوني جهدكم ... إن في قلبي لكم عدوى شقاء

يشبه الشاعر الحبيب في رقته وعذوبته بالزهر المعرض للفناء ؛ لأن ريحاً شعواء تحمل الجراثيم والداء ستهجم تلك الأزهار وتقضي على بهجتها كما قضت على هناء قلبه وبهجته وربما كان القصد من الرمز بالريح ذلك الإحساس بالشؤم والنحس الملاصقين للشاعر فقد يصيبان كل من أحبه أو اقترب منه دون حرص أو حذر .

وقدعدّ التمثيل والإعجاب بالموت ظاهرة في شعر عبدالرحمن شكري قدّم عنه صور غريبة تارة ورحيمة ، ومألوفة تارة أخرى جاء منها في باب التشبيه قوله[1] :

الموت كالأسد العداء تلقمه ... لذائذ العيش تخشى من أنيابه
لا بل هو الظئر والأرواح في يده ... كالطفل في المهد لا تألوه إطراباً

والصورة السابقة تثير الإعجاب لأنها تعمل الذهن « فالمتعة الذهنية تتأتى للقارئ من إعمال فكره فيما يقرأ ، وتفهمه المستمر وربطه لما مضى بما هو آت »[2] فالشاعر يصور الموت في صورة تشبيه تمثيلي طرفاه معنوي حسي ، إذ يقرب

---

(١) ديوان الشاعر ج٦ ص ٤٥٠ .

(٢) الصورة الشعرية والبناء الشعري ، محمد حسن عبد الله ص ١٥١ ، دار المعارف ١٩٨١ م .

الصلات بين الشبيهان ويرسم صورة حسية تفصح عن نوعين من الأحاسيس : إحساس بقوة هذا الموت فهو كالأسد الجائع الـذي يهجـم ملـتقماً لذائـذ ومتـع الحياة ، وإحساس آخر برحمة هذا الموت وحنوه ، فهو كالمرضـع لتلـك الأرواح يخاف عليها ، ويرأف بحالها ، ولا يألو جهداً في رعايتهـا ، فـإذا أعملنـا الـذهن للتوصل إلى الحقيقة الحاصلة والمرجوة من تلك الصور الحسية المفعمة بالقسـوة والرحمة لمعنى الموت لأدركنا أن إحساس الشاعر وعاطفته المتضادة والمتقلبة بـين خوف واطمئنان تجاه الموت هي الدافع وراء ذلك الانفعـال الـذي أدى بخيـال الشاعر لإعادة إنتاج تلك الصورة ، وفي الصورة التالية يجد الشاعر لذة وحلاوة في استقبال الموت يقول(١) :

فيا مـوت أقبـل لا كإقبـال رائـع	مرير كطعـم العـيش ويـؤلم مـن حسـا
ولكـن كترنيـق النعـاس بمقلـة	طواهـا الكـرى أو مـثلما تفعـل الطـلا

فاستقبال الشاعر للموت هادئ حلو المذاق ، يداعب الـنفس والـروح كـما يفعل النعاس بالعين المستعدة للنوم فنفس الشاعر ترغب بمـوت يـداعبها لا أن يشقيها كما فعل العيش بها وقسا عليها .

والذي يحلل صور شكري الفنية ، ويـدرك خـافي مراميهـا يجـد فيـه شـاعراً مرهف الإحساس قد تم إدراكه للصورة مـن خـلال تـزاوج الحـس ّ والعقـل « فالفنان لا يدرك الحقيقة إدراكاً حسياً ولا يدركها إدراكاً عقلياً إنـما هـو يـدركها

(١) ديوان الشاعر ج٢ ص ٤٠٦ .

بصرية محسوسة فعنصر الحس " يحرك طاقة الخيال لدى الفنان ، وبعمل الخيال تدرك الحقيقة لا كموضوع ولا كفكرة ، وإنما يدركها مما صوره »[1] .

ب) الاستعارة :

الاستعارة أسلوب أعمق من درجة المشابهة ، لأنها عملية دمج بين المشبه والمشبه به دون ذكر المشبه به حتى يصيرا شيئاً واحداً فالاستعارة لغة : طلب العارية ، واستعارة الشيء ، واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه[2] . وقد عرف السكاكي الاستعارة بقوله : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به »[3] .

وفي اصطلاح البلاغيين استعمال كلمة بدل كلمة أخرى لعلاقة مشابهة موجود بين المعنى الأصلي الأول والمعنى الجديد الثاني ، مع توافر دليل أو قرينة تدل على هذا الاستعمال الجديد[4] .

وقد استخدم شكري الاستعارة بدرجاتها التشخيص والتجسيد وجاء فيها أنها « نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة مثال ذلك

---

(١) التركيب اللغوي للأدب ، لطفي عبد البديع ص ١٩٢ ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة عور ج ١٠ ص ٣٣٤ .

(٣) مفتاح العلوم أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ص ١٧٤٠ ، القاهرة ١٣٥٦ - ١٩٣٥ .

(٤) في البلاغة العربية (علم البيان) حسن البنداري ص ١١٦ .

الفضائل والرذائل المجسدة في المسرح الأخلاقي أو في القصص الرمزي الأدبي . ومثاله أيضاً مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع ويستجيب في الشعر والأساطير »[1] .

ومما جاء في تجسيد المعنويات إلى حسيات قول الشاعر[2] :

وجعلت الفراش مأوى همومي	فاستزادت من الظلام ظلاما
هو مورى الأشواق بعد جمود	وهو داء يهيض السقاما

جسّد من الفراش حضناً يأوي إليه ليفرغ به همومه ، وهو في هذه الصورة يدخل في حالة معنوية يشعر فيها بظلمة حالكة ظلمة الهموم مضافاً إليها ظلمة الليل ، وذلك الإحساس يولد لديه صورة استعار فيها خاصية الاشتعال لظلام الليل ، وكأن ذاك الظلام نار تشعل الهموم والأشواق فهي هموم حارقة تحرق الروح والجسد منه . وهو بتلك الصورة شبيه الداء العضال الذي يهيج الأمراض في الجسد ويجلب السقام للروح . كذا مما جاء في صور الشاعر التشخيصية معان تصور معاناته الذاتية بل وإحساس عناصر الطبيعة بتلك المعاناة ومشاركتها له فيها قوله[3] :

وما أحسب اليم الخضم بثائر	إذا كان هذا اليم يشقى ويألم

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ١٠٢ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة البيان ط٢ ، ١٩٨٤ م .

(٢) ديوان الشاعر ج٢ ص ١١٥ .

(٣) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٦٩ .

فالبحر يشاطر الشاعر آلامه وثورته فيصور منه شخصاً هائجاً ثائراً يملك أمواجاً طخبة عالية تهدر ألماً وشقاءً لألم الشاعر وثورته . ومما أبرز قيمة تلك الصورة الاستعارية بعدها عن الحقيقة إذ أن مشاعر الألم والثورة والشقاء خاصة ببني البشر ، ولكن الشاعر ذكر ما يناسب الإنسان وهو المستعار منه دون أن يذكر في التعبير لفظاً يدل عليه لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة ، أي دخول المشبه في جنس المشبه به والاتحاد به(١) .

كذا يشخص من الريح إنساناً يفشى الأسرار بقوله(٢) :

يا ريح رفقاً بقلب هجت لوعته　　　يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري

في الصورة استعارة خلابة استطاع فيها الشاعر أن يحرك مشاعر القارئ وإعجابه فهو يشبه الريح بإنسان يفشي الأسرار ، فاهتاج ألما وازداد فزعا الطبيعة وكذا يحدث لمن ذيع سره وعُرف أمره الشعور بالافتضاح والضياع بين العباد .

وقد ارتقى الشاعر في صورته التالية بالمعاني المجردة وجعلها تتصف بصفات الإنسان في قوله(٣) :

وحاول مني الهم صبراً فلم أزل　　　أدافعه حتى أبحت له صدري

فالمدافعة أمر يحصل بين قوتين إحداهما تقاوم الأخرى حتى تكون الغلبة

---

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، حسن البنداري ص ١٤١ - ١٤٢ ، بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج٥ ص ٤٠١ .

(٣) ديوان الشاعر ج١ ص ٣٢ .

لأحدهما . وقد جعل الشاعر من الهم قوة مدافعة تحاول غزوه متجملة بسمة الصبر في حربها إلى أن استطاع الهم الفوز بالمعركة واختراق الحصار واحتلال القلب والروح هوناً لا غصباً .

والاستعارة التالية تظهر قنوط ويأس الشاعر وهو ما زال في ريعان الشباب يقول[1] :

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً　　　فصرت كأني في الثمانين من

فرحمة الله وسعت كل شيء، ولكن أن تلفظه كما يتذوق الانسان ثم يلفظ، فكذلك فعل الخروج من الرحمة ،فالشاعر في مرحلة الصبا ،ولكن من يراه يرى صورة كهل في الثمانين؛ فما ذاك إلا نتيجة من نتائج الشؤم والبؤس الناتجين عن قسوة البشر التي أحاطت به وبكل جوانب حياته ، ترى الشاعر يحاكي قول لبيد بن ربيعة يشتكي من قسوة طول العمر يقول[2]:

قامت تشتكي إلى النفس مجهشة　　　وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزدادي ثلاثاً يتلقى أملا　　　وفي الثلاث وفاء الثمانينا

والفرق أن لبيداً قد تقبلها ولكن شكري أحسها وهو ما زال في ريعان شبابه .

---

(١) السابق ج٢ ص ٣٢ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ص ١٣٩ ، اعتنى به حمد وطماس ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .

كما وصف شكري رذائل الأخلاق ومها النفاق بقوله[1] :

إذا بدا البشر في وجه صاحبي ... ظل مروعاً خوف عاقبة البشر
يحيك من ألحاظه بطلاقة ... يأكل عرضاً منك بالناب والظفر

تحكي الصورة خوف النفس وروعها من بشاعة اللقاء مع الأصدقاء لأن الشاعر يعاني من داء النفاق المتخفي خلف بشاشة الأخلاق فقد استعار للمنافق صفة الفتك والافتراس الخاصتين بالحيوان وقصد بها الغيبة والنميمة الناتجتين عن حقد القلوب ، وهو في ذاك المعنى وتلك الصورة متأثر بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[2] .

ومن صور معاناة الوجد ، ما جاء يحكي ظلمة المشاعر من الهجر وأنها كظلمة الليل ،يقول[3] :

وأودعك الليل البهيم همومه ... فأصبحت حران الفؤاد متيماً

فقد استعار الشاعر لليل صفة إنسانية ، فقد استودع الليل الحبيب الهموم والأشواق وحرقة الفؤاد حتى أصبح قلبه مهموما حزينا فزاد في آلامه وأضاف

---

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٨٢ .

إلى يأسه وقنوطه، ثم يتلو تلك الصورة بأخرى يقول:

وتعلم ما ودى وما كان منكم وتعرف أي الباقين سراب
وتبكي على العهد القديم إذا بس لحسن فان عنك إياب

ويحذر من غدر الزمان وتحول الجمال إلى قبح والشباب إلى هرم :

وما ينفع المرء الحزين بكاؤه إذا أصاب ظفر للزمان وناب
ستصبح يوماً في التراب مجندلاً بفيك وفي العينين منك تراب[1]

يحذر الحبيب من تحول الحال وزوال الجمال ، وقد جسّد من آثار الزمن ومتغيرات العمر حيواناً له ظفر وناب يعبث في الجمال فيحوله إلى قبح ، ومن التراب صارعاً مفنيا لذلك لجمال .

ج) المجاز المرسل ،والمجاز العقلي.

من جوز جزت الطريق وجاز الموضع ، جازه سار فيه وسلكه ، وتجوز في كلامه أي تكلم مجازاً ، وقولهم جعل فلان ذلك الأمر مجازاً إلى حاجته أي طريقاً ومسلكاً[2] . وفي اصطلاح البلاغيين هو « كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً ، لملاحظة ما بين ما يجوز بها إليه وبين أصلها الذي وصفت له في وضع واضع »[3] وقد قسم البلاغيون

(١) السابق ج٢ ص ٢٨٢ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٣ ص ٢٣٩ مادة جور .

(٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ص ٣٠٤ .

المجاز إلى مجاز عقلي ومجاز لغوي يشتمل على الاستعارة والمجاز المرسل فكانت العلاقة في الاستعارة هي المشابهة ، وفي المجاز فهي غير المشابهة وهي « ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه »(١) .

والتعبير بصورة أو صيغة جديدة مغايرة للحقيقة قد يكون « بالتصرف في دلالات الكلمات الذي يشير من وجه آخر إلى مدى إمكانية الاستجابات الذهنية للكلمات في طبيعة أصحاب اللغة ... فهي واحدة من آثار الذكاء واللمح وسرعة الإدراك ، وكان ابن جني يسمي المجاز شجاعة العربية ... لأنها تقتحم بالألفاظ أودية غير أوديتها معتمدة في ذلك على إشارات القرائن وإيحاءات السياقات التي تشير+ إليها القلوب الفطنة الذكية »(٢) .

ولقد خاض شاعرنا بألفاظه المجازية أو المعاني معتمداً على إشارات وقرائن تدل على أيام الرخاء والشقاء التي عاشها بقوله(٣) :

سأذكر أياماً نعمت بلبسها ... إذا ما شدا عند النضير خطيبه

فقد أوجد الشاعر علاقة غير المشابهة في كلمة لبس وهي المخصصة للأثواب وغيرها من حلى زينه ، وبين الأيام وفي الكلمة استعارة مكنية لأنه أراد حاله التي كان عليها من تمتع بعشرة ومصاحبة لتلك الأيام ، وشعور بالأمان ، كما أن من

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ص ٢٥٤ .

(٢) التصوير البياني ، محمد محمد أبو موسى ٣٥٧ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٣ م .

(٣) ديوان الشاعر ج١ ص ٥٨ .

النعمة لبس الأثواب الفاخرة والتباهي بالزينة المكلفة ، فكان استخدامه للإستعارة هو الألمح في ذاك الموقع ، فسوف يذكر نعمة تلك الأيام إذا ادلهمت الأحداث وشدت الخطوب . ومما قاله شكري في ذاك النوع من فنون البيان قوله

أأنسى بكائي والعيون هواجع — أراقب ليلاً غائر النجم مظلما
أأنسى انفرادي والتياحي ولوعة — كأن لها بين الأضالع أرقما[1]

أطلق الشاعر لفظ العيون هواجع ، وأراد بها النفس المطمئنة التي تسكن وتنام لأ راحة البال تلابسها وتُطْمئنُ فكرها وروحها وأما هو روحه فتعاني الأرق والسهاد ، ترقب الليل وظلمته ، والعلاقة جزئية فالعيون جزء من الجسد وعندما تسكن الروح يسكن الجسد وتنام العيون وتهجع النفس ، ومما جاء في المجاز العقلي وهو « الكلام المراد إسناده عما هو له عند المتكلم إلى غيره بضرب من التأويل ، والمراد بما الإسناد له عند المتكلم ما يعتقد قيام العقل به أو صدوره عنه »[2] قول شكري[3] :

مدت لك الذكرى وجيع القيود — مخبوءة في خدعات الجدود
كأنها ذوا حنة ماكر — يهدي صلالا تحت زهر نضيد

أسند الشاعر فعل الإغاثة إلى الذكر التي تزود الإنسان بوجيع القيود وقد

---

(١) السابق ج٣ ص ٢٨٣ .

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبي عبد الله بدر الدين ، ابن الناظم ، ص ١٨٣ ، تحقيق د/ عبد محمد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٢ / ٢٠٠١ م .

(٣) ديوان الشاعر ، ج٥ ص ٤٥١ .

استخدم فعل العون في تلك الصورة ولكنه عون من نوع خاص فهو مدد من الآلام الموجعة المتسترة في أثواب المكر و الخديعة كما قال[1] :

أطى لي الدهر خيطاً من حبائله		عدت ما عاد هياباً ووثاباً

فالمجاز يكمن في فعل الإدلاء الذي قام به الدهر في خيال الشاعر وكأنه صياد يرمي بحباله المزودة بالطعم القاتل ،فقد نال الشاعر نصيبه من ذاك الطعم ، واعتاد على ذلك السم ، فلم يعد يهابه ، ودلالة الصورة تكمن في كثرة المصائب وتعوّد الشاعر على تجرعها حتى أنه اعتاد سمومها ولم يعد يخافها أو يهابها .

د) الكناية :

والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنّى عن الأمر بغيره يكنى كناية وتكنّى تستر من كنّى عنه إذا ورّى أو من الكنية[2] . وقال عنها القزويني الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ[3] .

والتصوير بالكناية له قيمة فنية كأي نوع من أنواع فنون البيان فقيمة الكناية قد تندرج تحت عدة قيم منها أن « التعبير بالكناية قد يظهر المعقول في صورة المحسوس مثل قول الرسول ﷺ : لا ترفع العصا على أهلك كناية عن عدم رفع التأديب عنهم . ومن اللجوء إلى النيل اللطيف من الخصم ، ومن المساس الظاهر

---

(١) السابق ج٥ ص ٤٥٠ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (كنى) ج١٥ ص ٢٣٣ .

(٣) الإيضاح في البلاغة ، الخطيب القزويني ص ٣٠١ .

المكشوف به مثل قولك عن الخصم (سأقلب له ظهر المجن) ... ومنه ما يكـون للتعبير عن المعنى المستهجن .. ومنه ما جاء بالتعبير خفاء أو غموض متى يتطلبه الأدب الإنشائي وكما تكون فيه الكناية تعبير قائم على التخيل الفني شأنها شـأن التشبيه والاستعارة ، وقد تعد الكناية سمة من سمات العبارة الأدبية »[1] .

وقد جاءت أبيات تصف معاناة شكري الذاتية ميزتها الكناية فكانت تعبـير قائما على التخيل الفني قال فيها[2] :

أما يصـطفيني الـدهر إلا لحسرـة	فهلا اصطفى لي عيشه غير ما اصطفى
ويشعل في قلبـي جحـيماً وناسـه	شياطين فيـه تضرـم الهـم والجـوى

فصورة الجحيم الذي يشتعل في قلب الشاعر ما هو إلا كناية عن آلام الحسرة العظيمة وخيبة الأمل الشديدة ، واحتراق المشاعر التي لا يتوانى عـن إضرامهـا شياطين البشر بمكرهم وخداعهم وخيبة أمله فيهم .

وأما القيمة الفنية للصورة التالية فتكمن في قدرة هذا الشاعر الخياليـة التـي جمعت بين قيمة إظهار المعقول في صورة المحسوس فزادته بياناً ووضوحاً وميزت أدائه التصويري للمعاني التي تضمنها فحقق بذلك تعبيراً نابغاً ووصفاً لمأساوية المشاعر وسوداوية الحياة يقول[3] :

---

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، د/ حسن النباري ص ١٧٠ بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج٥ ص ٤٠٦ .

(٣) ديوان الشاعر ج٦ ص ٤٩٢ .

بنيــت بيــت الحيــاة أيغــى ي ظلـــه مســـكناً فســـيحاً
فارعشـــت كـــف مـــن بنـــاه فلـــم يكـــن أســـه صـــحيحاً
كمـــن بنـــى بـــالتراب بيتـــاً فانهـــار حتـــى غـــدا ضريحـــاً

فقد أراد الشاعر بناء هرم بكفاحه وجهاده في الحياة طالباً به الشرف والرفعة إنساناً وأديباً ومعلماً وقد صور ذلك الهرم في صورة بيت من الرمال تهاوى فتهدم على جسده فكان مقبرة له لأن الأساس لم يكـن صـحيحاً لكثـرة مـا تلقـى مـن خيبات وعثرات فكانت تلك نهاية مأساوية اختتم بهـا الشـاعر أبياتـه الشـعرية معبراً بها عن معاني حياته واصفاً دقائق أموره التي عجز عن وصـف تفاصـيلها ولكن الكناية أوفت التعبير وحققت الغرض من هدف الشاعر .

ولشكري صور تندد بدناءة البشر وقدراتهم العدائية قال عنها(١) :

أنّى أتلفت لم أبصر سـوى رجـل بـادي العـداوة مخضـوب الأظـافر

فتشاؤم الشاعر يجعله يعمم نظرة العداء إلى كل البشر فأينما ينظر يرى عـدواً له . وقوله مخضوب الأظافر كناية عن حبه للدمويـة ورغبتـه و تعطشـه لسـفك الدماء إذ أن الدموية والشر في العداء هنا في هذا الإنسان رمز إلى حيوانيته الـذي لا يمكنه العيش دون إيذاء .

والموت معنى احتفى به الشاعر وقد صورت أبياته تلـك الحفـاوة فظهـرت

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٥٠ .

واضحة في أسلوبه وتألقت في تعبيراته ومن ذلك قوله[1] :

يا موت يا أماً أطالت تصامماً ... أما لك قلب يرأم الولد حانياً
فيا موت أقبل باسط الوجه ... فإن جحيم الصحب ما كنت لاقيا[2]

فقد أظهرت الكناية الموت في صورة المحسوس حتى يظهر ما في الموت من الرحمة والرأفة لمن هم على شاكلة الشاعر يعانون فهو كالأم التي تمثل الرحمة والعطف والحنان ، فهذه عواطف تمتلكها الأم تجاه أبنائها وتشعر بها نحوهم والموت يمتلك مثلها فهو شبيه الأم لكنه شبيه الأم البخيلة التي لا تبث تلك العواطف أبنائها وتضنّ بها عليهم ، فالموت لم يتخذه حضناً ولم يقبل عليه فكأنه أصم الأذن قاس القلب وقد استثار أسلوب الكناية الرغبة في نفس المتلقي لمعرفة أسباب ذلك الحب وتلك العاطفة المتهللة تجاه الموت .

٢ - الصور الرمزية :

الرمز فن من الفنون الأدبية للتعبير بالصورة عن معنى خفي وقد عُرف « بأنه كل علامة يؤتى بها لتذكّر بشيء كان قد ارتبط بها في أذهان الناس كارتباط الحمامة بالسلام ، والكلب بالوفاء »[3] .

ويعدّ الرمز « وسيلة إيحاء بالمضمون العاطفي الفكري الكامن خلف اللفظ

---

(١) السابق ج٢ ص ٥٤٢ .

(٢) السابق ج٦ ص ٥٤٢ .

(٣) انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ١٠١ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس .

المستعمل »[1] وقد لجأ إليه شكري في شعره العاطفي الفكري يقول[2] :

مـاذا يفيـد تصـوبي وتصـعدي	في مســلك للعــيش غــير ممهــد
كــالبحر في أحوالــه متغــيراً	عبثــاً يضــج بموجــه المتجــدد
عبثـاً تعيــث الــريح في هيآتهـا	كالحادثــات إذ تــروح وتفتــدي
عبثاً تضيء الشمس وجه مسالك	للعــيش تزخــر بالشــقاء المزيــد

فتجربة الشاعر الشعورية مصدر إحساسه بعلاقات تلك الكائنات وصلاتها المتداخلة بالحياة ، وفوائدها العظيمة للكائن وهـذا سـبب اختيـار الشـاعر لهـا فالبحر ، والريح ، والشمس ، كلها كائنات محسوسة استخدمها وعـبر بهـا عـن اللامحسوس تعبير ،فشخصه كالبحر والـريح و الشـمس وإحساسـه أن قـواه و جهده بذل وعطاء دون فائدة فمجتمعه فاسد غير نافع وأن ضياع تلك الجهـود المبذولة منه تماثل ضياع المنافع التـي سـخرت لهـا الشـمس و البحـر و الـريح ، فإحساسه بعظم تلك المنافع قد تساوى بعدمها ، عندما يتخذ مـن عبثيـة نفعهـا رمزاً لعبثية جهاده وكفاحه في مجالات العلم والأدب والشـعر ، وكـل محاولاتـه للتجديد والإصلاح قد ذهبت عبثاً رغم سمو هدفه ، وانفتاح فكره ورقي عقله .

« ومهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ ... فإنها حين يستخدمها الشاعر لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر بالتجربة الحالية وأن

(١) الأدب وفنونه ، محمد مندور ص ٣٩ .

(٢) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٥١ .

تكون قوتها التعبيرية نابعة منها »[1] وفي الصورة التالية يصور الشاعر حال شعره شعره وناس مجتمعة واتخذ من القبر رمزاً يقول[2] :

ماذا يفيد الشعر والقلب ميت — وهل للنفوس الهامدات نشور
إذا كان يحيي الشعر نفساً مريضة — فهيهات تحيا النفوس وهي قبور

فالقبر رمز الموت والفناء والتعفن ونهاية للنفوس وسعيها ونضالها في مراحل العمر المختلفة ، وهو مصدر السكون الذي لا حراك فيه ، والظلمة التي لا تمور بعدها والرحلة التي لا عودة منها اتخذه شكري رمزاً لنفوس قومه . وما ذاك إلا إيحاءً إلى حالة الصمم والبكم والعمى وعدم الإحساس والتذوق التي أصابت ناس مجتمعة تجاه شعره فقلوب الأحياء منهم لم تفهم معانية ولم تتذوق صوره بل واجهتها بالرفض ، واتهمته بالغموض . ولذا أراد شكري بالنفوس المقبورة فحوى فقدانه الأمل في تلك النفوس كما يفقد الأموات أمل البعث والرجوع إلى الدنيا ومعاشها .

وإحساس الشاعر بالموت لا يتوقف عند ذاك بل يتعداه إلى إحساس بالأموات الحق ، وهم في مدافنهم والصمت يخيم على قبورهم يقول عنهم[3] :

ألا إن للأموات صوتاً كأنه — خرير المياه الجاريات على الصلد
ويحكي حفيف الغصن في لين — وطوراً كأصداء الطبول على بعد

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، د/ عز الدين إسماعيل ص ١٩٩ ، دار الفكر العربي ط٣، ١٩٧٨ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٢٧ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٥١ .

ويعول أحياناً كإعوال ثأكل رمتها صروف الدهر في الولد الفرد
يئن أنين الريح عند خفوقها ويعوى عواء الذئب في المهمة القفر[١]

هذه الأبيات من الصور التعبيرية « التي استطاع فيها شكري تحقيق مسألة تبادل الحواس التي نادى بها الرمزيون إذ يلاحظ أن الموت لديه قد ارتبط بمظاهر الطبيعة كالريح والبحر والأغصان والحيوان وقد عبر بالمحسوس عن اللامحسوس والعكس ، وقد تخيل الشاعر أن لليل أنيناً وأن للفجر صراخاً . وهذا يوسع صوره التخيلية »[٢] .

يقول[٣] :

ويصرخ أحياناً فيحكي صراخه صراخ العباب الغمر في لجج البحر
يئن أنين الليل إذ هدأ الورى وطوراً له صوت كحشرجة الصدر

وتعتبر الرمزية «نهاية التطور التي تطمع الصورة دائماً الوصول إليه وهي تمثيل موضوع صوري فردي لمواد النمط من السلوك الإنساني أو تكييف عناصر انفعالية عميقة الارتباط وجدانية معقدة في موضوع قادر على حملها ، ومعبراً عنها بطريقة الإيحاء التي تبتعد عن ذكر أي من تلك العناصر والارتباطات »[٤] قصيدة الشاعر القادمة أتت معبرة عن ناس عصره ، وقد اختلطت قيم الأخلاق

(١) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٥١ .
(٢) الأدب العربي الحديث ، د/ سالم محمد الحمداني ، فالق مصطفى أحمد ص ١٥٩ بتصرف.
(٣) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٥١ .
(٤) الصورة الفنية عند أبي تمام ، عبد القادر الرباعي ص ١٧٢ .

بالأطماع لديهم والرذائل بالطباع و القيم ، فذلّ للعزيز ، وعزّ الذليل حتى أن أطماعهم التصقت بأرواحهم وأشلائهم في القبور وعند البعث فصورهم الشاعر بالطريقة التالية قائلاً[1] :

رأيت في النوم أني رهن مظلمة ... من المقابر ميتاً حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجني ... ولا طموح ولا حلم ولا كلم
مطهر من عيوب العيش قاطبة ... فليس يطرقني هم ولا ألم
والموت أطهر من خبث الحياة ... راعت مظاهره الأجداث والظلم
حتى بعثت على نفخ الملائك في ... أبواقهم وتنادت تلكم الرمم
وقام حولي من الأموات زعنفة ... وجاء كالسيل جمّ لجه عرم
فذاك يبحث عن عين له فقدت ... وتلك تعوزها الأصداغ واللمم
وذاك يمشي على رجل بلا قدم ... وذاك غضبان لا ساق ولا قدم
ب ّ غاصب رأس ليس ... وصاحب رأس يبكيه ويختصم
ويبحثون عن المرآة تخبرهم ... عن قبح ما تترك الأجداث والعدم

فمن يقرأ القصيدة لأول وهلة يجد فيها جرأة تكسوها سخرية لكن خيال الشاعر صور للمتلقي مواقف نابضة بالسوداوية والعفن تتلمس معانيها خلف السطور ، فقد كان الرمز وسيلة الشاعر في صوره السابقة والتي يطمح بها أن يوصل مفهوم عميق يعبر فيه بطريقة الإيحاء فصورة البعث وتنادي الرمم ما هي إلا رمز الاستمرارية لأطماع البشر من المهد إلى اللحد ، وصورة الرمم تبحث عن

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٤٢ .

أعين وأصداغ رمز لحرص الأموات على ممتلكاتهم وأطماعهم في غيرها ، وصورة اغتصاب الرؤوس والأقدام رمز للسلوك العدواني الذي يجتاح أفراد المجتمعات من اغتصاب لحقوق الإنسان و ممتلكاته حتى صورة البحث عن المرأة تدل على قبح يكمن في آثار الأفعال التي يوازي تعفن الجثث ونتن الرمم. ومن النقاد من يجد أن « قمة البيان أن تتعدد صور التعبير عن المعنى الواحد بحيث نجد مع كل تعبير إضافة وخصوصية »[1] .

« إن ألوان الأشياء وأشكالها ... مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس ... ومن المعروف أن الشاعر يحب هذه الألوان والأشكال ... فالشعر إذن ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان ... وليست وحدها هي التي تجتذب الشاعر بل أن الملمس والرائحة والطعم تتداخل مع الشكل واللون في الصورة »[2] . و يحلل د/ عز الدين إسماعيل الفرق بين الصورة المرئية والصورة الحسية فيرى أن كل صورة حسية ليست مرئية غير أن استحضار القارئ لصورة الشيء الذي يدل عليه اللفظ دليلاً على أنه قد بدأ في التفكير بطريقة حسية . وفي الصور الحسية قدرة إبداعية للشاعر إذ « يعبر فيها بالصورة المحسة المتخيلة

---

(١) أساليب البيان والصور القرآنية ، محمد إبراهيم شادي ص ١٦ ، دار والي الإسلامية ، ط ١، ١٩٩٥ .

(٢) انظر الشعر العربي المعاصر ، د/ عز الدين إسماعيل ١٢٩ - ١٣٠ ، دار الفكر العربي ، ط٣ ، ١٩٧٨م .

والحالة النفسية ... فإذاً المعنى الذهني هيئة أو حركة .. وإذاً الحالة النفسية لوحة أو مشهد »[1] .

٣ - الصور الحسية :

أ) الحركية :

ومما جاء في مجال الصور الحسية الحركية والتي عبر بها الشاعر عن حال النساء في الحياة وبعد الموت في قوله[2] :

قمن يرفلن في الليالي السود	بعد أن صرن طعمة للدود
بعد أن كن للعيون جلاء	فاتنات بأعين وخدود
مالئات وجه الحياة ضياء	عابثات بمسعدات الجدود
يتواقعن كالنسيم ويجنين	لحاظي يثني تلك القدود
صرن يخطرن في الظلام ويرميـ	ـن عيون الرائين منها بداء
ويرجعن في الظلام صراخ اليـ	ـوم حتى يسقمن وجه الهواء
لابسات أكفانهن حياء	أن ترى قبحهن عين الرائي
هن في الموت والحياة يخبئـ	ـن عيوناً تزرى بذاك الحياء

فيصف الشاعر حال النساء في الحياة ثم يتخيل صور النساء بعد الموت بطريقة يلعب فيها الفعل المضارع دور الاستمرارية لتلك الحياة وتلك الصفات والأفعال .

---

(١) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص ٣٢ ، دار الشروق ، (ط. ب) .

(٢) ديوان الشاعر ج ص ١٣٢ .

بدأ الشاعر يصور الموت فقال : قمن يرفلن في الليالي السود فطبيعة النساء لا تنفك عنهن حتى بعد الموت ما زلن يتمايسن بأثوابهن بل بأكفانهن بعد أن صرن جثث متآكلة وبعينان كن يوقعن في شباكهن ويخلين اللحاظ صرن بعد الضياء في ظلام الموت يرمين اللحاظ من الأدواء من قبح الحال وتعفن الأجساد وهن يرددن الصراخ والعويل حتى يمتلئ الهواء بالسقام والأمراض حال النساء سواء لدى الشاعر فهن يلبسن أكفانهن في الموت ليخفين قبح الموت والعفن كذا في الحياة لابسات رداء النفاق والرياء ليخفين قبح النفوس .

ومن الحركة إلى السكون الذي يصفه الشاعر سكون مهيب يرى فيه العظة والعبرة يقول(١) :

أما في سكون الليل يا نفس واعظ أما في هدوء الروض ملهى ومطلب

سكون تطلبه نفس الشاعر وهدوء تتعطش له النفس وترى صورة ذلك السكون في استفهام الشاعر ومخاطبته لنفسه أن منتهى السكون والراحة المطلوبة في حضن الليل وروعة الرياض فهلا تجدها نفسه ؟إن الأسلوب الانشائي وغرضه التمني ، فهو يتمنى ولو للحظات تنعم فيها نفسه بالهدوء والراحة من الشقاء والعذاب المستمر ولكن هيهات.

---

(١) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٦٩ .

ب) الصورة النفسية :

وعندما تكوّن الحالة النفسية لوحة أو مشهداً يصوره الشاعر ويبدع فيه يقول[1] في ذلك :

للنفس في بعض الأحايين ثورة ... يكاد لها جسم الفتى يتمزق
فيا نفس كم تبغين ما ليس حادثاً ... حتام أمالي لديك تحرق
هياج كما هاجت قطاة تعلقت ... بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب

يصور الشاعر تمزق النفس وهي في حالة ثورة عارمة في صورة كناية وتشبيه تمثيلي ينبئان عن غضب وثورة تجتاح النفس نتيجة عدم تحقق الآمال رغم اتساع الأفق مثل القطاة التي تأمل في الحرية لكن شباك الصياد تحرمها على الرغم من اتساع الأفق ،فهاجت كالنفس التي ليس لها مخرج تجد و تحاذر.

ج) الصور البصرية :

هذه الصور يصل فيها الشاعر إلى مراده عن طريق وصف ما تقع عليه عينه و يراه بصره ومن ذلك قول الشاعر إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور خشع من جلال المنظر ولكنه إذا رآه على القبور امتلكه الفزع من ذلك المنظر يقول في ذلك[2] :

أنى رأيت بياض ضوئك موهنا ... فوق القبور كعارض يتهلل

---

(١) السابق ج٢ ص ١٦٩ .

(٢) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٤٦ .

ففزعت من ذاك البياض كأنه   لون المشيب على الذوائب يثقل
ولربما كره الفتى صور الردى   وهو الجريء على الحمام المقبل
ولقد رأيتك والقبور كأنها   أشباح ساكنة النواظر مثل
نظر البريء إلى القتيل مجندلاً   والروع في أنفاسه يتعجل

تصف صورة الشاعر ضوء القمر مسترسلاً على القبور وهذا منظر يدرك بحاسة الإبصار ونتيجة له يدب في النفس الفزع لأن من يراه رغم صفاء ضوئه يحس ّ بتجهم وظلمة تحف ضوء القمر وهذا الإيحاء يشبه فزع النفس من شيخوخة الذوائب. كذا أورد الشاعر تشبيه تمثيليا لمنظر القبور وكأنها وساكنيها أشباح ماثلة في أماكنها تنظر إلى القمر وتلك النظرة ألقت في نفسه الفزع والروع وهو ينظر إلى أولئك المصروعين في قبورهم .

د) صور سمعية :

من صوره التي تدرك بحاسة السمع قوله(١) :

ليت لي نظرة إلى الزمن آ   تي البعيد الخطا الغريب الحال
تريح الفؤاد مما يعاني الـ   طرق من لؤم هذه الأحوال
أو غيث النفوس بالنبأ الأ   عظم اب الوجود تحس المكان
فهي بشرى محمودة أو تعي   لمساع مآلها للفوات

فتلك صورة استعارية تعتمد على حاسة السمع في التصوير فهي تنتظر سماع نبأعظيم إما بشرى بسعادة المنقلب وإما نعي يرثي حال المنقلب .

---

(١) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٦٨ .

ز) صور شمية :

إيحاء الصورة تهديد ووعيد بفناء الجمال وتحول الحسن إلى نتن وقبح يقول في ذلك[1] :

فلا تذعر بالموت غادا ورائحا	وكل جميل فهو لابد غابر
سينفذ فيك الموت أمراً مقدراً	وتلقى الذي قد كنت تحاذرا
ويأكل منك الدود ما شاء حقبة	ووجهك مقبوح وعظمك ناخر
ويحك ريح النتن لا نتن مثله	سد إذا ما شمّ منه المناخر

فالصورة يلعب فيها الخيال دور المهدد الذي يوضح للحبيب عاقبة التعالي بالجمال، فالجمال فان ورائحة النتن تشم، والقبح سوف يطال الوجه والعظم .

و) صور تذوقية :

هي تلك الصور التي ينقل فيها الشاعر إحساسه عن طريق حاسة التذوق بل ويشعر المتلقي بطعم ذلك الاحساس ، يقول[2] :

مغالبة الأخطار سكر ولذة	وإن شب فيها من الضلوع

فالإحساس بخضم المعاناة وروحها يغرس في الشاعر لذة كملذة السكر التي تذهب العقل رغم المخاطر والآلام كذا قوله[3] :

(١) ديوان الشاعر ج٤ ص ٣٦٠

(٢) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١٣ .

(٣) السابق ج ص ٩٣ .

وما العيش إلا الذئب ... وللعيش ناب قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو ... وإن سلبت منه النهى والسرائر

ويقول في معنى الحرية المحرمة التي يختلط طلب نيلها بسفك الدماء(١) :

هلا رأوك وأنت بين معاشر ... وصفوا السيوف مواضع
ظمأى إلى الدم قد أبحت ... كالذئب يعوي بادي الأسنان

فالصورة تشبيه تمثيلي يحكي صورة من يطلب الحرية ويدفع دمه لقاء ذلك وكأنها أصبحت ذئباً يفترس كل من يرغب في الاقتراب منها والظمأ يومىء إلى العطش الذي يرى به الشاعر عطش مجتمعه إلى تلك الحرية وبذله كل غال ونفيس في سبيل الوصول إليها و الحصول عليها .

هـ) صور لونية :

يغلب السواد والبياض على الصورة اللونية معبراً بهما عن مفهوم التشاؤم ، لكن مخالطة البياض فيهاإيحاء من الشاعر بالحزن والأسى إذ يقول مخاطباً البحر الذي يرى فيهخلاصاً مما يجد و يعاني(٢) :

رى كفناً من نسج موجك أبيضاً ... تمزقه الأرواح وهي توائر

فيتصور موته في حضن أمواج هائجة تنسج له الكفن الأبيض ثم تمزقه ارباً .

(١) السابق ج٢ ص ١٦٦ .

(٢) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١٣ .

ويقول في موضع آخر يتحدث فيه عن الروح السوداء[1] :

لو أطلقت روحك وسط الضحى ... لألبسته ثوب الظلام
كأنما ينساب منها الدجى ... يزخر في ديجوره الطامي

وثوب السواد الذي عناه الشاعر دلالة على شناعة تلك الروح وعظم خطاياها إذ أنها من شدة سوادها تحيل نور الضحى بأشعته المضيئة ونهاره الوضاح إلى ظلام دامس فكأنما تلك الروح ليل أقبل فملأ ما حوله بالسواد الشديد .

ويقول في موضع آخر عن آماله الضائعة[2] :

أيا فتنة الأحلام قد لاح كذبها ... محال علينا أن تلذ بك النوما
لقد كنت في عيشي مصابيح حلية ... فقد صارت الأيام أغربة سحما

فاللون في الصورة نابع من صورة التضاد بين ما كان يأمل و يتمنى و بين ما وجد حقيقة و فعلاً ، فقد كان يرجو أمانيه و أحلامه مصابيح تضيء له طريقه ليصل إلى هدفه فإذا بالأيام تحول دون ذلك فهي "أغربة سحم" و الغراب سواده رمز الشؤم ودليل الشر ، فكأنها تخفي الحقد والضغينة و تسترهما خلف سوادها . وعندما يروي الشاعر حكايته مع ثمار الحياة يقول[3] :

---

(١) السابق ج٣ ص ٢٥٢ .

(٢) السابق الشاعر ج٥ ص ٤١٣ .

(٣) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٢٨ .

قــد جنينــا مــن أزاهــير الشــقاء زهــرة ســوداء مــن زهــر قضــاء
زهــرة ســوداء لا تعــد لهــا زهــرة حمــراء مــن زهــر الهــوى
كيــف نهــوى زهــرة أوراقهــا مــن دمــوع الصــب تنــدى والــدما

استخدم الشاعر اللون الأسود ليدل به على ما جناه من أمال و طموحات في هذه الحياة ، فهو لم يجن إلا الأسى و المرارة و السواد ،واستخدم اللون الأحمـر في الحديث عن شدة الوجد و الهوى ، إذ طال سهره و غاب عنه نومه ، فكان احمرار العينين صفة ملازمة للحالة التي هو عليها.

و في النهاية قد نرى أن الفكر كان مصدراً للصورة الشـعرية عنـد شـكري التي اشتقت عناصرها من الذات والطبيعة والحياة والموت ، كما تميزت الصـورة لديه باستطراد في ألوان البيان على حساب المعنى ، وتضـافرت أجـزاء الصـورة وتتابعت لتكون صورة كلية تعبر عن تجربة الشاعر الشعرية والشعورية .

المبحث الرابع

البنية الإيقاعية

للإيقاع أهمية في دراسة القصائد الشعرية فكلمة الإيقاع « مشتقة أصلاً من اليونانية ، بمعنى الجريان أو التدفق ، والمقصود به عامة التواتر المتتابع بين حالتي الصمت والصوت أو الحركة والسكون أو القصر والطول أو الإسراع والإبطاء ، أو التواتر والاسترخاء ، فهو بمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر ، وبين الجزء وكل الأجزاء للأثر الفني ويكون في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشكل الفني ، ويستطيع الفنان أن يعتمد على الإيقاع بإتباعه طريقة من ثلاث : التكرار أو التعاقب أو الترابط »[(١)] ، وأهميته لدى ابن سينا تتمثل في « أن الشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيلة ، ووزن ذي إيقاع متناسب ليكون أسرع تأثيراً في النفس بميل النفوس إلى المتزنات والمنتظمات التركيب »[(٢)] فتمام الشعر مرتبط باتزان وانتظام إيقاعه الموسيقي الذي له شأن وتأثير في القلوب وميل النفوس ، كما عرف برتيل مالبرج الإيقاع بأنه « تقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علاقة متكررة ، وذات وظيفة وملمح جمالي »[(٣)]، فالوزن رافد من روافد الشعر التي أشاد بها الجاحظ « إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ ،

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص ٧١ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس .

(٢) كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر لابن سينا ، تحقيق محمد سليم سالم ص ٢٦ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ١٩٦٩ م .

(٣) علم الأصوات ، برتيل مالبرج ص ١٩٩ ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسيج وجنس من التصوير »(١) .

ومن الذين أولو الوزن مكانة رفيعة ابن رشيق إذ قال « الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية »(٢) .

فالوزن من العناصر الأولية التي يبنى عليها الإيقاع إذ هو « الحركة والسكون ، ومن هذه الحركات والسكنات تتكون الفواصل المختلفة ، وكل مجموعة من الفواصل تتكون تفعيلة وأوزان الشعر تتكون من مجموعات من التفاعيل المتساوية أو المتجاوبة مع اختلافات تسمى بالزحافات والعلل . وهي الخلافات التي تؤدي إلى تغيير النسق العام بالبيت الشعري ، ومنها ما لا تكاد تدركه الآذان ، وإنما يكتشف بالتقطيع وبالترجيع ، وبعضها الآخر يستدرج بعمليات تعويض عن إنشاد الشعر ، ومن أهم وسائل التعويض الصمت الخفيف في بعض المواضع »(٣) .

فالإيقاع الموسيقي الذي يتحد مع اللغة الموزونة يهيئ للألفاظ دلالات ذات بعد تؤدي إلى تمام شكل القصيدة لشعرية وتجعلها مقبولة في أذن المتلقي ، فقد استولت عليه بطربها وموسيقاها.

---

(١) الحيوان ح١ ص ١٣١ - ١٣٢ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ط٣ ، دار الفكر ، ١٩٨٨ م .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين ، ح١ ص ٧٧ ، دارالجيل ١٩٨١ م .

(٣) الأدب وفنونه ، محمد مندورة ، ص ٣٢ نقلاً .

وعند النظر في قصائد عبد الرحمن شكري لدراستها عروضيا ،

نلاحظ أنه قد غلب عليها استخدام البحور الصافية مثل الوافر والرمل والرجز عند النظر في قصائد عبد الرحمن شكري لدراستها عروضيا مثل الوافر والرمل والرجز .والبحور الحركية مثل الطويل والبسيط وجاء القليل من قصائده التشاؤمية على أوزان بحر الخفيف ، والمنسرح ، والمديد ، والمتدارك والكامل والمضارع .

ومما عُرف عن صفات تلك البحور العروضية كما أوضحها العلامة القرطاجني فقال عنها « فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاء وقوة ، وتجد للبسيط سباقة وطلاوة ، وتجد للكامل جزالة وحسن اطّراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقارب بساطة وسهولة ، وللمديد رقة ولين ، مع رشاقة ، وللرمل ليناً وسهولة ، ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء ، وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر »(١) .

على أن الصلة بين استخدام شكري لبحور الشعر السالفة وبين موضوع التشاؤم تتضح من خلال عرض آراء بعض النقاد والقدامى والمحدثين حول ما رأوه من ضرورة تناسب موضوع القصيدة والوزن العروضي فيرى حازم القرطاجني أن « من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الامتنان في

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ص ٢٦٩ ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ط٣ ، ١٩٨٦ م .

بعضها أعم من بعض ، فأعلاها درجة الطويل والبسيط ويتلوها الوافر والكامل .. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف ... فالمنسرح فيه اضطراب وتقلقل ، فأما السريع والرجز ففيهما كزازة ... فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد .. فأما الهزج ففيه من سذاجته حدة زائدة ، فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيها ، فأما المضارع ففيه كل قبيحة »[١] .

وكما يبدو أن لكل بحر صفاته ، فإن لكل كلام طبعه الخاص ، وغرضه الذي يهدف إليه فكان «لكل وزن منها طبعاً يصير نمط الكلام مائلاً إليه »[٢] .

وقد أشار ابن طباطبا إلى أن « الشاعر إذا أراد بناء قصيدة فخص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس القول عليه »[٣] . كما اعتمد المرزوقي في حديثه عن عمود الشعر عن التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير لذيذ الوزن[٤] . كما اشترط أبو هلال العسكري في عمل الشعر وزناً يتأتى فيه إيرادها[٥] . واختلاف وجهات النظر في موضوع اتساق الوزن والموضوع لدى نقاد العصر الحديث يتأتى من النظرة التحليلية للعلاقة بينهما

(١) منهاج البلغاء ص ٢٦٨ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٦٩ .

(٣) انظرعيار الشعر ص ٣١ .

(٤) مقدمة شرح ديوان الحماسة ص ٩ .

(٥) الصناعتين : الكتابة والشعر ، أبي هلال الحسن العسكري ص ٤٥ ، دار الفكر العربي ، تحقيق محمد البجاوي ، محمد إبراهيم ، ط٢ .

فمنهم من رفض الفكرة مثل د/ عز الدين إسماعيل[1] . ود/ غنيمي هـلال[2] . ومنهم من انتصر لها مثل د/ عبد الله الطيب[3] . كما أخضع العلاقـة بـين الـوزن والموضوع د/ إبراهيم أنيس للجانب العلمي الطبي الذي اتفق فيه الغربيـون في بحوثهم التي أثبتت أن عدد نبض القلب في الجسم السليم ٧٦ مرة في الدقيقـة ، ونتيجة لعلاقته بالنطق يقدرون أن الإنسان يستطيع النطق بثلاثة من الأصـوات المقطعية كلما نبض قلبه نبضاً واحداً فإذا عرف أن البحر الطويل يشتمل على ٢٨ صوتاً مقطعياً أمكننا أن نتصور أن النطق ببيـت مـن الطويـل يـتم خـلال تسـع نبضات من نبض القلب على أن نبضـات القلـب تزيـد كثـيراً مـع الانفعـالات النفسية التي يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه .

فحالة الشاعر في الفزع غيرها في الحزن واليأس ، ونبضات قلبه سريعة حين يملكها السرور فيكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولي عليهما الهـم والجزع[4] . وعلى هذا يقرر د/ إبراهيم أنيس « أن نستطيع ونحـن مطمئنـون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عـادة وزنـاً طـويلاً كثـير المقـاطع يصب فيه من انتاجه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشـعر وقـت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازيـاد

(١) التفسير النفسي للأدب / ٧٨ ، دار العودة ، دار الثقافة بيروت .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، ٤٧٧ .

(٣) انظر المرشد لفهم أشعار العرب ، ح١ ص ٩٣ وما بعده ، عبد الله الطيب ، الكويت ١٩٨٩ م ط٣ .

(٤) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ١٧٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٤ .

النبضات القلبية »[1].

وقد تبين من خلال تحليل البنية التركيبية والتصويرية لقصائد الشاعر ميوله السوداوي في صوره الفنية ومعانيه الفكرية الفلسفية التأملية مما أدى إلى وضوح الصلة بين موضوع الشاعر وبين اتخاذه بحراً طويلا كثير المقاطع حتى يستطيع أن يصب فيه أشجانه وأحزانه يقول الشاعر من البحر الطويل[2] :

نعم للرياح الهوج هول وقوة ... وللبحر أمواج تهيج فتحرب
أغرك من هذى الطبيعة أنها ... تثور فلا يقوى عليها المقلب
وما أحسب اليم الخضم يتأثر ... إذا كان هذا اليم يشقى ويألم

وقد عرف عن البحر الطويل أنه بحر ذو بهاء وقوة يناسب الموضوعات الحادة العميقة « التي تحتاج إلى سر وبسط ، وهو مناسب للحزن والأسى الذين يعبران عن عمق حزن النفس الإنسانية »[3] وما أحسب الشاعر بوصفه لتلك الثورة ، والقوة لكائنات الطبيعة إلا نتيجة صلة القرابة التي تربطه بكائنات الكون وإحساسه العميق بشقاء العباد وعناء البلاد فحزن الطبيعة الثائرة تعبير عن حزن النفس الإنسانية وثورة روح الشاعر ونفسه ، إحساس بتلك الثورة .

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح٢ ص ١٦٩ .

(٣) دراسات في النص الأدبي المعاصر الحديث ، ص ٤٠ ، محمد عارف ، حسين نجار .

كما استخدم شكري بحر الرمل ليصف مشاعر الحب تخالطها مشاعر الخبث والموت ، وتلك مشاعر مضطربة قلقة لا تواصل بينها يقول[١] :

إن حبـــي مثـــل داء قاتـــل فاســـتجيبوا بمغـــراً ونجـــاء
أنـــتم كـــالزهر تمحـــو زهـــوه ريـــح ســـوء حملـــت جرثـــوم داء

ومن صفات بحر الرمل اللين والضعف كما أنـه « يوصـف عليـه الشعر المضطرب البناء والنقصان »[٢] وهذا الوصف له صلة باضطراب العاطفة لـدى الشاعر فكيف تشبه عاطفة الحب القاتلة الداء المميت والريح المحملة بـالجراثيم ؟، ثم كيف يطلب الإسراع في النجاة والفرار من حبه القاتل؟ ، ويقول د/ عبـد الله الطيب أن موسيقى الرمل خفيفة رشيقة منسابة وفيه رنة يصـحبها نـوع مـن المنخوليا[٣] ،فهل أصابه لوثة عقل الشاعر حتى يصف حبه بهذا الوصف المنفر

كما نظم في الوافر قوله[٤] :

صحوت من المعيشـة بعـد سـكر فيا لهفتـي عـلى نشـوات سـكري
شربت الحلو من كاسات دهـري كـذاك المـر مـن كاسـات دهـري

فقد عرض الشاعر أفكاره في أسلوب تتلاحق فيه المعاني فالصحوة من لذة

---

(١) ديوان الشاعر ح٣ ص ٢٣١ .

(٢) موسيقى الشرع ص ٩٤ ، صابر عبد الدايم ، مكتبة الأنجلو القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٣ ، نقلاً .

(٣) لفظاً مستعملاً عند القدماء ، يعني الضرب العاطفي الحزين في غير كآبة ومن غير وجع . المرشد لفهم أشعار العرب ح١ ص ١٥٨ .

(٤) ديوان الشاعر ح٣ ص ٢٣٤ .

العيش تتبعها لهفة وحسرة على فقدان تلك النشوة واللذة ، وتذوق حلو الـدهر يتبعه بل يكاد يرافقه تذوق مرّ الدهر .

ومما وصف به بحر الوافر « أن عجزه سريع اللحاق بصدره حتى أن السامع لا يكاد يفرغ من سماع الصدر حتى يهجم عليه العجز »(١) .

وعلى هذا فمشاعر الشاعر عبرت عنها بحور الشعر العربي خير تعبير .

فمشاعر الثورة جاء ت وزن الطويل و مشاعر الوجد القاتـل جـاءت عـلى وزن الرمل و مشاعر التأمل الفلسفي عبر عنها بحر الوافر فهذه كلها عواطـف صادقة فيها تناسب بين مواضيعها وبين صفات البحور المترنمة بها . وقد دعانـا د/ عبد الله الطيب للنظر والتأمل في مسألة اتساق الموضوع والبحر يقـول « لـو تأمل الناقد ودقق وتعمق فاختلاف أوزان البحر نفسه ، معناه أن أغراضاً مختلفة دعت إلى ذلك وإلا فقد كان أغنى بحراً واحد ووزن واحد .

وهل يتصور في المعقول أن يصلح بحـر الطويـل الأول للشـعر المعـبر عـن الرفض والنقزان والخفة »(٢) وهذا دليل أن لكل بحر موضوع يلائمه ويتناسـب مع تفعيلاته .

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ج١ ص ٤٠٦ عبد الله الطيب .

(٢) السابق ح١ ص ٩٣ – ٩٤ .

العلاقة بين القافية وحالة الشاعر النفسية :

القافية ركن من أركان موسيقى الشعر لها مدلولها الخاص المؤثر في أبيات القصيد فالقافية بمعنى تابعة[1] وقد عرفها الخليل بقوله : « هي آخر ساكنين في البيت وما بينهما والمتحرك الذي قبل الساكن الأول منهما »[2] .

وقد أقام ابن الرشيق شركة بين القافية والوزن إذ قال : « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية »[3] ، من أثر هذه الشراكة ينبثق موضوع الصلة بين قافية البيت ومدى تناسبها وموضوع القصيد .

فقد ذهب حازم القرطاجني إلى أن للشعراء في بناء الشعر مذهبين يقول :« فلا يخلو الشاعر من أن يبني أول البيت على القافية أو القافية على أول البيت . وكلا صاحبي هذين المذهبين لا يخلو أن يكون ممن يعتمد أن يقابل بين المعاني ويناظر بينها أو ممن لا يقابل بين شيء منها »[4]

وبما أن القافية شريكة للوزن ، من هنا يأتى اهتمام العلماء بها وأهمية انتقاء

---

(١) لغة : قافية كل شيء آخره . ومنه قافية بيت الشعر والقافية آخر كلمة في البيت وربما سميت القصيدة قافية . لسان العرب ح١٢ ص ١٦٧ ، ١٦٦ .

(٢) أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، محمود مصطفى ص ١٦٤ . شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ .

(٣) العمدة ، ابن الرشيق ح١ ص١٣٥ .

(٤) منهاج البلغاء ، سراج الأدباء ، حازم القرطاجني ص٢٧٨ نقلاً .

المناسب منها لمعاني البيت وبحره ، وقد نادى بشر بن المعتمر بأن تحل القافية في مركزها وفي نصابها وألا تكون قلقة ولا نافرة في موضعها وأن لا تكره على اغتصاب الأماكن(١) . كما طلب قدامة بن جعفر أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج(٢) .وقد وضع حازم القرطاجني شروطاً للقافية وهي أربعة شروط ، التمكن وصحة الوضع ، والتمام أو عدمه وموضعها في النفس(٣) . وقد اعتمد حازم في حروف الروي في كل قافية من الشعر حرفاً واحداً بعينه غير متسامح في إيراد ما يقاربه ، ويقول لقد وقع ذلك لبعض من لا يحفل به من العرب الذين كانت بضاعتهم في الشعر مزجاة(٤) .

والذي ينادي به معظم القدماء توحد حرف الروي في القافية الواحدة حتى أن حازماً عارض أن يأتي الشاعر بحرفين متقاربي الجرس في القافية الواحدة لكن مسألة تعدد القوافي والخروج على القافية الموحدة قد كان لها أصول لكنها نادرة لدى القدماء ومن أمثلتها ، قول أبو عبيدة لامرأة من خثعم(٥) :

ليست سماكيا بحار وبابه ... يقاد إلى أهل الفضا بزمام
فيشرب من جحوش ويشمه ... بعيني فطاص أعز يماني

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ج١ ص١٣٨ .

(٢) نقد الشعر ، ص٨٦ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٧١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(٥) الموشح ص ١٨ .

كما أورد الباقلاني أبياتاً لم ينسبها لأحد[1] :

رب أخ كنت به مغتبطاً ... أشد كفي بعرا صحبته
تمسكاً مني بالود ولا ... أحسبه يزهد في ذي أهل
تمسكاً مني بالود ولا ... أحسبه يغير العهد ولا

كما سجلت محاولات في العصر العباسي للتمرد على القافية الموحدة وكان من رواد أولئك المتمردين أبي العتاهية في مزدوجة له سماها ذات الأمثال ، وفيه تثمين القافية في كل بيت كما راعى الشاعر أن تكون قافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني وفي هذا نوع من التيسير وعدم الكلفة والمشقة على الشعراء ، يقول أبو العتاهية[2] :

حسبك مما تبتغيه القوت ... ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو قدر ... إن كنت أخطأت فما أخطا القدر
إن الشباب حجة التصابي ... روائح الجنة في الشباب

ويذكر الخليل أن العباسيين قد استحدثوا في القافية نوعاً يسمى المسمط وهو أن يبتدئ الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة من غير قافيته ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدأ به[3] .

ويذكر د/ يونس بكار أنه ربما كان سبب إهمال النقاد القدامى محاولات

---

(١) إعجاز القرآن ص ٥٦ .

(٢) أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ٢١٥ .

(٣) أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ٢١٥ .

الخروج على القافية الموحدة أنهم كانوا يضعون في حسابهم موسيقى القصيدة الخارجية ولم يقبلوا من الزحافات إلا القليل في البيت أو البيتين ، وقد أورد ما ذهب إليه العقاد حين قال لا يزال اختلاف القافية بين البيت والبيت يقبض سمعي عن الاسترسال في متعة السماع، ويفقدني لذة القراءة الشعرية(١) . وقد أرجع العقاد التوسط في المتعة والإيذاء هو في ملاحظة القافية في مقطوعة بعد مقطوعة تتألف من جملة أبيات على استواء في الوزن والعدد ، وهو ملاحظة الازدواج والتسميط وما إليهما والنغمات التي تتطلبها الآذان في مواضعها(٢) .

وممن يؤيد تعدد القافية أي المرسلة الناقد الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرجع التزام قافية واحدة سبب من أسباب الحد من طول القصيدة فلا يجاوز الشاعر سبعين بيتاً إلا وأن تكون القافية قد أجهدته ، وألزمته طريقاً من التكلف والتعسف قد يجعله يضحي بشيء من المعاني والأخيلة(٣) .

ولابد أن شعراؤنا المعاصرين قد وجدوا لهم طريقاً فعبدوا وسلكوا منه سبلاً فكان ذلك أثر اطلاعهم على الآداب الغربية أن عرفوا أن شعر اللغات القديمة مثل اليونانية لا يعرف القافية . وفي اللغات الحديثة فيها شعر مرسل لا يرتبط

---

(١) بنية القصيدة العربية ص ٢٤٠ نقلاً .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ص ٢٩٩ بتصرف .

بالقوافي وشعر تتعانق فيه القوافي متخذة في البيت الأول والثالث والثاني ، ولم يلبث أن تنادى غير شاعر في أوائل القرن العشرين بالتحرر من القافية ، وأسرع توفيق البكري فصنع قصيدة بلا قافية وسماها ذات القوافي ثم تلاه الزهاوي وعبد الرحمن شكري فألفوا غير قصيدة من هذا النمط المرسل[1] .

ومن رواد الشعر الحديث شعر التجديد خليل مطران الذي قال عنه د/ مختار الوكيل أن خليل مطران قد أحدث في العربية شعراً عربياً عذباً لا يخرج على قواعد اللغة ولا علم النظم العربي المألوف إلا بمقدار ما أثرت فيه مطالعته في الشعر الفرنجي . وقد تنبأ مطران أن تكون لشعراء مسلكه أبناء يحتذوا حذوه فكان من ثمار شعره أولئك الشعراء[2] . ومن الأمثلة قول شوقي في كتابه لحسين واصف[3] :

إلى حسين حاكم القتال	هناك حسن الخلق في الرجال
هدي سلاماً طيباً كخلقه	مع احترام هو بعض حقه
واحفظ العهد له على النوى	والصدق في الود له وفي الهوى

ولقد كان عبد الرحمن شكري من أوائل من مهدوا لنهضة الشعر الحديث يشهد بذلك د/ مختار الوكيل بل ويؤكد أنه هو الذي أدخل هذا الضرب الجديد

---

(١) النقد الأدبي ، شوقي ضيف ص ١٠٧ .

(٢) رواد الشعر الحديث في مصر . مختار الوكيل ص ٢٦ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ص ٣٠٢ نقلاً .

من الشعر في هذه اللغة ، ووضع حجر الأساس له[1] ألا وهو الشعر المرسل ، وشكري من أوائل من ابتدع القافية المرسلة[2] . وهي القافية التي لا التزام فيها بروي واحد والتي واكبت فيها بعد إنشاء الشعر الحر . وقد عرف عن شكري الشاعر الرومانسي حبه لكسر القيود والتمرد عليها لذا كان رأي أحمد غراب « أن شكري رأى في القافية المرسلة نوعاً من التحرر من ضرورات القافية الموحدة التي تكره الشاعر أحياناً على أن يقول ما لا يريد أو لا يقول كل ما يريد »[3] .

وقد نظم من قصائده التشاؤمية على نهج القافية المرسلة قصيدة سم الخسة وسعار الغرور يقول فيها[4] :

فعيشه ونفسه بضاعة	وخلقه ووده رفاعة
إذا شهدت أمره فمادح	أو غبت عنه طرفه فقادح
طريد أهل الموت والقبور	مشرداً من ثقل الغرور

وقوله[5] :

فصوت الليل من صوت الضمير	مهيب القول كالهادي النذير
يئن صداه في صم الضلوع	ويكسو النفس ثوباً من خشوع

(١) رواد الشعر الحديث في مصر ، ص ٣٧ مختار الوكيل .

(٢) الشعر المعاصر في ضوء النقد ، عبد اللطيف سحرتي ، ص ١١٨ بتصرف .

(٣) عبد الرحمن شكري ، أحمد غراب ، ص ٢٧٨ .

(٤) ديوان الشاعر ، ح٧ ص٥٦١ .

(٥) ديوان الشاعر ، ح٢ ص١١٨ .

فيا مأوى من عنت الحياة إذا أنا مت لا تهجر رفاتي

كما كانت القافية متنوعة في قصائد شكري فمنها الثنائي والمثلث ، منها قوله[1] :

للنفس في بعض الأحايين ثورة يكاد لها جسم الفتى يتمزق
فيا نفس كما تبغين ما ليس حادثاً وحتام آمالي لديك تحرق
هياج كما هاجت قطاة تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما في سكون الليل يا نفس واعظ أما في هدوء الرمض ملهى ومطلب

كما استخدم المثلثة في قوله[2] :

كم جنينا من أزاهير القدر وأفانين وصروف وغير
زهرة سوداء من زهر الضجر وهي من نبت هموم وكدر
فهي بالليل سهاد وسهر وهي في الصبح الشقاء المنتظر
هذه الأزهار سوء كالقضاء في رياض من شقاء وعناء
ليس لي منها مفر أو نجاء فهي حولي في صباح ومساء
أن هذا العيش داء أي داء ليس يمحي بشكاة أو بكاء

أما عن استخدام شكري للقافية المقيدة وهي ما كانت ساكنة الروى فقد كان قليلا ويبدو أنه على مستوى الشعر العربي كذلك إذ « أن استعمال القافية من غير أن يسبقها مد غير كثير وفيه عسر شديد في البحور الطوال كما أن البسيط من

---

(١) ديوان الشاعر ، ح٢ ص١٦٩ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح٣ ص٢٨٨ .

أشق مسالك القافية المقيدة المسبوقة بحرف متحرك »[1] .

وقد كتب شكري قصيدة ذكرى أمس من البسيط الساكن الروي يقول فيها[2] :

ـــذكر صـــــل ّ لاذع نابـــــه   يـــا ليتـــه يخلـــع رث العهـــود
كالحيـــة الرقطـــاء تنضـــو ردا   ء الأمس كي تكسى الرداء الجديد

كما عُرف عن شكري استخدامه للبحور الطوال التي يغلب على قصيدها القافية المطلقة المحركة الروى كقوله[3] :

أعاتـب دهـري أو تهـون خطوبـه   رأعـذل حـالي والـدموع تثيبـهُ

وقوله[4] :

حذرت الذي يمني لي الدهر من أذى   فيا ويح نفسي من عناء التفزع

والذي يتضح من ذلك هو طبيعة الصلة بين استخدام الشاعر للروي

في قافية القصيدة وبين عواطف النفس وخلجاتها كما قال شوبتهور (إن للأفكار قوافي باطنة)[5] فاستخدام شكرى للروى المكسور ظاهرة في

---

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ح١ ص ٥٤ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح٦ ص٤٥١ .

(٣) ديوان الشاعر ، ح١ ص٥٧ .

(٤) ديوان الشاعر ، ح٣ ص٢٨٨ .

(٥) راجع ص١٤ في البحث .

قصيدة تعبر بدورها عن خيبة الأمل والألم الدفين في نفس الشاعر كما أن للألفاظ والأفكار قوافي ظاهرة فقد كانت القوافي المطلقة دليلاً على تمرد الشاعر ورغبته الأكيدة في التخلص من قيود الحياة كما كان استخدام الشاعر حرف الراء شائعاً ثم الميم والدال والياء والنون والهمزة ولحرف الراء دلالة على الانكسار والألم والكسرة (توحي بالانكسار والضمة توحى الفخامة والفتحة توحي الاستعلاء أما الكسرة ففيها انكسارة ألم) [1] وبما أن للموسيقى الخارجية قيمة فإن للموسيقى الداخلية قيمة أرحب يقول عنها الناقد جريتنج لامبورن في كتابه أصول النقد (إن الموسيقى الخارجية أو داخلية فالعروض يحكم الأولى أما الموسيقى الداخلية فيحكمها قيم صوتية وهي أرحب من الوزن والنظم المجردين) [2] .

الإيقاع الداخلي :

التناغم والانسجام الموسيقي بين مقاطع البيت الشعري من خصائص القصيدة المؤثرة التي تطرب لها الآذان وتهفو لها النفوس وقد اعتمد الإيقاع الداخلي للقصيدة لدى القدماء على حسب تعريف لامبورن على (أخبث الكلمات وترتيبها والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها) [3] فكما أن

---

(١) موسيقى الشعر بين الثبات والمنظور ، جابر عبد الدايم ص ٣٣ .

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ص ٧ نقلاً .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف رفث نقلاً .

تلاؤم الكلمات حروفاً وحركات ضرورية للتناغم كذا ضرورة تناغم المحسنات البديعية اللفظية من جناس وطباق وتكرار وغيرها ضروري لموسيقى القصيد (ولما جاء المحدثون ونظروا للشعر في لغات عدة وضعوا له أركاناً ثلاثة) [1] الركن الثاني منها أن تتوافر في ألفاظ الشاعر صفة التجانس بين اللفظ والمعنى فيكون اللفظرقيقاً في موضع الرقة قوياً عنيفاً في موضع القوة والعنف وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقى وألا يكون اللفظ مبتذلاً وكثير الشيوع ولا يرتاح إليه الذوق الشعري) [2] وبالتالي فالألفاظ البائسة التي تلائم المعاني المتشائمة تلون الجرس الموسيقى بصبغة الحزن والسواد وهي ترتكز أيضاً على تناغم الحروف في اللفظة الواحدة وتناغم الكلمات والمعاني في المقاطع ليكون الشعر مؤثراً وصادق التعبير كما عدّ مؤلف المرشد لفهم أشعار العرب أن علماء البلاغة قديماً (قد عالجوا ناحية الجرس الموسيقي باسم الفصاحة والسلاسة والطلاوة) [3] .

تناغم الحرف :

التناغم هو التوافق بين حروف الكلمة التي ينطق بها المرء دون كلفة للدلالة على معنى مراد يقول عبد القاهر الجرجاني : (أن اللفظ السليم ليس بعزيز

(١) انظر موسيقى الشعر إبراهيم أنيس ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ ، نقلاً .

(٣) المرشد لفهم أشعار العرب ج٢ ص ١٦ .

الوجود ولا بالشيء الذي لا يستطيعه إلا الشاعر المفلق والخطيب البديع) [١]، أما أما عن تباعد الحروف أو تجاور مخارجها يقول ابن الأثير (كل هذا راجع إلى حاسة السمع ، فإذا استحسن لفظاً أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج فاستحسانها واستقباحها إنما هو من قبيل اعتبار المخارج لا بعده).

فكلما تباعد الحرفان المتجاوران في المخرج أو الصفة سهل النطق وتلاءمت الحروف) [٢] وهذا مما يساعد على تناغم الجرس الموسيقي للحروف أو عدمه ، ومثاله : قول الشاعر) [٣]

ماذا يفيد تصوبي وتصعدي	في ملك للعيش غير ممهد
والناس غرقى في الشفاء ولؤمه	من ناقم يشكو ومن مثبله
ومن البلية أنني بشقائهم	وشقاوتي نحو لذيذ تجلدى

فنلاحظ تكرار حرف الصاد والقاف والعين وهي من الحروف التي تحتاج إلى جهد عضلي في النطق) [٤] ، [٥]- كما استخدم الشاعر التكرار في حرف الشين في الشين في الأبيات التالية :

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ص ٦١ .

(٢) موسيقى الشعر . إبراهيم أنيس ص ٢٨ .

(٣) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٥١ .

(٤) راجع موسيقى الشعر . إبراهيم أنيس ص ٢٨ بتصرف .

(٥) موسيقى الشعر . إبراهيم أنيس ص ٣٢ .

عبثاً تضيء الشمس وجه وسالك | للعيش تؤخر بالشقاء المزبد
والناس غرقى في الشقاء ولؤمه | من ناقم يشكو ومن ميثلد
لو كان يدري المرء قدر شقائه | في العيش ودّ لوانه ثم يولد[1]

فالملاحظ تكرار حرف الشين الذي ورد في كل شطر ومن صفات حرف الشين أنه رخو مهموس يدل على التفشي)[2] ودلالة التفشي تدل على ظاهرة انتشار وتفشي الشقاء واللؤم بين العباد و المعاناة الدائمة الملازمة لكل معترض . ناقم أوأخ متبلد ، والتكرار فن ذو وجهين له قدرة على أضافة الكمال إلى المعنى في البيت أو القدرة على ضبط إيقاعه في مزالق التعبير تقول نازك الملائكة (إن في وسعنا أن نذهب أبعد من ذلك فتشير إلى الطبيعة الخادعة التي يملكها هذا الأسلوب . فهوبسهولته وقدرته على ملء البيت وأحداث موسيقية ظاهرية فيه ، يستطيع أن يضلل الشاعر ويعرفه في مزالق التعبير)[3] ومن التكرار الناجح قول الشاعر)[4] :

ياليت إني مقعد في دياركم | مقيم على صرف الزمان وكين
ويا ليتني متسيء إليك محبب | وأنت به طول الحياة ظنين
وياليت إن القرب ينصف | فيحمد عز في هواك وهون

وهذا التكرار من النوع الناجح لأنه لو حذف لأساء إلى المعنى التعبيري في

---

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٥١ .

(٢) موسيقى الشعر ، صابر عبد الدايم ص ٣٧ بتصرف .

(٣) قضايا الشعر ، نازك الملائكة ص ٢٩١ .

(٤) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١٢ .

البيت فتكرار حرف التمنى الذي يمثل أماني مختلفة لكنها بعيدة المنال يكشف عن اهتمام الشاعر وتعلقه الشديد بالقرب والدنو من الحبيب وتسلط هذه المشاعر على نفسيته وهيمنته على روحه ، كما أن للتكرار المستخدم ميزة الاستقلالية بحيث ترى كل بيت يمكن أن يستقل بمعناه عما حوله ويمكن انتزاعه من سياق القصيدة دون أي مشكلة) [1] وكذا قول الشاعر) [2] :

ياريح رفقا بقلب هجت لوعته	ياريح أفشيت أشجاني وأسراري
ياريح أي زئير منك يفزعني	كما يروع زئير الفاتك الضاري
ياريح أي أنين حن سامعه	فهل يليث بفقد الصحب والجار
ياريح مالك بين الخلق موجه	مثل الغريب غريب الأهل

فتكرار حرف النداء تكرار ناجح استطاع به الشاعر أن يضيف إلى أبيات قصيده دلالة نفسية تعبر عن إحساسه المعتم الحزين بروح الطبيعة ونقل هذا الشعور لمظاهر الطبيعة فالنداء الأول يعبر عن الخيانة وإفشاء الأسرار والثاني يعبر عن الرعب والخوف ، كذا هو الثالث يعبر عن مشاعر الأنين لفقد الأعزاء ، وجاء الرابع معبراً عن مشاعر الغربة بين الأهل وكل تلك المعاني قريبة جداً من نفس الشاعر روحه وملاصقة لكيانه ، فعندما تواكب الألفاظ المعاني وتجانسها فإنها تعطي نغما موسيقيا يسهم في البنية الداخلية

---

(١) راجع قضايا الشعر ، نازك الملائكة ص ٢٧٧ .

(٢) ديوان الشاعر ج٥ ص ٤٠١ .

تناغم الكلمة :

يرجع التناغم في الكلمة إلى سهولة لفظها وكونها مأنوسة أي متعارف عليها : وقد أشار عبد القاهر في مجال تناغم الكلمة في باب الفصاحة والسلاسة إذ قال : (هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ومؤانستها لأخواتها؟وهل قالوا"لفظة متمكنة ،ومقبولة"وفي خلافه :"قلقة نابية، ومستكرهة"إلا وغرضهم أن يعبروا عن التمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ،وبالقلق والنبوء عن سوء التلاؤم،وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها ،وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها) [١] وأن سبب عدم التلاؤم يرجع إلى نقص القدرة التعبيرية للكلمة الأولى عن الثانية وعدم قدرة الثانية في اللحاق بالأولى) [٢] وقد مال شكري إلى الألفاظ السهلة المأنوسة وفي رأيه أن الكلمة تكتسب شرحها من خلال استعمالها في موضعها ودلالتها على المعنى فتأتي في موضع التقدير والإعجاب مهيبة مبجلة كقوله : [٣]

ملأت الكون من نفس عميق   فأسمع كل ذي قلب مفيق

فالليل مخلوق عظيم لدى الشاعر يبجله ويجعل له انفاساً عميقة بثها خلال

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ص ٤٢ – ٤٥ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها بتصرف .

(٣) ديوان الشاعر ج٢ ص ١١٨ .

الهواء لتملأ الكون فتسمعها القلوب النابضة التي أفاقت من سكر النوم وبين لفظة عميق ومفيق تناسب في المعاني التي يرمي إليها الشاعر وقوله :

يا مادي من عنت الحياة إذا أنامت لا تهجر فأتي

يناجي الشاعر الليل بلفظة مأوى وهي تعبر عن رغبته في طلب الأمان والالتحاق من عنت الحياة وآلامها، وقوله لا تهجر تعبير عن حبه العميق لظلام وتفضيله على ضوء النهار ، وألفاظ الشاعر في هذه القصيدة (من ناحية المضمون تمثل اتجاه الشاعر نحو القتامة وتفضيله صوت الليل على ضوء الفجر وشروق الشمس) وكذا عندما يستخدم الكلمات قوالب يصوغ من خلالها صورة وجدانه الذى قاسى أنواع الحسرات والهجران ، يقول) [1] :

فواحسرتا لا لي إليك وسيلة ولا أن قربا في الحياة يحين
عسى مخبر عما أعانيه الهوى فيؤمل خفض في رضاك ولين
فلا تعصفوا بالهجر والبعد والقلي فما لي على هذا الشفاء معين(٢)

فالقرب الرضا والوصل بعد العصف والهجر ألفاظ تعبر عن عما يعصف بقلب الشاعر وروحه وتلقي به في غياهب الشجن والحزن .

وقد تأتي اللفظة على هيئة المعنى عندما تدل على حركة واضطراب في الأفعال

---

(١) شاعر الوجدان ، يسري سلامة ص ١٠٠ .

من ذلك قول الشاعر :) [1]

وقفت على اليم الخضم عشيه | وللريح منه والعباب بوادر
وللرعد ضحك رائع الصوت | كأن ضجيج الرعد بالناس سافر

يصور خيال الشاعر صوت الرعد قادما من السماء في حركة واضطراب شديدتين يعبر عنها بلفظة ضجيج تصدر عن صوت سافر ينتهي بالفرج على العباد وأقدارهم المريرة.

ومن براعة الشاعر استخدام اللفظة مجانسة للمعنى بحيث تعطى نغماً موسيقياً يسهم في البنية الداخلية ومن ذلك استخدام مصدر الفعل ليوضح حال الزعزعة والتهدم التي آلت إليها نفس الشاعر في قوله) [2] .

يا ويح نفسي كلما جاء كارث | ظللت وقلبي كالبناء المضعضع

فالمصدر مضعضع يصف حاله انهيار كامل وتهتك نفسي يؤول إلى القاع وكأن كوارث الأحداث هي كوارث الطبيعة التي تؤول بالبنيان إلى الهاوية ثم ينشد قوله :

حتام هذا الخوف في كل لحظة | يدب إلى قلبي وطرفي ومسمعي

فالخوف يداهم القلب والحواس والدليل تكرار في الفعل دّب مما يجعل الفعل متكرراً لدرجة تجعل الشاعر يتساءل عن مدى استمرارية هذه المعاناة ومحاصرتها لكيانه .

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١١ .

(٢) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢٢١ .

ومن أنواع التكرار في اللفظ تكرار الظرف في قوله :) [١]

غدا يكثر الباكون حولى وحولكم   وما الناس إلا هالك وحزين
غداً يستدرك الموت منا ومنكم   وكل نفيس في المهات يهون

الذي يدل على معنيين مختلفين الأول حقيقة الموت التي ستطال الجميع ، وغدا الثانية تدل على حقيقة ما بعد الموت و النهاية التي يلاقيها العظيم الحقير.

وعندما يكون التكرار لفظيا) [٢] فإنه يأتي للتعبيرعن مشاعر الشاعر، وهنا يعبر عن مشاعر الجزع والخوف يقول فيها) [٣] .

عسى أن يتيح الله صبراً يحوطني   فتهدأ أضلاعي وترقأ أدمعي
وينقذني في من مهلك أي مهلك   ويخرجني من مجزع أي مجزع

فتكرار كلمتي مهلك ومجزع يريد به بيان ما ينتاب روحه من هلع وجزع تتعرض لها نفس الشاعر، وهو تكرار محمود لا يمت إلى التكرار المصطنع بصلة كما يعد التصدير والتوشيح من التكرار المبني على ترديد كلمات في صدور الأبيات وأعجازها وقوافيها وهي أيضاً بقايا من ذلك الأصل القديم) [٤] .

(١) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١٢ .

(٢) راجع المرشد لفهم أشعار العرب ، ص ٨٩ .

(٣) ديوان الشاعر ج٣ ص ٢١٢ .

(٤) المرشد لفهم أشعار العرب ص ٨٨ عبد الله الطيب نقلا .

التصدير أورد العجز على الصدر :

وهو من أنواع البديع التي استخدمها شكري بشكل طبعي لا تكلف فبه والتصدير يعني (أن يرد إعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك) [1]، ومما ورد في ذلك الباب قول قول شكري :

رأيت العظام تعرى من اللحم وقد فارق البهاء الفطاما(٢)

وقوله :

أنت عبد البقاء لو كره العبد دأبا قاصد رق ذلك البقاء [3]

وقوله :

للرعد ضحك رائع الصوت هائل كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر) [4]

وقد أعطى هذا النوع من البديع إيقاع القصيدة الداخلي نوعاً من اللياقة وصحة المعاني فالألفاظ متلاحقة المعاني واستخدام الشاعر لأسلوب رد العجر على الصدر بفن وخفة ، ومن تلك الأبيات التي تشهد بهذا للشاعر قوله :

---

(١) العمدة لابن الرشيق ج٢ ص ٨ .

(٢) ديوان الشاعر ج٢ ص ١١٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ١١٠ .

(٤) السابق ج٣ ص ٢١٣ .

لـو كـان لي حيلـة أفنـي بهـا ملـلي   مـن الحيـاة لمـا قصرـت في الحيـل[1]

وقوله :

فمـن مبلـغ الأمـوات عنـى تحيـة   سـلام علـيهم بـل عـلى سـلاميا[2]

تناغم اللفظ والمعنى:

وجمال الأسلوب يعتمد أحياناً على محسنات معنوية مثل المقابلة في المعـاني أو التكرار أو الطباق ، وفي أحيان أخرى يعتمد على محسنات لفظية مثل التجنـيس ، ورد العجز على الصدر ، والتضمين ، والذي يميز كل تلك المواضيع ويظهـر سر جمالها هو تناسقها وتناسبها والمعنى ويشترط العالم الجليل عبد القـاهر الجرجـاني (أن سر جمال تلك المحسنات يكون تابع مـن مجانسـتها للمعنـى يقـول : وعـلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا نسجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحو حسن ومن هنا كان أحـلى تجنـيس نسـمعه وأعـلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصـد مـن المـتكلم إلى اجتلابـه وتأهـب الطلبه)[3]

التجنيس :

من أنواع البديع اللفظي (له ضروب كثيرة منهـا المماثلـة ، وهـي أن تكـون

---

(١) السابق ج٢ص١٦١

(٢) ديوان الشاعر ٦ ص ٥٤٥ .

(٣) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص ١١ .

اللفظة واحدة باختلاف المعنى) [1] .

وعرفه البلاغيون من قبل وتحدثوا عنه ومنهم قدامة الذي تكلم في باب ائتلاف اللفظ والمعنى على المطابق والمجانس فقال : ومعناها أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة) [2] مثل قول شكري [3] .

أعيري جناحاً كلما أنال به المنى   ونبلاً لكن أرمى به مثلما أرمي

فلفظةَأَرْ مي و وأرمي متطابقتان في اللفظ مختلفتان في المعنى أرمى الأولى تطلب تحقيق أمنية وهي القدرة على تصويب سهام المنى أما أرمي الثانية صادرة عن حسرة أنه المصاب والمستهدف بالنبال الحاقدة والال السامة التي تصيب مقتل آماله .

ومن أنواع الجناس تجنيس المعنى وهي (أن يأتي الشاعر بألفاظ يدل بمعناها على الجناس وإن لم يذكره) [4] ومنه قول الشاعر [5] .

فياليت أن العيش يخلف ميتة   دراكاً كما يطوى النهار اللياليا

---

(١) العمدة ، ابن الرشيق ج١ ص ٢٨٣ .

(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ص ١٦٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج٧ ص ٥٤٢ .

(٤) خزانة الأدب الحموي ، ج١ ص ٩٥ .

(٥) ديوان الشاعر ج٧ ص ٥٦٠ .

وهذا البيت جاء خاتمة لقصيدة الموت التي يجعل فيها الشاعر الموت وأعلى من شأنه لكنه حـَتمّ أبياته بأمنية أن يخلف الموت الحياة كما يخلف النهار الليل .فلم يذكر الشاعر الجناس لكنه ردد ألفاظ فيها نوع من الجناس و قصد بها الدلالة بالمعنى وهو توالى الليل بالنهار.

المقابلة في المعاني :

وهي أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعداً تعطف عليه متضمن أضدادها على الترتيب) [1] وهي مما دخل في باب المطابقة فتتركب المقابلة من طباق وملحق به) [2] وقد جاءت المقابلة لدى شكري في الأضداد ، كما تميز شكري بهذا النوع من البديع المعنوي إذا امتاز شعره بظاهرة التقابل الفكري في معان الكون والحياة والموت والجمال والفناء وله نظرة خاصة مميزة تجاه كل معنى . يقول[3] :

أجن بالعيش طوراً ثم أبغضه   ما أضيع المرء بين اليأس والأمل
إني ولعت بعيش كله خدع   كما برمت بعيش غير مقتبل

جرت المقابلة بين أربع أشياء (أجن ، وأبغض ، اليأس والأمل ، ولعت برمت) ، فالمقابلة تكمن في تعادلية الشاعر في حبه للحياة و بغضه لتلك الحياة

(١) المصباح في المعاني البيان والبديع ابن الناظم ص ٢٢١ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة / القزويني ص ٣٢٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج٢ ص ١٦١ .

مشاعر تتقاذفه بين اليأس والأمل تجعله متمسك بالحياة طورا ورافض متمللا منها طور آخر .

فالمقابلة مدعومة لدى شكري بفكره المتأمل في مخلوقات الكون والحياة ؛مما جعل المقابلة ظاهرة تتصل بشخصيته وأسلوبه

الطباق :

المطابقة : جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر وقال الرماني : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الخليل طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد) [١] بمعنى مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان وفي المثال التالي قد خدم الطباق فكر شكري في قصيدة الأزاهير السوداء إذ قال[٢]

قد جنينا من أزاهير الشقاء	زهرة سوداء من زهر القضاء
بتبذل النفس سواداً من ضياء	ليس تنمو في رجاء أو رخاء
لونها المأخوذ من لون الظلم	عابس فوق شفاه المتسم

ورد الطباق في سواداً وضياء ، عابس ومتبسم وهو من نوع طباق الجمع بين الأضداد يؤكد المعنى الذي يرمي إليه الشاعر فقد جمع بين سواد النفس وبياضها، كما أن متعتة تنبع من الظلمات يظهر هذا من خلال حركة مفتعلة فوق شفاه

---

(١) العمدة / أين الرشيق ج٢ ص ١٢ – ١٣ .

(٢) المرشد لفهم أشعار العرب ، ج ، ص ٢٧٥ .

متبسمة وهو تفصيلا لطباق بين التراكيب يسمى بالمقابلة وهو تابع لها) [١] ومن الملاحظ أن شكري قد استخدم الطباق في أبيات كان مرادها مطابقة اللفظ للمعنى وموافقته ،وعندها يكون الطباق من مقومات الجرس اللفظي في البيت الشعري لديه ،فعندما تواكب الألفاظ المعاني وتجانسها تعطي نغما موسيقيا يسهم في البنية الداخلية ،كذا قد يؤدي التكرار نغما موسيقيا في النفس وإثارة عواطفها

---

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ج ص ٢٧٥ .

الخاتمة

وبعد هذه السياحة بين دروب الشاعر الفكرية التي وسمها بوسمه،وأسبغ عليها من شخصيته ، قد يحسن أن نشير إلى أهم النقاط التي ظفرنا بها من خلال رؤيتنا، على أن نحيل القارئ إلى ما يراه جديرا من فصول البحث.

ومن خلال التمهيد تم الكشف عن التشاؤم كمرض نفسي عقلي ،وأسباب الإصابة به ،ومظاهر هذا المرض النفسي الخطير .

كما استطاع البحث التوصل من خلال شعر الشعراء إلى صور تشاؤمية لدى شعرائنا العرب منذ العصر الجاهلي متصلا بصدر الإسلام إلى العصر الأموي والعباسي ،ثم عصر الدويلات إلي العصر الحديث .فكان للعوامل البيئية والاجتماعية والسياسية والدينية أكبر الأثر في تميز ملامح الشخصيات ،وكان التحليل المسلك لفهم لغاتها ،وفك رموزها حزينة أم متفائلة ، ثائرة أم متشائمة .

وقد تناول البحث أهم دواعي التشاؤم والمؤثرات النفسية لدى الشاعر اجتماعيا وأدبيا ووجدانيا .فكان إحساسه المرهف وتفكيره المتأمل من أهم المؤثرات التي دعت إلى تساوي طعم اللذة والألم ، كذا خيبة الأمل وسوء الظن بالناس والأصدقاء مؤثرا وما كان لها من تأثير كبير .كما كان تعلقه بالشعر الرومانسي مؤثرا وداعيا إلى تشاؤميته ،التي واكبتها روح التقصي والطموح لكشف مغاليق الحياة والبحث في حقيقة الإنسان وتردده بين الخير والشر . ويأس شكري من تناقضات الحياة جعله سهما ينطلق مستهدفا الموت طلبا

للراحة . لكنه بعد أن أستيقن وحشة الموت ،تردد وتحير بين حب الحياة وتعاستها إلى أن غلب عليه ذلك الحب الذي أشقاه. وقد أستن شكري طريقا للخلاص من عذاب الوجد وغرور المحب ؛بتوضيح **عزمات** الموت وقبح ما بعده.فكا ن اقتران الموت بالحب على وجه سواء، والجمال بالفناء مظهراً آخر من مظاهر تشاؤمه .

وعبد الرحمن شكري من الناس الذين جمعوا بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة إذ نحكم على شخصياتهم من خلال الصبغة العامة للحياة والظروف التي مروا بها ،فكانت تجربته الشعرية في قصيدة التشاؤم متشعبة من خلال تجاربه الذاتية، وتأملاته الفكرية ،ومراقبته لنماذج الطبيعة الكونية التي راقبت بعين تشاؤمية سوداء تندب الحظ وقسوة الأقدار ،وتكشف عن جمال الأشياء وأضدادها ، وقد تميز أسلوبه الشعري بصدق العبارة نتيجة قدرته التأملية الدقيقة للعلاقة بين البشر وأسباب بؤسها . وحتى يتم تحليل القصيد التشاؤمي لدى شاعرنا تناول البحث بالدراسة البنية التركيبية من حيث اهتمام الشاعر بالتراكيب اللغوية واستخدامها ،ونوعية العلاقة بين اعتماد الشاعر على أساليب البناء التركيبي للجمل وبين دلالات نفسيته وفكره وإشاراته السوداوية .فقد استخدم الشاعر ضمائر الأنا التي كانت خير دليل على ذاتيته التي ميزت قضاياه الشاعرية ،ورسائل معاناته معبرا عنها بأسلوب تعبيري يوحي بمجاهدة خطوب الحياة ومعاناة أفراد المجتمع ، كما استخدم أسلوب النداء كنقطة ارتكاز تبرز إحساسه المفعم بالانفعال تجاه النفس الإنسانية ومعاناتها ، كذا كان أسلوب

الاستفهام بأنواعه التعجبية الاستنكارية معبرا عن تفكير متأمل مركزه العقل ،أما التمني فكان أسلوب يساور نفس الشاعر المسجونة خلف قيود الزمان والمكان ، التي تراقب الآمال الذائبة والباحثة وراء المجهول.

وقد عبر الشاعر بأسلوب القصر الإدعائي والحقيقي عن انفعال صادق خلف تصور جمال الحقائق رغم بؤسها ، وقد كانت البنية التصويرية دراسة متممة لما قبلها فصور الشاعر الفنية متنوعة المزايا هيمن التشبيه بأنواعه وأركانه عليها كما كان استخدام الشاعر لصوره الفنية عميقا وسوداويا في صوره النفسية والبصرية والسمعية والتذوقية . وفكر الشاعر عبد الرحمن شكري هو المصدر الأساسي الذي استقي منه صوره الفنية التي تميزت بالاستطراد في ألوان البيان على حساب المعنى ،كما غلبت الكلية على أجزاء الصورة المعبرة عن تجربة الشاعر الشعرية والشاعرية .

كما تم التوصل في المبحث الأخير والختامي في البيئة الإيقاعية التي حاول البحث فيها اكتشاف علاقة الموسيقى بالمعاني الشعرية لدى الشاعر،وكيف خدمت تعبيرا في إظهار معنى التشاؤم .فكان استخدام شكري لبحور الشعر ذات الوزن الطويل الكثير المقاطع مما سمح له أن يصب أحزانه وأشجانه الناتجة عن تأملاته في أبيات قصيدة التشاؤم والتي تناسب موضوعات شعره ونغماتها ،ويعتبر شكري رائلاً في الشعر المرسل المواكب للشعر الحر الحديث ،ومن أعظم ما يميز شعر شكري التوافق الفكري والوجداني واللفظي.

تشاؤم شكري نسبي لم يكن كليا حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل

أثر الظروف والقيود من حوله ،وشكري رجل وشاعر قدير كافح في حياته العلمية والعملية والأدبية ،وتذوق طعم الفرح كما اعتاد طعم الألم ،فشاعرنا نافذ البصيرة راقب البدايات وتأمل النهايات وحلل مأساوية الأشياء ثم تغنى بها وبشخصه وبمعاناته بطريقة خاصة تميزت بالسوداوية في أحيان كثيرة جعلت تلك التشاؤمية ظاهرة في شعره.

المصادر والمراجع

- **أسعد / يوسف ميخائيل**

التفاؤل والتشاؤم ، دار النهضة مصر الفجالة (ط. ب) .

- **اسكندر / نجيب**

معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير ، دار المعارف ٢٠٠١ م ، ١٤٢١هـ ، ط١ .

- **أمين / أحمد الشنقيطي**

معلقة زهير بن أبي سلمى ، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، مكتبة النهضة البغدادية .

- **أمين / أحمد**

فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ م ، ط١٠ .

- **أنيس / إبراهيم**

* الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو العربية ١٩٨١ م ، ط٦ .

* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في مصر ، ط١ .

* موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م ، ط٣ .

- **ابن سيناء**

كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ، تحقيق محمد سليم

سالم ، مركز التحقيق ، الثمرات ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ١٩٦٩ م .

- ابن قتيبة

الشعر والشعراء ، دار الإحياء للعلوم ، بيروت ، مراجعة محمد العريان ، ١٩٩١ ، ط٤ .

- ابن المعتز

ديوان ، دار صادر ، بيروت .

- ابن منظور

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

- ابن طباطبا ، أبي الحسن محمد بن أحمد العلوي

عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز المانع ، دار العلوم للطباعة ١٩٨٥م (ط. ب) .

- أبي الفرج ، قدامة بن جعفر

نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

- ابن الرشيق ، القيرواني

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين ، دار الجيل ،

١٩٨١ م ، بيروت (ط٤) ١٩٧٢ م .

- **ابن الناظم**

المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبي عبد الله بدر الدين النعمي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

- **أبو طويلة ، دخيل الله**

الرؤية الجديدة للنقد في الشعر ، عبد الرحمن شكري ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

- **أبو موسى ، محمد محمد**

❋ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ط٣ .

❋ دلالات التراكيب ، مكتبة وهبة ، مصر عابدين ١٩٨٧ م، ط٢.

- **أبو هلال / العسكري**

الصناعتين .

- **الاسكندري / أحمد وآخرون**

المفصل في تاريخ الأدب العربي ، كلية الآداب ، القاهرة .

- **البستاني / أكرم**

شارح ديوان عنتره بن شداد .

- **البصري / كامل حسن**

بناء الصورة الفنية في البيان العربي (ب. ت) ، مصور .

- **البغدادي / عبد القادر**

خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- **الجاحظ / أبي عثمان عمر بن بحر**

❋ الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٩ م ، ط٣ .

❋ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ن مكتبة الخانجي القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥ م .

- **الجرجاني / عبد القاهر**

❋ دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني جدة ١٩٩٢ م ، ط٣ .

❋ أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني جدة ١٩٩١ م، ط١ .

- **الحصري / إسحاق بن إبراهيم علي**

زهر الآداب وثمر الألباب شروح د/ زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت .

- **الخضيري / صالح بن عبد الله**

الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث دار

التوبة ، الرياض ، السعودية ، ١٩٩٣ م ، ط١ .

- **الحمداني / سالم أحمد ، فائق مصطفى أحمد**

الأدب العربي الحديث ، وزارة التعليم العالي للجد العلمي جامعة الموصل .

- **الدسوقي / عمر**

في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ٨ .

- **الرافعي / عبد الرحمن**

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، دار المعارف ، مصر ١٩٩٣ م ، ط ٤ .

- **الزمخشري / جار الله محمد بن عمر**

أساس البلاغة ، قدم له شوقي الحصري ، د عزيز نعيم ، مكتبة لبنان ، ط ١ .

- **الشابي / أبو القاسم**

ديوان أغاني في الحياة ، ضبط وشرح اميل كيا ، دار الجيل .

- **الشايب / أحمد**

الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠ م ، ط٨ .

- **الشوابكة / محمد علي (دكتور)**

معجم المصطلحات العروضية ، دار البشير ، الأردن ١٩٩١ م .

- **الشطي / عبد الفتاح عبد المحسن**

عبد الرحمن شكري شاعراً ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م .

- **الشنقيطي / أحمد أمين**

معلقة زهير بن أبي سلمى ، شرح المعلقات العشر ـ أخبار شعرائها ، مكتبة النهضة بغداد .

- **العقاد / عباس**

ابن الرومي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٨ م ، ط٧ .

- **العصفور / جابر**

النقد الأدبي ، الصورة الفنية في التراث البلاغي عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ط١ .

- **العلي / جواد**

المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٧٠ م ، ط١ .

- **الغذامي / عبد الله محمد**

الخطيئة والتكفير ، النادي الأدبي الثقافي السعودي ، ١٩٨٥ م ، ط١ .

- **الغزالي / الإمام**

إحياء علوم الدين

- **الفيروزآبادي**

القاموس المحيط ، محمد محيي الدين بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧) ، دار إحياء

التراث العربي .

- **القومي / عبد العزيز**

أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢ م ، (ط. ب).

- **القرطاجني / حازم**

منهاج البلغاء وسراج الأدباء .

- **الطيب / د. عبد الله**

المرشد لفهم أشعار العرب ، الكويت ، ١٩٨٩ م ، ط٣ .

- **الملائكة / نازك**

قضايا الشعر العربي ، دار العلم للملايين ١٩٨٣ م ، ط٧ .

- **الوكيل / مختار**

رواد الشعر الحديث في مصر ، دار المعارف ، ١٩٨٢ م ، ط٢ .

- **المعري / أبو العلاء**

لزوميات أبي العلاء ، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الهلال بيروت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- **الآفاق / دار**

السيكولوجية المبسطة الخجل والتشاؤم ، ١٩٧٨ م ، ط١ ، بيروت .

- **صادر / دار**

* ديوان عروة بن الورد ، بيروت ، دار صادر (ط. ب) .

* ديوان عبيد بن الأبرص ، بيروت ، دار صادر ١٩٧٩ م .

* ديوان ابن المعتز ، بيروت ، دار صادر (ط. ب) .

- **صيدرة / عبد الحميد محمد**

الهجاء عند ابن الرومي ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، مكتبة العلمي بيروت ١٩٧٤ م .

- **خضر / د. فوزي**

عناصر الإبداع الفني ، شعر ابن زيدون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ـ ٢٠٠٤ م .

- **خليل / خليل أحمد**

موسوعة أعلام العربي المبدعين في القرن العشرين ، المؤسسة العربية للدراسات .

- **داوود / أنس**

نظرات في شعر عبد الرحمن شكري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧٠ م .

- **راجح / أحمد عزت**

أصول علم النفس ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، ط٨ .

- **زيات أحمد حسن**

تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٩ ، ط٥ .

- **زهران / حامد**

الصحة النفسية للعلاج النفسي ، عالم الكتاب ١٩٩٧ م ، ط٣ .

- **سالم / السيد عبد العزيز**

تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية .

- **سلامة / يسري**

شاعر الوجدان عبد الرحمن شكري ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، الكتاب الأول مكتبة الجامعة .

- **سحرتي / عبد اللطيف**

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبوعات تهامة ، ١٩٨٤ م المملكة العربية السعودية ، ط٢

- **سكوت / حمدي + مارتين جونز**

أعلام الأدب المعاصر في مصر ، دار الكتاب المصري ، ١٤٠٠ هـ ، ط١ .

- **شادي / محمد إبراهيم**

أساليب البيان والصورة القرآنية ، دراسة تحليلية لعلم البيان ، ١٩٩٥ م ، دار والي الإسلامية المنصورة .

- **شكري / عبد الرحمن**

* ديوان الشعر ، توزيع دار المعارف ، الاسكندرية ، جمع وتحقيق نقولا يوسف ، ١٩٦٠ م .

* المؤلفات النثرية الكاملة ، تحرير أحمد إبراهيم الهواري ، المجلس الأعلى للثقافة ج١ ، ج٢ ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع ١٩٩٨ م .

* دراسات في الشعر العربي ، جمعها وحققها محمد رجب بيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤ م ، ط١ .

- شراره / عبد اللطيف

تغلب على التشاؤم وسلطان الإرادة الموسوعة النفسية ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ .

- عاشور / محمد طاهر

ديوان النابغة الذبياني ، شركة فوستيه للتوزيع ١٩٩٦ م .

- عباس / عبيد أحمد

مشاهير شعراء العصر ، المكتبة العربية ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٢٣ م ، ط١ .

- عباس راجان

فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ط٦ .

- عبد الدايم / صابر

موسيقى الشعر العربي بين تيار الثبات والتطور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ط٣ .

- **عبيد / أحمد**

مشاهير شعراء العصر ، المكتبة العربية في دمشق ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤١ هـ ، ط١ .

- **عبد البديع / لطفي**

التركيب اللغوي للأدب ، النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٧٠ م (ط. ب) .

- **عبد الرحمن / عفيف (دكتور)**

ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء المعربي ، دار العلوم ، الرياض ١٤٠٣ هـ ، ط١ .

- **عتيق / عبد العزيز**

علم العروض والقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

- **غريبة / روز**

تمهيد في النقد الحديث ، دار المكشوف ١٩٧١ م ، بيروت

- **غراب / أحمد عبد الحميد**

عبد الرحمن شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، (ط. ب) .

- **ضيف / شوقي (دكتور)**

❋ العصر العباسي الأول ، دار المعارف (ط. ب) .

❋ العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر .

❋ عصر الدول والأمارات في الجزيرة العربي ، ١٩٩٦ م ، دار المعارف، ط٤ .

❋ دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، ط٨ .

❋ الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، مصر ، ط٦ .

❋ النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ، ط٨ .

❋ العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ١٩٦٠ م .

❋ الفن ومذاهبه .

- **فرهود / محمد سعدي**

❋ شعر عبد الرحمن شكري ، دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر ١٩٦٧ م .

❋ لحق ديوان عبد الرحمن شكري ، مطبعة زهران ، القاهرة ١٩٧٠ م .

- **فهمي / مصطفى**

❋ التكيف النفسي – مكتبة مصر – الفجالة ، دار الطباعة الحديثة الأردن (ط. ب) .

❋ الإنسان وصحته النفسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (ط. ب) .

- **قطب / سيد**

التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ١٤١٥ – ١٩٩٥ م ، (ط. ب) .

- **قليقلة / عبد العزيز**

التجربة الشعرية عند عبد الله المقرب، النادي الأدبي بالرباط ١٩٨٦ م، ط١ .

- **مراد / يوسف**

مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، مصر ، ط٦ .

- **محمود / محمد محمود**

علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق في جدة (ط. ب) .

- **مصطفى / محمود**

أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، شرح بقم زرزوره ، دار الكتب العلمية ، [يروت ، ط٣ .

- **مطلوب / أحمد**

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٦ م ، ط٢ .

- **مندور / محمد**

❋ النقد والنقاد المعاصرون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٧ م.

❋ الأدب وفنونه ، دار نهضة مصر للطباعة ١٩٩٦ م (ط. ب) .

- **موسى / عبد الله عبد الحي**

المدخل إلى علم النفس ، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ١٩٨٨ م ، ط٣ .

- **ناصف / مصطفى**

الصورة الأدبية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ م .

- **وادي / طه**

شعر ناجي الموقف والأداة ، دار المعارف ١٩٩٤ م ، ط٤ .

- **وهبة / مجدي ، كامل المهندس**

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ١٩٨٤ م ، ط٢ ، مكتبة لبنـان ، بيروت .

- **هلال / محمد غنيمي**

* الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة ، ١٩٩٨ م ، ط٣ .

* النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ، دار العودة ، بـيروت ١٩٧٣ م (ط. ب) .

- **يوسف / نقولا**

أعلام من الاسكندرية ، دار المعارف بالاسكندرية (ط. ب) .

الكتب المترجمة :

- مبادئ النقد الأدبي ، أديتشاردز ، ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة ١٩٦٣ م .

- علم الأصوات ، بريتل مالبرج ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

- مرجع الكينكي في الاضطرابات النفسية ، دليل علاجي تفصيلي ، تحرير ديفيد هـ. باولو ، أشرف على الترجمة صفوت فرج ، مكتبة أنجلو المصرية ، ط (بدون) .

- الموجز في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ترجمة سامي محمود ، علي عبد السلام القفاس ، مراجعة مصطفى زيور ، دار المعارف بمصر ، ط٢ .

- الذات والغرائز ، فرويد ، ترجمة عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة بمصر ، دار المعارف .

- في سبيل الموسوعة النفسية (السلوك) سيجموند فرويد وآخرون ، عرض د. مصطفى غالب ، دار الهلال ، ١٩٨٢ م ، ط٣ .

المقالات :

- مقال التشاؤم عادة الجاهلية ٢٢ / ٨ / ١٤٢٥ هـ ، الشبكة الإسلامية www.islamweb.net .

- مقال الفلسفة الغربية بين معاودة الأبحاث والحق إلى نسيانها د. أحمد إبراهيم ، مبارك . www.islamonline.net ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٢ م .

- مقال الشعر والثقافة فصل من نشأتي الأدبية ، عبد الرحمن شكري المؤلفات النثرية والشعرية ، ج٢ ، تحرير أحمد الهواري ، المجلس الأعلى للثقافة .

- مقال المثل العليا في الشعر عبد الرحمن شكري المؤلفات النثرية ج٢ .

- مقال تجربة عبد الرحمن شكري مع نهضة التعليم، د. نادل عبد الهادي، مجلة الفيصل ، عدد ٢٣٨ ، ص ٧١٧ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- مقال أنواع النسيب والتشبيب في شعر العرب عبد الرحمن شكري ، المؤلفات النثرية والشعرية .

- الصورة البلاغية عند أبي الحسن الرماني ، حوليات كلية العلوم ، العدد الخامس ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ م .

- مقال رائد الشعر الحديث ، محمد رجب بيومي ، مقدمة الديوان ج١ ص ١٧ .

- حوليات ، الصورة البلاغية عند أبي الحسن الرماني ، كلية العلوم ، العدد الخامس ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء ....ج

المقدمة ....١ – ٤

أهداف البحث ....٥ – ٦

التمهيد ....٧ – ٤٧

المبحث الأول : التشاؤم مرض نفسي – أسبابه ومظاهره ....٨ – ٢٩

المبحث الثاني : مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري .... ٣٠ – ٤٧

الفصل الأول ....٤٨ – ٩٩

***أولاً** : حياة شكري وأدبه ....٤٩. – ٦٤

***ثانياً** : **دواعي** التشاؤم وتداعياته عند عبد الرحمن شكري

أ-إحساس يقوده التفكير .... ٦٥ – ٦٩

ب-الخيال الخصب................................. ٦٩ – ٧٢

ج-أوضاع الأمة .... ٧٣ – ٧٦

د-الرومانسية وتأثر شكري بها........................ ٧٧ – ٨٦

و-الإخفاق العلمي الأدبي الوجداني .... ٨٥ – ٩٩

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني:

مظاهر التشاؤم في شعر عبد الرحمن شكري .... ١٠٠ – ١٣٥

١ – الخوف من المجهول ....١٠١ – ١٠٣

٢ – سوء الظن بالناس ....١٠٣ – ١١٣

٣ – حبه للموت وكرهه للحياة ....١١٣ – ١٢١

٤ – مشاعر الوجدان ....١٢١ – ١٢٨

٥ – عندما تكون الطبيعة مظهراً تشاؤمياً ....١٢٧ - ١٣٥

الفصل الثالث : (الدراسة الفنية) : ....١٣٦ - ١٤١

المبحث الأول : التجربة الشعرية ....١٣٧ - ١٥٧

مدخل

المبحث الثاني : البنية التركيبية ....١٥٧ - ١٧٧

الضمائر .... ١٥٩ - ١٦٤

النداء ....١٦٤ - ١٦٦

الاستفهام..١٦٧ - ١٦٩

التمني ....١٧٠ - ١٧٣

الموضوع	الصفحة
القصر	١٧٤ - ١٧٦
المبحث الثالث : البنية التصويرية	١٧٧ - ٢١٠
١ – الصورة الفنية وعناصر البيان	١٧٩
أ) التشبيه	١٧٩ - ١٨٦
ب)الاستعارة	١٨٦ - ١٩١
ج) المرسل والمجاز العقلي	١٩١ - ١٩٤
د) الكناية	١٩٤ - ١٩٧
٢ – الصور الرمزية	١٩٧ - ٢٠٣
٣– الصورة الحسية	٢٠٣
أ)الحركية	٢٠٣ - ٢٠٤
ب) الصور النفسية	٢٠٥
ج) الصور البصرية	٢٠٥ - ٢٠٦
د) الصورالسمعية	٢٠٦
هـ) الصور الشمية	٢٠٧
و) الصور التذوقية	٢٠٧ – ٢٠٨
ز) الصور اللونية	٢٠٨ - ٢١٠

الموضوع	الصفحة

المبحث الرابع: البنية الإيقاعية .... ٢١١ - ٣٤١

العلاقة بين استخدام شكري لبحور الشعر وحالته النفسية ٢١٨

العلاقة بين القافية وحالة شكري النفسية ....٢١٩ - ٢٢٧

الإيقاع الداخلي ....٢٢٧ - ٢٢٨

تناغم الحرف ....٢٢٨ - ٢٣١

تناغم الكلمة ....٢٣٢ – ٢٣٥

التصدير أو رد العجز على الصدر ....٢٣٦ – ٢٣٧

تناغم اللفظ والمعنى ٢٣٧

التجنيس ....٢٣٧ - ٢٣٩

المقابلة في المعنى ....٢٣٩ - ٢٤٠

الطباق ....٢٤٠ - ٢٤١

الخاتمة ....٢٤٢ - ٢٤٥

المصادر والمراجع ....٢٤٦ - ٢٦١

فهرس الموضوعات ....٢٦٢ - ٢٦٥